مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

العاشرة

سر الاصطفاء | سورة الجمعة

علاء حامد
Alaa Hamed

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد، أهلًا ومرحبًا بكم في الجزء الثاني من دورة مدرسة قد سمع.
بفضل الله انتهينا من الجزء الأول، تدارسنا فيه سور: المجادلة، والحشر، والممتحنة، وانتهينا بالصف.
إن شاء الله، في الجزء الثاني من هذه المدرسة، هنتدارس باقي السور: الجمعة، المنافقون، التغابن، والطلاق، والتحريم.
يمكن ما زال جزء قد سمع، النص الثاني، في حاجات ثقيلة زي النص الأولاني، ففي ناس بتشتكي من صعوبة سورة التغابن، كذلك سورة الطلاق، لكن أكيد بعد ما شوفنا النص الأول وعملنا فيه إيه، وقد إيه السور بقت سهلة جدًا، الممتحنة بقت سهلة، المجادلة بقت سهلة، مجرد ما بنفهم ونستوعب بأسلوب بسيط، نربط الآيات بأمثلة واقعية، خلاص ما بننساش أبدًا، وما بنتلخبطش، وبتبقى ذكرى السورة كمان جميلة، والصلاة بيها بتبقى أحلى.
وأوعدكم إن شاء الله، النص الثاني من جزء قد سمع هيبقى رائع وممتع زي الجزء الأول، وإن شاء الله هنحوله لدروس تربوية وإيمانية، أوعدك إن الجزء الثاني من جزء قد سمع بل، الجزء كله، هيبقى أجمل جزء في حياتك بتصلي بيه وتقرأه.
وخلاص انتهت مشكلة جزء قد سمع، ومش هتغلط فيه تاني، بإذن الله سبحانه وتعالى.
النهاردة معانا إيه؟
النهاردة هنبدأ في سورة الجمعة، دي البداية معانا النهاردة بإذن الله سبحانه وتعالى.
عايزين بقى نركز كده وننتوي نوايا مجلس العلم: طلب العلم، تدارس القرآن، مجلس تحفه الملائكة، العمل، ننوي العمل، خاصة السورة دي بتتكلم على العمل قوي، فهتوصف اليهود إن هم ما بيعملوش، فسورة الجمعة بالذات بتركز معانا على أهمية العمل.
ننتوي العمل، ننتوي إشغال الوقت بطاعة الله سبحانه وتعالى، وقولوا لنا بقى النوايا في التعليقات لو عندكم نوايا ثانية.
طيب، يلا بينا، كالعادة، هنقرأ السورة في الأول، وبعد كده نستعين بالله تعالى ونتدبر ما تيسر من هذه السورة، ونسهلها على بعض إن شاء الله.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ :
{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (1) هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (2) وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (3) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (4) مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (5) قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (8)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (11)}

هذه الآيات الكريمة الرائعة الماتعة من هذه السورة الطيبة المباركة، سورة الجمعة.

سورة الجمعة سورة مدنية بلا خلاف، لأنها بتتكلم على اليهود، وبتتكلم على صلاة الجمعة، فأكيد هي سورة مدنية.

النبي عليه الصلاة والسلام كان يقرأ بسورة الجمعة في ركعتي الجمعة، يعني المشهور عند الناس إن صلاة الجمعة الإمام بيقرأ بالأعلى والغاشية، صحيح، أحيانًا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الجمعة بالجمعة والمنافقون، يعني الركعة الأولى يقرأ الجمعة، والركعة الثانية يقرأ المنافقون، ودي سنة يمكن قليل اللي بيعملها دلوقتي، فيا ريت إن إحنا نحاول ننشر السنة دي، إن النبي كان أحيانًا يقرأ في صلاة الجمعة بالجمعة والمنافقون.

طيب، لو حبينا نقول إن السورة دي محورها إيه؟ تدور حوالين إيه؟

لو حبينا نعمل محور للسورة...

السورة تدور حول معنى الاصطفاء، لو ركزنا في السورة دي هنلاقي إن الاصطفاء ماشي معانا فيها من أول ما ربنا اصطفى الأميين اللي هم العرب، وأرسل فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، وبيَّن فضل العرب على غيرهم، وبيَّن اصطفاء عمومًا الأمة دي بأن بعث فيها محمدًا عليه الصلاة والسلام.

بيَّن لماذا لم يصطفي اليهود، وإزاي طردهم من الاصطفاء، وإيه سبب ذلك.

وبيَّن سبحانه وتعالى ليه اصطفى يوم الجمعة، وليه اصطفى صلاة الجمعة.

وبيَّن سبحانه وتعالى إن الآخرة فُضِّلت على الدنيا،

{قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ}.

يبقى إحنا داخلين على سورة بتتكلم على الاصطفاء، يبقى أنا المفروض أطلع منها بالمعنى ده أطلع إزاي ربنا يصطفيني.

فاكرين سورة الصف، آخر سورة خدناها في الجزء الأول من قد سمع؟ كان محورها إيه؟ فاكرين؟ كانت بتتكلم على الاستجابة. قولنا ده محور السورة، وكأن دي بتسلمنا لدي؛ لأن إحنا نكتشف إن الاصطفاء اللي موجود في سورة الجمعة مرتبط بالاستجابة، وإن اليهود مشكلتهم وسبب طردهم من الاصطفاء هو عدم الاستجابة.

وإن هذه الأمة تميزت بسرعة الاستجابة، فلما كانت مميزة في الاستجابة استحقت الاصطفاء.

يبقى إذًا أنا عرفت الواجب قبل ما أبدأ السورة، يعني الصف بتقول لك: استجب، استجب، استجب.

سورة الجمعة تقول: استعد للاصطفاء على قدر الإجابة والاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى.

طيب، السورة بتبدأ بإيه؟

بتبدأ بقوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ}.

أول مرة نشوفها بصيغة المضارع، يعني جاءت قبل ذلك: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ} (الحشر: 1)

وفي سورة الأعلى نلاقي: {سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى}
وكأن الله سبحانه وتعالى أراد إنه ينوع، فمرة تأتي بصيغة الماضي: {سَبَّحَ لِلَّهِ}
ومرة تأتي بصيغة المضارع: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ}
ومرة تأتي بصيغة الأمر، والأمر بيقصد به المستقبل، وكأن المطلوب والمراد إن يجتمع لله التسبيح في الماضي والحاضر والمستقبل.
{فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ۝ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ} (الروم: 16، 17)
فيجتمع له التسبيح سبحانه وتعالى في كل وقت.
والآية بتقول: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ}
يبقى اجتمع التسبيح من كل الكائنات، فاجتمع له التسبيح من كل أحد في كل وقت، فتخيل بقى!
طيب، إيه هو التسبيح؟
خدناها قبل كده كذا مرة: التسبيح هو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب، فلا يوجد فيه نقص لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أقواله، ولا في أفعاله، ولا في دينه، ولا في شرعه، ولا في كلامه، ولا في أي شيء يتعلق به سبحانه وتعالى.
فله الأسماء الحسنى، جل في علاه، تنزَّه عن الشريك والولد والنظير، و... و... و...
وبالتالي ربنا بيحب قوي التسبيح؛ لأنه اعتراف لله وإقرار لله بالكمالات، طبعًا هو منزَّه عن النقائص، ويشمل ذلك إثبات الكمالات المطلقة له سبحانه وتعالى.
{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ}
جميع الكائنات تسبحه بحمد الله:
{وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ} (الإسراء: 44).
والمعنى ده ذكرناه عدة مرات في هذه السورة المباركة، وهي شعور الإنسان في بداية السورة إن إنت الطبيعي، إنت حين تستجيب لله، زي ما خدنا في سورة الصف، إنت حين تريد الاصطفاء، إنت ماشي في الطريق الطبيعي، طريق جميع الكائنات.
قد تبدو غريب بالنسبة لبعض البشر:
«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء».
أنا غريب بالنسبة لمين؟
بالنسبة للبشر؛ لأن أغلب البشر لم تلتزم بدين الله سبحانه وتعالى.
أما لو وسعت المدارك وبصيت حواليك للسما والأرض والنجوم والجبال والشجر والدواب والحيوانات والطيور والأسماك والحشرات، كل شيء إنت متسق مع كل شيء.
الله سبحانه وتعالى قال للسماوات والأرض: {ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ} (فصلت: 11).
إنت لما تطيع ربنا، إنت زي السما والأرض، الأرض بتحبك، السما بتحبك.
لو مت، لا قدر الله، تبكي عليك السما والأرض.
أما الفاجر والفاسق، مستراح منه، {فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ} (الدخان: 29)

الشجر بيسبح، الأرض بتسبح، السما بتسبح.
النبي عليه الصلاة والسلام بيقول: «إني لأعلم حجرًا بمكة كان يسلِّم عليَّ، يقول: السلام عليك يا رسول الله».
الصحابة بيقولوا: كنا نسمع تسبيح الحصى في يد النبي عليه الصلاة والسلام.
النبي عليه الصلاة والسلام لما كان بيخطب على جذع شجرة أو نخلة، وبعد كده عملوا له منبر، لما وقف على المنبر بكى الجذع، والصحابة سمعوا بكاء كأنين الطفل الصغير.
لما وقف النبي عليه الصلاة والسلام على جبل أحد، اهتز الجبل، قال فرحًا بالمقامات اللي عليه.
والنبي عليه الصلاة والسلام بيقول: «جَبَلُ أُحُدٍ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ».

فالطير تسبح: {وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ} (النور: 41) .
{يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ} (سبأ: 10).
المهم في الحديث، النبي عليه الصلاة والسلام بيقول إيه؟
«ما تستقِلُّ الشمسُ فيبْقَى شيءٌ مِنَ خلْقِ اللهِ إلَّا سبَّحَ اللهَ بحمدِهِ إلَّا ما كانَ مِنَ الشياطينِ، وأغبياءِ بني آدَمَ».
يعني كل شيء الشمس بتشرق عليه بيسبح بحمد ربنا، إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم، يعني العصاة والكفار من بني آدم.
وبالتالي أنا لما بكون ملتزم، وإنتِ لما تكوني ملتزمة، إنت لما تكون على السنة، إنتِ لما تكوني على السنة، إنتِ إنسانة طبيعية.
الناس اللي حوالينا اللي مش ملتزمين، أو اللي مش مسلمين مثلًا، هم اللي مش طبيعيين. إنت طبيعي جدًا، فما تحاولش إن إنت تقلدهم وتخالف الدنيا كلها.
يعني إنت تسير في المسار الصحيح.
{أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ}(الملك: 22).
فالطلعة نفسها بتفرحك، وكمان في اللي جاي: الثبات.
{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ}، إيه بقى؟
{الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.
يا الله، ده شوية أسماء تخليني وتد في الالتزام.
الملك {لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ}(طه: 6) ، هو الملك، أنا ماشي في خدمة الملك.
ولا شك إن الشخص بياخد شرف سيده، سيدك هو ملك الملوك سبحانه وتعالى، يملك كل شيء، فأنت واخد شرف.
عشان كده أشرف لقب للإنسان إن يُسمى عبد الله.
ربنا لما أراد إن هو يكرم النبي عليه الصلاة والسلام في مقامات كتير، سماه عبد الله:
{سُبۡحَٰنَ الَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ}(الإسراء: 1)
{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَٰبَ}(الكهف: 1)

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ}(الفرقان: 1)
{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}(الجن: 19).
ولما أراد يكرم سليمان عليه السلام وأيوب عليه السلام قال: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}(ص: 30).
فلما إنت تقول: أنا عبد لله، ده شرف، يا ريت تبقى عبد لله، لقب عظيم شريف.
{وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا}(الفرقان:63).
إنتِ أمة الله، هذا لقب شريف.
فلو قلنا مثلًا إيه؟ شخص خادم، لو قلنا خادم الملك، ده ليه وضع كبير قوي؛ عشان مجرد إن هو قريب من الملك.
فما ظنكم بعبد الله الملك؟
وده بيطمني إن أنا في الأمان، ما هو الملك هو اللي يملك، يعني بيملك الرزق.
الناس اللي بتخاف على رزقها بسبب الإلتزام، ربنا بيملك الرزق، يملك الطعام والشراب والمال والزواج والخير والأولاد، وكل حاجة.
فأنا لما أمشي في مراد الملك ما أقلقش، بالعكس أنا أقلق لما أمشي في عكس مراد الملك.
{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ}(طه: 132).
وفي نفس السورة دي هتيجي لنا:
{قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـٰرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ}.
سيب التجارة وصلّي الجمعة، وتأكد إن رزقك أكثر من الرزق اللي كنت هتاخده لما سبت الجمعة ورحت تاخد التجارة.
فالشغل اللي ضاع عليك بسبب التزامك ما تقلقش، رزقك ما قلش.
العريس اللي ما وافقش عليكِ عشان نقابِك ما تقلقيش، رزقك ما قلش.
الأذى المادي اللي حصل لك بسبب إن إنت أصريت على الحلال ما تقلقش، رزقك ما بيقلش.
إنت مع الملك.
قيل لأحد السلف: ألا تخشى الفقر؟
قال: كيف أخشى الفقر؟ وسيدي يملك السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.
سبحان الله.
{الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ}، القدوس يعني المنزَّه عن كل عيب ونقص، وهي نفس فكرة التسبيح.
منزَّه عن كل عيب ونقص.
وبالتالي القدوس دي يعطي معنى جميل: إن هو كل عيب ونقص زي ما قولنا في أسمائه وصفاته وشرعه ودينه وأوامره ونواهيه، فلما بمشي في مراد الله ما أقلقش، أكيد اللي أنا بعمله ده صح، أكيد ما فيهوش عيب، حتى لو أنا مش فاهم الحكمة شوية أحيانًا.
لو أنا مش فاهم حكمة التشريع ده، ليه ده حرام أو ليه ده واجب، بس خلاص ربنا قدوس.
من معاني القدوس إنه منزَّه أن يأمر بشيء بلا حكمة.
فكل أوامره عدل، وكل أخباره صدق، سبحانه وتعالى.

فأنا بمشي في مراد الله في الشرع وأنا متطمن إن ربنا القدوس، فما فيش أي عوار في ديني، ولا عندي بطحة بحسِّس عليها،
ولا بستحي من أي أمر من أوامر الله،
ولا أجد حرجًا من التحاكم إلى دين الله سبحانه وتعالى.
{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}(النساء: 65).
{الٓمٓصٓ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ}(الأعراف: 2).
{الْقُدُّوسِ}، ثم قال تعالى: {الْعَزِيزِ}.
الله العزيز، وشرحناها عدة مرات قبل كده، قلنا العزيز الذي لا يُغالب، يعني ما فيش أصلًا حد يفكر إن هو يغالبه، مش يغلبه، يغالبه أصلًا، المحاولة نفسها مش موجودة.
{يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَن تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي}.
وبالتالي هذا ربك.
يعني دي بتعالج لي حتة ثانية، أحيانًا الواحد الشيطان بيخش له من حتة الأوامر والنواهي يشككه فيها، فتقول له: القدوس.
يخش له من ناحية الرزق وناحية الجواز، فيقول له: الملك.
يخش له من ناحية الأعداء والاضطهاد والأذى الأمني، يقول له: العزيز.
الله، بص: ملك، قدوس، عزيز.
كل واحدة ردت على مشكلة في الالتزام:
مشكلة الرزق والزواج قال لك: الملك.
مشكلة الأوامر والنواهي واضطرابك في بعض الحاجات قال لك: القدوس.
مشكلتك في الإيذاء والاضطهاد والمشاكل اللي بتواجه الملتزم في أمنه والكلام ده قال لك: العزيز.
إنت مع هذا الرب سبحانه وتعالى، هذه صفاته، كيف تتركه؟
هتتركه لمين بقى؟ لعاجز ذليل وضيع؟
هتمشي ورا مين ؟
شرف المؤمن إن هو يتبع الملك القدوس العزيز، ثم قال: {الْحَكِيمِ}.
الحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه اللائق به، الحكيم هو الذي لا يخطئ أبدًا، الحكيم هو الذي دائم الإصابة في القول وفي العمل سبحانه وتعالى، أو دائم الإصابة سبحانه وتعالى.
فالحِكمة، يقولون، هي الإصابة في القول وفي العمل.
خد بالكم، أحيانًا الاسم لوحده بيبقى فيه كمال، فلما بيتحط مع اسم ثاني يبقى الكمال بيزيد.
يعني العزيز مع الحكيم دي كمال زائد؛ لأن عادة الشخص الحكيم في صورتنا الذهنية بيبقى شخص ضعيف، عادة راجل عجوز ده اللي هو بيبقى عنده حكمة بس هو دايمًا ضعيف.
بالعكس، العزيز قوي، بيبقى دايمًا بيبطش وبيغلط، وياخد قرارات عشوائية بسبب سلطانه.
أما أن تجتمع العزة مع الحكمة، فهذا أكمل ما يكون.

فالله تعالى عزته لا تؤثر على الحكمة، وحكمته لا تؤثر على عزته سبحانه وتعالى، فهو العزيز الحكيم.

إنت أصلًا داخل السورة خلاص، أنا كده أنا معاكم، يعني تحس إن جزء قد سمع كله بيقول لك: التزم.

ما تقلقش، كله بدأ: سبح، يسبح، سبح، يسبح، فأنت خلاص إنت واخد قرارات من زمان.

ولأن هي السورة أصلًا، زي ما قلنا، السورة اللي فاتت الصف كانت بتقول لك: الاستجابة.

فشجعتك على الاستجابة، ودي جاية تأكد لك: إنت صح، إنت ماشي صح.

واطمن، هذا هو ربك الذي استجبت له، وبالتالي ده اللي هيصطفيك.

فاللي هيصطفي لازم يكون ملك، ولازم يكون عزيز سبحانه وتعالى، وهيصطفي بحكمة، فهو الحكيم سبحانه وتعالى.

لذلك أول حاجة بدأها في بيان معاني الاصطفاء، قال:

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ}.

مين الأميين؟

الأميين المقصود بهم العرب.

وكما قال تعالى حكاية عن أهل الكتاب: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ}(آل عمران: 75).

كانوا بيأذوا العرب ويسرقوهم والكلام ده، ويقولوا: مش مشكلة العرب دول، إحنا نعمل فيهم أي حاجة، ربنا مش هيحاسبنا على دول.

زي ما اليهود دلوقتي شايفين ما فيش مشكلة يؤذوا العرب أو يقتلوا العرب، هم شايفينك إنت أمة تحتهم، رغم إن السورة دي، هتبين العكس، إن جنس العرب مفضل على جميع الأجناس كما سنرى.

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ}، يبقى الأميين هما العرب، العرب الذين بعث فيهم النبي عليه الصلاة والسلام.

طب اتسموا أميين ليه؟

أميين جمع أمي، والأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب.

وسُمِّي الذي لا يقرأ ولا يكتب أمي نسبة إلى الأم؛ لأنه وكأنه يعني زي ما ولدته أمه، يعني لا يقرأ ولا يكتب.

زي ما ربنا قال:

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا}(النحل: 78).

لا تعلمون، يعني هو ما كانش بيقرأ، زي ما اتولد كده، لا يقرأ ولا يكتب، هو برضه لا يقرأ ولا يكتب، فده بيسمى أمي.

وليس المقصود بالأمي الجاهل هنا؛ لأن هذه الأمة، أمة العرب، كان فيها علم كتير: عارفين علم التواريخ والأنساب والأشعار واللغة، رغم ذلك لا يقرأون ولا يكتبون.

وهذه مسألة مهمة؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام من نفس الأمة، فهو نبي أمي، أي لا يقرأ ولا يكتب.

وهو قالها صريحة لجبريل لما جاءه في الغار، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ.

ما أنا بقارئ، وبالتالي لا يكتب عليه الصلاة والسلام، فالذي لا يقرأ من باب أولى لا يكتب.

يبقى إذًا النبي أيضًا مثل الأمة، لا يقرأ ولا يكتب، وهو قال عن الأمة دي: «نحن أمة أمية، الشهر عندنا هكذا وهكذا»، يعني إحنا بنحسب بالشواهد الكونية، مش بنكتب ولا بنسجل أرقام ولا كده.

طيب، الأمية مش أمي دي المفروض تكون معناها جاهل؟

الإجابة: لا، لا يلزم ذلك.

متى تكون الأمية عيب؟

في بعض الناس أصلًا بيحاول ينفي إن النبي عليه الصلاة والسلام كلمة أمي دي اللي هي معناها لا يقرأ ولا يكتب، وبيحاول يحملها على معاني ثانية، وكأنه شايف إن ده عيب يعني.

نقول وبالله التوفيق: إن الأمية تكون عيب في حالة واحدة، إذا كان مصدر تلقي العلم عندك هو القراءة والكتابة.

أما إذا كنت لا تعتمد على القراءة والكتابة في تلقي العلم، فالأمية بالنسبة لك غير مؤثرة؛ لأنك بتتعلم بطريقة ثانية.

فالعرب كانوا لا يعتمدون على القراءة والكتابة في تحصيل العلم ولا في حفظ العلم، إنما كانوا يعتمدون على الذاكرة.

كانوا بيحفظوا، بيحفظوا الأشعار، ما كانش محتاج يكتب، أكتب ليه؟ ما أنا بحفظ.

كان عندهم حفظ رهيب.

كان النبي عليه الصلاة والسلام زيهم، كان عنده علم كبير جدًا من غير ما يقرأ ولا يكتب.

ولعل ذلك من أسباب اختيار الأمة دي.

ليه؟

لأن الدين في الماضي اتحرف، ليه؟

لأن أهله كانوا بيعتمدوا على الكتابة، ما كانوش بيحفظوا الكتب.

فكان سهل أي حد يحرف الكتب ويكتب حاجة ثانية، وخلاص، والكتاب ده يعتمد، والناس كده كده مش حافظين القديم، فبيصدقوا الجديد وخلاص.

لكن الأمة دي أمة بتحفظ الكتاب في الصدور، فلا يمكن التحريف.

إحنا أصلًا لا نعتمد على المصاحف في حفظ القرآن أبدًا، ولا السنة حتى، وإنما نعتمد على حفظ الصدور والرجال.

لذلك {ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ}، {هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ}، دي كانت ميزة في حفظ الدين.

والأُمِّيَّة بالنسبة للنبي ﷺ قلنا هي أصلًا لا تساوي الجهل، بل هي كانت ميزة له ﷺ.

إزاي بقت ميزة له؟ ميزة ليه؟ لأن هي نفت عنه شبهة كانت ممكن تأثر على تصديق الناس له. وهو لو كان بيقرأ ويكتب كان الناس قالوا: يمكن جايب الكلام ده من كتب ثانية، من كتب السابقين.

وربنا بيّن الموضوع ده في سورة العنكبوت قال:

{وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}(العنكبوت: 48،49).

سبحان الله، فدي كانت بالنسبة له حمايه من اتهامه بأنه قرأ أو كتب في كتب السابقين. فده معنى كلمة الأميين.

فقوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ...}

طيب، هل معنى ده إن النبي ﷺ أُرسل للعرب بس؟ لأ.

طب ليه ربنا قال: هو الذي بعث في الأميين؟ هنا لبيان فضل الله على العرب، وليس معنى ذلك أنه أُرسل للعرب فقط. وإلا فالأدلة الثانية، وفيها أدلة موجودة أصلًا في نفس السورة، تدل أنه أُرسل إلى الناس كافة، من قوله تعالى:

{وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ}

يعني أُرسل إلى آخرين، يعني أُرسل للعرب والآخرين... فاهمين؟

غير الأدلة الثانية:

قول الله تعالى:

{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا}(سبأ: 28)

وقوله تعالى:

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}(الفرقان: 1)

وقوله تعالى:

{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}(الأعراف: 158)

وقول النبي ﷺ:

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أحد من هذه الأمة لا يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كانَ مِنْ أَصْحَابِ النار».

وفعل النبي ﷺ نفسه، أنه أرسل رسائل إلى الفرس والروم، وراح تبوك، وكان بيعد العُدّة لفتح ما هو خارج جزيرة العرب، ده أكيد معناه أنه أُرسل للناس كافة.

وأصلًا السورة دي فيها دليل جواها برضه أنه ما أُرسلش للأميين بس، زي قوله تعالى:

{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ}

يعني وأُرسل إلى آخرين كما سيأتي.

طب ليه ربنا اختص هنا؟ ليه قال الأميين برضه؟

زي ما قلنا، السورة دي بتبين الاصطفاء والاجتباء. فربنا اصطفى هذه الأمة، أمة العرب، اصطفاها أولًا ببعثة النبي ﷺ، واصطفاها على باقي الأجناس.

النبي ﷺ بيّن أن ربنا اصطفى قريش، واصطفى من قريش بني هاشم، قال: «واصطفاني من بني هاشم». وبالتالي ربنا اصطفى أمة العرب عمومًا. ففي بداية الحديث قال: «إن الله اصطفى بني إسماعيل»، يعني العرب.

ففي الحقيقة أفضل الأجناس هما العرب، عكس ما بيراوغ اليهود خالص بقى، يقول لك: شعب الله المختار. لأ، الحديث بيّن أن ربنا اصطفى العرب على سائر الأمم. اصطفاهم كجنس، يعني هذا الجنس أفضل من غيره.

وده واضح لما الرسالة نزلت فيهم، قد إيه اتحولوا، صاروا الصحابة: الشجاعة، والكرم، والقوة، والبأس، وحمل الدين. واضح أن أداء الأمة دي اللي نزل فيها القرآن أفضل من أداء أي أمة ثانية نزل فيها وحي. لذلك الأمة دي أفضل الأمم على الإطلاق.

وكذلك هذا الجنس، جنس العرب، مفضل على جنس الروم وجنس الفرس وهذا الكلام.

ولكن رغم هذا الاصطفاء، اللي هو اصطفاء جنس عمومًا، جاءت الشريعة بعد ذلك ببيان أن مش معنى الجنس أفضل أنه أفضل في الآخرة. لأ، هو ممكن يكون أفضل في مقوماته في الدنيا، لكن في الآخرة الموضوع مختلف.

لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود، إلا بالتقوى.

{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ}

لكن بنقول كجنس: طبيعة الجنس، ومقوماته، وصفاته، لأ، جنس العرب أعلى من الأجناس الأخرى.

لكن عند ربنا بقى مين الأفضل؟ ده موضوع ثاني. الأفضل عند ربنا هو الأتقى، {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ}

{هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ..}

ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه بيقول: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه واختاره للرسالة. ثم نظر في قلوب العباد، فوجد قلب أصحاب محمد ﷺ خير قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فجعلهم له وزراء وأنصارًا وأصهارًا. فما رآه المسلمون حسنًا فهو حسن، وما رآه المسلمون سيئًا فهو سيئ.

{هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ}، يعني دي ميزة كبيرة جدًا.

{وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ}(الزخرف: 44)

{يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ}(آل عمران: 164).

هي دي وظيفة الرسل، وهو ده اللي احنا بنعمله في الدرس. أول الدرس بنعمل إيه؟ يتلو عليهم آياته. أثناء الدرس بنعمل إيه؟ بنعلمكم ونزكيكم. فهي دي الرسالة.

ما نعمله هذا هو نموذج عملي لرسالة النبي ﷺ:

نتلو الآيات، وبعد كده ننتقل إلى التعليم والتزكية، نعلمك المعاني، ونتكلم على التطبيقات، وإزاي تصلح قلبك بالآيات دي.

وده المفروض يكون أداؤنا.

نعمل المجالس دي كتير في المساجد، وفي دور القرآن، وفي البيوت، وفي الحلقات، وفي أي اجتماعات أسرية. نتلو آيات، ونعلم، ونزكي على طول.

وهذه أشرف الوظائف: وظيفة الرسل.

{يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ}

يقرأ الآيات، {وَيُزَكِّيهِمْ}

طيب يعني إيه؟ يزكيهم. التزكية كما تعلمون ليها معنيين:

التزكية من النماء، يقال زكى الشيء أي نما.

والتزكية من التطهير، فيقال الزكاة يعني الطهارة.

فهي في الحقيقة المعنيين، لأن الزكاة هي تطهير النفس من عيوبها وآفاتها، وأخلاقها الرذيلة، والعادات الذميمة، والشرك، والكبائر، والبدع، ثم نماء النفس: نماء النفس بالتوحيد، والعمل الصالح، واتباع السنة، وفضائل الأعمال، وهذا الكلام.

فهو في الحقيقة بيزكيهم بالمعنيين، لأن التزكية عبارة عن تخلية وتحلية:

تخلية، اللي هي التطهير من الحاجات الرذائل وكده،

والتحلية بالتوحيد، وفضائل الأعمال، والواجبات، والسنن، والحاجات دي.

فهو ده الهدف، هدف تلاوة الآيات. عشان كده ده بيخليني لما أقرأ القرآن، زي ما علمتكم كتير، والمعنى ده بأوصله لكم: اقرأ بهذه القصد، بهذه النية.

يبقى لازم عشان النية دي تحصل أتعلم. ما عمرك ما هتعرف القرآن إزاي بيزكيك، وبيربيك، وبيأدبك، وبيطهرك، وبينميك، إلا لو اتعلمت.

فلازم تتعلم، لازم تفهم التفسير، وبعد كده حد يساعدك في التدبر، وبعد كده أنت بقى تنطلق مع نفسك في إيجاد العمل والكلام ده.

{وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ}

طيب، يعني إيه الكتاب؟

القول الأول: أن الكتاب هو القرآن.

طيب لو قلنا الكتاب هو القرآن، يبقى إيه الحكمة؟ تحتمل احتمالين:

الحكمة: السنة، وغالبًا الحكمة لما تقترن بالقرآن بيبقى معناها السنة.

يبقى يعلمهم الكتاب يعني القرآن، والحكمة هي السنة.

القول الثاني: يعلمهم الكتاب يعني القرآن، والحكمة أي فهم القرآن، يعني في قرآن وفي فهم القرآن.

والحقيقة القولين مش متعارضين، لأن السنة هي اللي بتفهمنا أصلًا القرآن، فالسنة شارحة للقرآن.

فما فيش تعارض، سواء قلنا الحكمة هي السنة، أو قلنا الحكمة هي فهم القرآن، القولين بينهم تلازم.

يبقى ده لو اتكلمنا عن الحكمة. الحكمة فيها قولين، بس احنا لسه ما قولناش الكتاب.

لو قلنا الحكمة فيها قولين وخلاص قلناهم، ده لو قلنا إن الكتاب معناه القرآن يبقى الحكمة فيها معنيين.

لكن في أصلًا قول ثاني في الكتاب.

قالوا: الكتاب يعني الكتابة.

طيب قالوا ليه الكتابة؟ قالوا في قرينتين بترجح إن الكتاب هنا بمعنى الكتابة:

أول حاجة: أن ربنا وصفهم هنا بالذات بالأميين، يعني الذين لا يقرأون ولا يكتبون، فأراد يمتن عليهم فامتن عليهم بتعليم الكتابة.

والوحي لما نزل شجّع الناس تتعلم الكتابة لتوثيق الوحي، والنبي ﷺ كان حريصًا إنه يعلم الصحابة الكتابة.

لذلك بعد غزوة بدر، كما تعلمون، كان المشركين اللي أُسروا في بدر، كان النبي ﷺ بيفديهم إزاي؟ يقول لهم: اللي يعلم عشرة من المسلمين الكتابة يُطلق سراحه مجانًا.

فكان حريص إن الناس تتعلم الكتابة، لأنه عارف إن الحفظ هيقل مع مرور الزمان، فلازم العرب يبتدوا يتوارثوا الكتابة عشان ما يحصلش نسيان ولا حاجة.

القرينة الثانية: أن ربنا ذكر {يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ}، قالوا: ذكر الآيات اللي هي القرآن، فلو قلنا {وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ} يبقى بنعيد الكلام تاني. وقاعدة في التفسير أن التأسيس مقدم على الإعادة أو التوكيد، فأقول معنى ثاني بدل ما أعيد نفس المعنى.

فقالوا: الكتاب يعني الكتابة، فده قول ليه وجاهة.

{وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ}

طيب لو قلنا الكتاب بمعنى الكتابة، يبقى معناها إيه الحكمة؟

الحكمة: يعني الاستقامة في القول والعمل. يعني أنا أكتب العلم، وأستقيم عليه، وأعمل به في قولي وفي عملي.

{وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ}

{وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ}

طبعًا، العرب كانوا المفروض ورثوا ملة إبراهيم، لكن بدلوا فيها، وحرفوا، وغيروا في أحكامها، وغيروا في التوحيد، وأشركوا، وعملوا الأصنام. فضلًا عن غيرهم من الفرس والروم، والتبديل والتحريف اللي حصل فيهم.

الحقيقة أن كل الأرض كانت في ضلال مبين.

وفي الحديث:

«إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ».

ده الوضع اللي بُعث فيه النبي ﷺ.

{وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ}

ثم قال تعالى:

{وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ}

وآخرين إيه؟

{مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}

وآخرين منهم، الواو دي واو عطف. عطف على إيه؟

القول الأول: عطف على {فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ}، يعني بعث في الأميين، وآخرين منهم.

فده يدل على شمول رسالته ﷺ.

وقيل: معطوف على {يُعَلِّمُهُمُ}، يعني يعلمهم ويعلم آخرين.

والحقيقة القولين بينهم تلازم برضه، فلو قلنا معطوف على الأميين، أو قلنا معطوف على التعليم، ففي الآخر في غيرهم:

إما بعث المقصود بعث إلى غيرهم، أو بيعلم غيرهم، فما فيش تعارض بين القولين.

{وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}

يعني إيه لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ؟

قيل حسب متعلق يلحقوا بهم، يعني هي بتقول ناس ما لحقوهمش في حاجة معينة. ما لحقوهمش في إيه؟

القول الأول:

لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ في الفضل، يعني الأمم الأخرى. وده دليل إن العرب أفضل من غيرهم.

ربنا بيقول: بعث إلى آخرين منهم لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ. بعث النبي ﷺ إلى العرب، وإلى آخرين لم يلحقوا بهم في الفضل، أي الروم والفرس وغيرهم. فدول لم يلحقوا العرب في الفضل، لأن العرب أفضل كجنس من غيرهم.

وإذا قلنا كمان إن الروم والفرس لم يروا النبي ﷺ أغلبهم، فده يدل إنهم لم يلحقوا بهم في الفضل، لا في الجنس ولا في فضل الصحبة.

يبقى دول تفوقوا عليهم في الجنس كعرب، وفي الصحبة لأنهم الصحابة، واللي ما فيش حد زيهم أكيد.

القول الثاني:

لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ في الزمان، يعني أُرسل إلى آخرين لم يلحقوا بهم في الزمان.

يعني أُرسل إلى الجيل ده، وجميع الأجيال التي ستلي هذا الجيل، الذين لم يلحقوا بهم في الزمان، يعني جميع الأجيال اللي بعد كده.

فالنبي ﷺ لم يُرسل إلى الجيل المعاصر له فقط، إنما أُرسل إلى جميع الأجيال في جميع الزمان من بعده ﷺ.

وبالتالي لو قلنا لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ في الزمان، اللي هم بعد الصحابة، يبقى ده يشمل ضمنيًا لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ في الفضل، سواء عرب أو غير عرب.

لأن هنا بنقارن بين فضل الصحابي وفضل من جاء بعده، ولا شك أن فضل الصحابي أعلى من فضل من جاء بعده في الجملة.

وبالتالي اللي جاء بعد الصحابة لا يمكن أن يدرك الصحابة في الفضل.

«لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

قال تعالى:

{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}، وهنا بقى يبان التفضيل، إن ربنا بيفضل بحكمة سبحانه وتعالى.

ذلك دي إشارة لإيه؟

البعض قال: إشارة إلى النبوة.

يعني: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، أي هذه النبوة فضل من الله، وقد آتاها الله محمدًا ﷺ، ويختار ما يشاء سبحانه وتعالى، ويفضل من يشاء على من يشاء.

القول الثاني:

ذلك فضل الله على هذه الأمة ببعثة النبي ﷺ، فربنا اختار الأمة دي إن هي تكون أفضل الأمم، ورغم إنها آخر الأمم، لكنها أفضل من جميع الأمم ببعثة النبي ﷺ.

القول الثالث:

ذلك فضل الله على العرب، أن جعلهم كجنس أفضل من العجم.

وفي قول رابع جميل قوي قوي:

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ذلك فضل الله على الآخرين.

مش إحنا قلنا الآخرين اللي هم غير العرب؟

ذلك فضل الله عليهم أن ألحقهم بالعرب، وجعل التفاضل بالتقوى وليس بالجنس عنده.

ذلك فضل الله على العجم، أن ألحقهم بالعرب في شمول رسالة النبي ﷺ للجميع، ثم جعل:

لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود، ولا أحمر، إلا بالتقوى.

فجعل يوم القيامة مفيش ميزة لعربي عن أعجمي لمجرد الجنس، رغم إن في الدنيا من حيث الصفات والمقومات الجنس العربي له تميز.

لكن ربنا تفضل على العجم إنه أرسل لهم محمدًا ﷺ أيضًا، وزائد إنه جعل التفاضل الحقيقي يوم القيامة ليس في الجنس، وإنما في التقوى.

شوفت الفضل الجميل ده؟

فسبحان الله، يتفضل على من يشاء سبحانه وتعالى.

{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}

فده بيخليني طمّاع في فضل الله، فضل عظيم.

أقول: يا رب افتح لي أبواب فضلك، يا رب أكرمني من عندك، يا رب أعطني.

الإنسان يطمع في فضل الله سبحانه وتعالى.

والآية دي والسورة بتتختم بـ:

{وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}

فده بيحمسك قوي: اطلب، اطلب، اطلب بقدر ما عند الله، ما تطلبش بقدر همتك ولا بقدر احتياجاتك، اطلب.

سيدنا سليمان قال:

{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}

سبحان الله.

لكن بص الآيات اللي هتيجي بعد كده، بعد ما قال: {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

يقول الله سبحانه وتعالى:

{مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا}

اربط بقى: هو الفضل ده كده؟ لأ، إحنا قلنا ربنا حكيم، يبقى الفضل ده مرتبط بحكمة.

طب إمتى يا رب الفضل ده بتؤتيه؟ ولمين؟ وعلى أساس إيه؟

آه، هنا بقى فضل الله، اللي هو الفضل الأعلى: الهداية، والاستقامة، والكرامات، وحسن الخواتيم، ودرجات الجنات.

يا رب الفضل ده مرتبط بإيه؟

مرتبط بـ ما عند الله، اللي هيتقال في آخر السورة:

{قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـٰرَةِ}
هو ده التفضيل اللي بجد.
أما مفاضلة الناس في الدنيا: مين أخد إيه ومين ما أخدش، دي مفاضلة شكلية في الظاهر، لكن في الحقيقة كل ده صراع على جناح بعوضة أو أقل، فمش هو ده الفوز الكبير.
الفوز الحقيقي والذي يجب التنافس عليه هو:
العمل الصالح، والتوحيد، والتوفيق، والهداية، والإعانة، والسداد، وحسن الخواتيم، ودرجات الجنة.
طيب، يا رب مين هياخد الحاجات دي؟
هذه لا تُنال إلا بعمل.
ودي الرسالة الخطيرة في سورة الجمعة، اللي بعد سورة الصف، لما اتقال: كونوا أنصار الله.
عايز الفضل؟ كونوا أنصار الله.
عايز الدرجات؟ اشتغل.
عايز المكانة؟ اعمل.
اوعى تكون زي اليهود.
عايزين المكانة من غير عمل؟ مش هيحصل. مش هيحصل.
عمرك ما هتنال مكانة عشان أبوك فلان، ولا أخوك فلان، ولا عشان تاريخ سابق.
إنت إيه دلوقتي؟
اليهود ليهم تواريخ كتير، بس بوّظوا التواريخ دي بأعمالهم السيئة، فالجيل الجديد ما يستحقش أي حاجة.
{مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ}
ربنا أمرهم بحمل التوراة، والمقصود بحمل التوراة: العمل بها.
وإيه هو حمل الرسالة إلا العمل بها، وأداء حقها، والدعوة إليها؟
هل إنت بتدعو إلى الالتزام والهداية؟
هل إنتِ ملتزمة بأحكام الإسلام؟
هل إنت فاهم قرآن وبتشتغل بيه؟
ولا هنكون شبه اليهود: نحفظ قرآن، ولا نفهم، ولا نتدبر، ولا نعمل؟
ربنا ذم اللي بيحفظ وخلاص:
{لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}(البقرة: 78)
{مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا}
يعني إيه حُمِّلُوا ولم يَحْمِلُوهَا؟
كُلِّفوا بحملها، ربنا قال لهم احملوها.
احملوها يعني ايه؟ يعني زي ما ربنا قال:
{خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَـٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ}(البقرة: 63)
ثم لم يحملوها: لا فهموها، ولا حافظوا عليها، بل بدّلوا، وحرّفوا، وغيّروا، وضيعوها.
{كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}

زي الحمار كده.
والحمار دايمًا يُضرب به المثل في أردأ الصفات.
هو حَمّال، بيشيل فعلًا، لكن هو حيوان وضيع في نظر الناس كلها.
أسوأ مثلين ضربهم ربنا في القرآن لصفة واحدة: عدم العمل بالعلم.
تخيلوا!
المثل الأول: الحمار، وشبّه به اليهود في عدم العمل.
والمثل الثاني: الكلب، في سورة الأعراف، قال سبحانه وتعالى:
{وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ} (الأعراف: 175، 176)
يبقى ربنا ضرب مثال بالكلب وبالحمار في نفس الفكرة:
من أوتي العلم، وحفظ العلم، ولم يعمل به.
يبقى ما تفرحش إنك حافظ علم كتير.
الأخت الخاتمة، الأخ اللي معاه إجازة، الأخت اللي معاها إجازة في كتب سنة، الأخ اللي حافظ أحاديث كتير...
إنت دلوقتي حُمِّلت الوحي، هل حملته؟
ولا إحنا زي اليهود؟
هل أدّينا حقه؟
ولا حافظين، وأعمالنا بتخالف علمنا؟
بتصلي الفجر؟ بتغض بصرك؟
حجابِك أخباره إيه؟ لبسِك أخباره إيه؟
بتتفرج على مسلسلات؟ أفلام؟
بتسمع أغاني؟
بنكدب؟
بنحسد؟
بنسحر؟
بنسبّ؟
عندنا كِبر؟
عندنا غرور؟
بنرفض النصيحة؟
أخبار التوحيد؟
عندنا بدع؟
بنقول: مدد، وننذر لسيدي فلان؟
حاجات كتير محتاجة مراجعة.

لازم أراجع:
اللي أنا حافظه ده، بعمل بيه ولا لا؟
أخبار قيام الليل؟
أخبار صيام النهار؟
حمل الرسالة مش هو حفظها،
وإلا سهل جدااا أي حد يحفظ.
لكن حمل الرسالة: العمل بها.
سيدنا علي رضي الله عنه قال:
«يا قوم، اعملوا بعلمكم قبل أن يأتي قوم يعلمون ولا يعملون، ويخالف عملهم علمهم، أبغض الناس عند الله».
يبقى أنا عايز آخد السورة دي اصطفاء.
عايز الاصطفاء؟
عليك بالعلم، وحمل الرسالة كما ينبغي.
{كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}
والأسفار يعني الكتب، الكتب الكبيرة.
وسُمّي الكتاب سفرًا لأنه يسفر عمّا فيه، يعني يُظهره.
ولذلك تُسمّى المرأة التي تُظهر نفسها سافرة.
فالأسفار: هو الظهور
والكتاب يسفر عمّا فيه بمجرد فتحه.
{كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}
والحقيقة... الحمار أفضل منهم مهما كان.
لأن الحمار، وإن حمل الأسفار، هو حاملها ما بيفهمهاش، وهو غير مؤهل للفهم، وما بيعملش بيها، وهو غير مطالب بالعمل بيها.
لذلك هم أسوأ من الحمار في الحقيقة، لأنهم بيفهموا وهم مأمورين بالعمل.
يا ريتهم حتى ما عملوش بالكتاب بس زي الحمار، مثلًا، لأ، دول بدلوا وحرفوا كمان.
فكما قال تعالى:
{إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}(الفرقان: 44)
{مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ}
شوف أظهر صفة الظلم عشان يبين ليه ما هداهمش.
هم ظلموا أنفسهم، ومستمرون في ظلم أنفسهم، يبقى يهديهم إزاي؟
ربنا حكيم، نرجع للحكمة.
تقول لي: طب ما كان يهديهم وخلاص؟ لأ، يا جماعة، في حاجة اسمها العدل، في حاجة اسمها وضع الشيء في موضعه.
لو ربنا وضع الهداية في من لا تليق به، يبقى ده مش حكمة.

زي ما إنت تضع البذرة في أرض بور، الناس هتقول عليك بتعبث، تقول لك: حطها في أرض طيبة.
طيب، إنت عايز الهداية؟ ربنا يضعها في أرض بور ليه؟
ربنا بيضع الهداية:
{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}(الأنعام: 124)
{أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ}(الأنعام: 53)
{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ}(النجم: 30)
وبين سبحانه وتعالى هما ليه كده:
{فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ}(الصف: 5)
ثم قال تعالى:
{قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوٓاْ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ}
بص، مشكلتهم بقى إيه؟ إنهم عايزين الفضل من غير العمل، زي كتير مننا.
عايز بمجرد بقي عنده لحية، عايز يتقال له شيخ في الرايحة وفي الجاية.
هي خلاص لبست النقاب، المفروض بقى تاخد جميع الاستحقاقات بتاعة الأولياء؟
ما فيش قيام، ما فيش صلاة الفجر، ما فيش ورد قرآن، عادي مش مهم... المهم إن أنا خلاص أنا لابسة حجاب شرعي، يبقى أنا كده كمُلت؟
لأ، يا جماعة، العمل بالدين مش حاجة واحدة.
كل الحاجات دي: اللحية مهمة جدًا وواجب على الرجال، والنقاب طبعًا مهم جدًا ومن شعائر الإسلام، بس أنا عايز نلتزم {ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً}.
وبالتالي، اليهود عايزين إيه؟ عايزين إحنا اليهود بس.
زي ما في ناس تانيين يقول لك: إحنا مسلمين بالاسم وخلاص، طالما إحنا مسلمين، يبقى إحنا هنخش الجنة وخلاص؟
لأ، في مسلمين هيخشوا النار.
{قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ}
يعني إيه تمنوا الموت هنا؟ المقصود بيها المباهلة.
يعني، طيب طالما أنتم جامدين قوي كده ومطمنين، زي ما ربنا قال:
{قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ} (البقرة: 94)
{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ} (البقرة: 95)
تمنوا الموت يعني يخشوا في مباهلة.
يعني إيه مباهلة؟ اتنين خصمين يقفوا قدام بعض، ويدعوا إن الكذاب فيهم أو المدعي، أو الذي يقول بغير الحق... يدعوا الاتنين عليه، إن ربنا يموت الكاذب.
زي ما النبي ﷺ دعا نصارى نجران لما جم يجادلوه، دعاهم إلى المباهلة:
{فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ}(آل عمران: 61)

وهما رفضوا المباهلة في الآخر ومشيوا، والحمد لله، نصارى نجران أسلموا بعد كده، لكن اليهود ما أسلموش، فدعاهم إلى المباهلة، لم يباهلوا، رفضوا.

ربنا قال إن هم سيرفضون:

{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ}(البقرة: 95)

سبحان الله.

وفي الحديث، النبي ﷺ قال:

«لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا».

يعني لو دخلوا في الموضوع ده، كانوا ماتوا فعلًا.

{وَلَوْ أَنَّ النَّصَارَى بَاهَلُوا لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا}

لو باهلوا في اليوم ده، كانوا رجعوا ما لقوا أهلهم ولا أموالهم.

سبحان الله، يعني هم طبعًا بيهربوا من المباهلة دايمًا، ولا يتمنوه أبدًا.

ليه؟ بما قدمت أيديهم.

عارف إمتى تخاف من الموت؟ لما تبقى إنت عملك سيء.

وعلى قد ما عملك سيء، تلاقي نفسك مش عايز تموت.

لما حد يجيب سيرة الموت قدامك، تخاف منه، تقول له: غير السيرة، ما تجيبش السيرة دي.

بتهرب منها ليه؟ عشان إنت مش مستعد تموت.

أنا عايزك النهارده تاخد قرار جديد في سورة الجمعة: اعمل عمل من يموت اليوم.

إذا أصبحت، فلا تنتظر المساء.

وإذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح.

وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لمرضك.

وصية ابن عمر.

حماد بن سلمة كانوا يقولون عنه: لو قيل له القيامة غدًا، ما زاد شيئًا في العمل، يعني مش هيزود حاجة، لأنه جايب آخره.

عايزك تعمل كل يوم عمل مودع:

صلي صلاة مودع،

تكلم كلام مودع،

صم صيام مودع.

عايزك كل يوم الصبح تصحى كده: "أنا ميت النهارده"، أكيد واشتغل على كده.

وذكر الموت مش هيعجله، وعدم ذكره مش هيأخره.

فمتهربش من الذكرى دي.

بل هذه أحسن حاجة ليك. ليه؟

{قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ}.

وفي بعض الروايات:

«لو أن أحدكم فر من الموت لأدركه الموت كما يدركه الرزق».

يعني، هتهرب منه ليه؟ الموت ده هيجي لك، ده رزقك، زي رزقك كده ما هيجي لك، هيجي لك الموت في الوقت المحدد:

{فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} (يونس: 49)

ما تزعلش من اللي بيفكرك بالموت، ده بيعمل معاك واجب.

بل المفروض تشتغل على نفسك كتير في الموضوع ده، تسمع محاضرات عن الموت، تقعد مع ناس بيذكروك بالموت وبالقبر وبالحساب، ما تزهقش منهم.

بل إنت اللي تفتح السيرة دي، وفهم، الناس دي سيرة مش وحشة يا جماعة، إنت مش هتموت لما أقول لك إنك هتموت.

ربنا قال لسيد الناس ﷺ:{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}(الزمر: 30) ، مماتش لما اتقالت له الكلمة دي، مات في ميعاده برضه عليه الصلاة والسلام.

لكن الموت ده عامل زي الصوت اللي بيحركني كده دايمًا، بيجريك ويخليك شغال طول ما إنت عارف إنك هتموت.

أول ما تخدر نفسك وتنسي نفسك ذكر الموت، دي بداية الضياع بالنسبة لك.

هيحصل لك طول الأمد فتقسو القلوب:

{فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ}(الحديد: 16)

وبالتالي يحصل الفسق:

{وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}(الحديد: 16)

رغم أن الموت كده كده جاي في ميعاده، حتى لو طنشته، هييجي في ميعاده برضه:

{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ}

وبعد كده هتلاقي نفسك بتتحاسب مرة واحدة على كل حاجة:

{ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}

الصحابة كان خالد بن الوليد بيوصفهم يقول: "يحبون الموت كما يحب أعدائهم الحياة". ليه؟ أنا جاهز

ومعاذ بن جبل لما حضره الموت قال: "مرحبًا بالموت، مرحبًا زائرًا مغيبًا، حبيبًا جاء على فاقة. اللهم إنك تعلم أني ما كنت أحب الحياة من أجل غرس الأشجار ولا جري الأنهار، ولكن كنت أحبها من أجل ظمأ الهواجر وقيام الليالي الطويلة ومزاحمة العلماء بالركب في حلق العلم".

وسيدنا بلال لما حضرته الوفاة، بكته أخته، فقال: ما يبكيك؟ "غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبه".

سبحان الله.

فإنت مستعد للموت؟ ما تخافش من ذكر الموت، إنت بتخاف منه عشان مش مستعد ليه. فهمت؟ أستعد.

ثم انتقلت بنا السورة إلى المحور الأخير: الكلام عن صلاة الجمعة ويوم الجمعة.

والحقيقة، ونحن مستمرون في نفس الفكرة، إن ربنا بيتكلم على تفضيل.

زي ما فضل الأمة، زي ما فضل النبي ﷺ، ربنا بيفضل أيام على أيام وأحوال على أحوال، بحكمة.

فجعل الجمعة أفضل من جميع الأيام، وجعل صلاة الجمعة أفضل من سائر الصلوات، وجعل لها أحكام مميزة، وأحكام خاصة.

فضل يوم الجمعة، فده إحنا برضه شغالين في الاصطفاء.

زي ما ربنا فضل الجمعة، ممكن يفضل أي حاجة على أي حاجة، ممكن يفضلك على أي حد، بس برضه لابد أن يكون لك عمل.

ربنا بيتكلم على يوم الجمعة لأنه ناسب ذكر التفضيل عمومًا، بل سمت السورة نفسها بالجمعة.

فقال سبحانه وتعالى:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ}

طيب، يوم الجمعة، تقال جُمعة بالضم، وتقال جمعة بالسكون، وتقال بالفتح جمعة جمعة.

لكن هي في القرآن اتذكرت بالضم: "الجُمُعة".

طيب، يوم الجمعة ليه اتسمى الجمعة؟

الجمعة من الجمع.

قيل: سميت الجمعة بهذا الإسم من الجمع، طب أنهي جمع بقى؟

قيل: لأن الناس يجتمعون فيه في الصلاة، أي صلاة الجمعة.

وقيل: لأن الله جمع فيه خلق آدم.

وكما جاء في الحديث عن النبي ﷺ:

«خيرُ يومٍ طلعَتْ عليهِ الشمسُ يومُ الجمعَةِ فيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وفِيهِ أُدْخِلَ الجنَّةَ ، وفيهِ أُخْرِجَ منهَا ، ولا تَقُومُ الساعةُ إلا في يومِ الجمعَةِ، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين يصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس».

"مُصيخة" يعني مستمعه. الحيوانات عارفين إن الساعة تقوم يوم الجمعة، كله بيقوم يوم الجمعة خايف، ما عدا بني آدم لأنه عايش في غفلة.

فالقول الثاني: إنها سميت الجمعة لأن جمع فيه خلق آدم.

القول الثالث: إنها سميت الجمعة لأنه اجتمع فيها خلق السماوات والأرض.

لأن ربنا بدأ خلقه يوم الأحد وانتهى يوم الجمعة، والسبت ما كانش فيه خلق.

خلق في ستة أيام من الأحد إلى الجمعة، فاكتمل الخلق يوم الجمعة، فجمع خلق السماوات والأرض يوم الجمعة، فسمي من أجل ذلك.

وقيل: سمي يوم الجمعة لأنه تقوم فيه الساعة كما جاء في الحديث.

وربنا سمى يوم القيامة يوم الجمع:

{يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ}(التغابن: 9) .

ويوم الجمعة يعني يوم عظيم من أيام المسلمين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

عرضت الجمعة على رسول الله ﷺ، جاءه بها جبريل عليه السلام في كفة كالمرآة البيضاء، في وسطها كالنكتة السوداء.

فقال: ما هذه يا جبريل؟

قال: هذه الجمعة، يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدًا ولقومك من بعدك، ولكم فيه خير. تكون أنت الأول، وتكون اليهود والنصارى من بعدك، وفيه ساعة لا يدعو أحد ربه فيها بخير وله قسما الا أعطاهم، أو يتعوذ من شر إلا دفع عنه ما هو أعظم منه. ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد.
سبحان الله، فهنا كلام جبريل عليه السلام بيقول له: "خد الجمعة دي عيد ليك".
هو ليه بيقول له: "خد الجمعة دي عيد ليك"؟
أقول لك الحكاية: الحقيقة إن يوم الجمعة كان أصلًا عرض على اليهود والنصارى من قبلنا، لكن هم ده من الحاجات اللي اختلفوا فيها وبدلوها وغيروها.
يعني يوم الجمعة ده هو اليوم المعظم عند ربنا أصلًا.
يوم السبت مش معظم، يوم الأحد مش معظم، يوم السبت ما كانش فيه خلق أصلًا، يوم الأحد بداية الخلق فلا ده معظم ولا ده معظم، إنما المعظم اليوم اللي اكتمل فيه الخلق الذي خلق فيه آدم.
ف يوم الجمعة ورد على كل الأمم قبلنا، وما تقبلش منهم، ما عملوش به.
زي ما ربنا قال سبحانه وتعالى:
{كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ}(البقرة: 213)
ومن ذلك يوم الجمعة.
اختلفوا فالنصارى بدلوا وخلوه الأحد، واليهود بدلوا وخلوه السبت.
وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ:
"نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، نحن آخر أمة وفي نفس الوقت أفضل أمة عند الله، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له. فالناس لنا فيه، تبع اليهود غدًا والنصارى بعد غد".
وفي لفظ مسلم:
«أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة. نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي بينهم قبل الخلائق».
لأن نحن أول أمة تدخل أيضًا الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى.
فالله سبحانه وتعالى هنا يقول:
{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}
فميز بالصلاة بقى كمان، اللي بيجتمع فيها الناس.
{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}، صلاة الجمعة معروف:
{فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}
أنهي نداء؟
النداء اللي بيكون بعده الخطبة. أنتم تعلمون، هو كان نداء واحد في عهد النبي ﷺ، ينادي الأذان، يعني وبعد كده الخطبة. وكذلك في عهد أبي بكر وعمر.

ثم بعد ذلك، سيدنا عثمان عمل الأذان الأول في الجمعة، ليه؟
عشان المدينة اتسعت، فلو الناس سمعوا الأذان اللي بعده الخطبة بس على ما ييجوا ممكن الخطبة تخلص.
فجعل أذان قبلي ينبه البعيد، بحيث يستعد ويحضر.
فصار من أول سيدنا عثمان، كثير من المساجد تعمل الأذان الأول.
فالأذان الأول ده مش هو الملزم بالسعي، إنما الأذان الذي بعده الذكر، عشان كده قال الله: {فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ}.
فدل على أن الأذان اللازم السعي بعده، ما ينفعش أقصر في السعي من بعده هو الآذان الثاني ده اللي بعده الذكر
الخطبة سمّاها ربنا ذكر الله، فلا شك الخطبة لابد أن تشتمل على ذكر الله سبحانه وتعالى.
{فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ}.
ما معنى كلمة فاسعوا؟
كلمة فاسعوا فيها تنبيه مهم، ليها ثلاثة احتمالات:
الأول: فاسعوا يعني امشوا مشيًا سريعًا، كما قال تعالى:
{وَجَآءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ}(القصص: 20)
يعني الاجتهاد في المشي أو الجري.
الثاني: يأتي بمعنى القصد والاهتمام، كما قال تعالى:
{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا}(الإسراء: 19)
الثالث: السعي بمعنى العمل، كما قال تعالى:
{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ}(النجم: 39)
القول الثاني والثالث اللي هو القصد والاهتمام، والعمل.
يمكن أن تفسر بها فاسعوا إلى ذكر الله، أما القول الذي لا يمكن أن تفسر به هو القول الأول، السعي بمعنى الهرولة أو الجري أو السير السريع فهذا القول منتفى.
لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، كما في حديث أبي هريرة:
«إذا سمعتم الإقامة، فامشوا إلى الله عليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا».
وفي حديث أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال. فلما صلى قال: ما شأنكم؟ قالوا: استعجلنا إلى الصلاة. قال: (فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا).
لذلك فاسعوا إلى ذكر الله هنا، ما ينفعش تفسر بالمسارعة يعني الجري أو الهرولة أو الجد في المشي لأن ده منهي عنه، إنما تفسر فاسعوا إلى ذكر الله يعني اهتم، يلا اشتغل على نفسك.
فالجمعة، السعي بتاعها مش مجرد إن أنا رايح الصلاة، في عمل بيتعمل زي إيه؟ زي التنظف، زي الاغتسال، زي لبس أفضل الثياب، التطيب والدهن. هي مش مجرد رايح صلاة عادية، في حاجات بتتعمل.

فلذلك يفسر السعي بالعمل لصلاة الجمعة، وهو التحضير لها، ويفسر بالاهتمام والقصد لصلاة الجمعة، فدول المعنيين اللي يمشوا معانا.

فاسعوا إلى ذكر الله قال تعالى: {وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ}، وكأن الله يريد أن يمنعك من أي انشغال عن هذه العبادة العظيمة، فحرم سبحانه وتعالى البيع بعد الأذان الثاني أو الأذان الذي بعده الخطبة، لكن بعد الأذان الأول ممكن نبيع ونشتري عادي. بعد الأذان الثاني لا يجوز لا بيع ولا شراء ولا أي عقد ولا إجارة ولا زواج، ولا حتى عقد نكاح يقام في هذا الوقت، أي عقد ما ينفعش.

فلا يجوز للإنسان أن يبيع ويشتري بعد الأذان الثاني إلا لو كان غير ملزم بصلاة الجمعة، بمعنى واحدة ست بتشتري من واحدة ست عادي. لأن النساء لا يلزمهم الجمعة، وهكذا يعني، اثنين مسافرين، أو ست ومسافر، المسافر لا تلزمه الجمعة، المرأة لا تلزمها الجمعة. أما رجل ومقيم وصحيح بحيث ما عنده مرض يمنعه من إدراك الجمعة، فلا يجوز أن يبيع ولا أن يشتري، حرام.

وذروا البيع، لذلك حرام ما يحصل في الأسواق: ناس تيجي بعد أذان الجمعة، يبيعوا ويشتروا عادي، ويجوا على الإقامة، يجري، يروح يصلي، كل البيع والشراء اللي حصل ده حرام. كذلك المرأة لا يجوز أن تشتري من رجل يلزمه الجمعة، فالنساء أحيانًا بينزلوا بعد أذان الجمعة يروحوا يشتروا، يقول لك: السوق يبقى فاضي، الحق السوق، حرام. لو بتشتري من رجل يلزمه الجمعة، حرام، لأن أنت تعينيه على الإثم وبتفتنيه وبتشجعيه إن هو يبيع، فلازم كلنا نقاطع البائعين اللي يلزمهم الجمعة واللي ما بيروحوش يصلوا الجمعة بعد الأذان الثاني، ولا نشتري منهم، قول له: مش هينفع أشتري منك، روح صلِّ الجمعة. بعد الصلاة بيع، حرام اللي بتعمله ده.

لكن لو بتشتري من ست في السوق ماشي، واحدة بياعة في السوق، ما فيش مشكلة. لكن تشتري من رجل يلزمه الجمعة لا يجوز، لا يجوز، وتبقى أنت آثمة، لأن أنت اشتريتي وأنت عارفة إن الراجل ده لا يجوز أن يبيع، تمام؟

فضلًا بقى، راجل ينزل يشتري في الوقت ده، يقول لك: السوق فاضي، فأشتري، مصيبة أكبر. لا يجوز البيع والشراء بعد أذان الجمعة الثاني. بعد الصلاة ما تخلص، بيع واشتري بقى والسوق يقوم زي ما بيحصل عادي، جميل.

وذروا البيع، بص بقى الثقة في الله: {ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}. يا الله، فده يرجعنا تاني، فاكرين {ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ} ؟ مع إن الحسابات المادية بتقول: أنا لو بعت لي بيعتين في الوقت ده، هترزق، يعني ناكل عيش، الفلوس تزيد، ده حساباتك المادية.

لكن الملك اللي يملك الرزق بيقول لك: لا، ما تبيعش، ده أحسن لك، في العاقبة وفي البركة وفي سعة الرزق. إن البيعة دي لو كانت أقل في اليوم ده بسبب إن أنت امتنعت من البيع في الوقت ده، أفضل من إن أنت تبيع. يبقى أنا الشغلانة الحرام اللي خسرتها بسبب التزامي ده كان أفضل من إن أنا أشتغلها. الجوازة اللي فاتتك بسبب التزامك دي كان أفضل ما كنت تتجوزيها طول ما أنا ماشي مع مراد الله، ما بخسرش.

ربنا ربط الصلاة بالرزق مع إن الصلاة تتعارض مع الرزق، قال: {وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ}(طه: 132) .

وساعتها قلنا برده مثال للناس اللي مشوا وسابوا الخطبة عشان عايزين رزق، قال لهم: لو كنت كملت الصلاة كان يبقى الرزق أحسن لك.

ثقة في أن الطاعة هي سبب الرزق. النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (إن روح القدس نفث في روعي) يعني أوحى إليه: (أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)، يعني اطلبوا الطلب الجميل الحلال،

ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته".

يبقى ما تعملش حاجة حرام عشان تاخد رزقك، يعني لو عملت الحرام مش هتاخد رزق زيادة، يعني يبقى أنت أخذت نفس رزقك ودخلت النار. ولو عملت الحلال تاخد نفس رزقك وتخش الجنة، يبقى العاقل يعمل إيه؟ صح؟ ما تتنزليش عن حجابك عشان شغلانة، ما تتنازليش عن دينك عشان قرشين، ما تتفتنش وتاخد رشوة، ما تتفتنيش وترضي بالحرام، والله رزقك مش هيزيد، هو دينك بيقل بس، بس الرزق مش هيزيد حاجة، بتخسري الآخرة وما بتكسبيش دنيا زيادة.

{ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}. لو في ثقة في الله، طيب، فإذا قضيت الصلاة؟ {فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ}.

بص هنا بقى، سمى التجارة فضل الله، سماها الأول وذروا البيع، سماها بيع بس ما قالش وذروا فضل الله، لا، قال بعديها: {وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ}. سمى البيع فضل الله، وكأنه برده بيقول لك: دلوقتي بقي فضل الله. لما بتبيع صح وبتبيع في التوقيت الصح وبتبيع حلال، هيجيلك الفضل من الله. بعت في الحرام؟ يبقى بيع بس، لا فيه خير ولا بركة.

غشيت في الامتحان؟ لا خير ولا بركة. اتقيت ربنا حتى لو جبت درجة أقل؟ فضل الله. الدرجة دي فضل من الله، والدرجة الأعلى اللي جاءت بالغش، والله لا فيها بركة، لا في حياتك ولا في أي حاجة. أوعى تعمل حرام عشان تاخد رزق زيادة.

وابتغوا من فضل الله. ولأن الأسواق قال لهم بعد الصلاة: بقى عيش، اطلع، بيع واشتري واعمل اللي أنت عايزه.

فاسعوا، قال: {فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ}. ولأن الأسواق مظنة البيع والشراء والفصال ويمكن أحيانا الناس بتكدب ومخاصمات وكدا، فالناس بتنسى ذكر ربنا في السوق، فيأكد عليهم: أوعى تنسى، أنت لسه طالع من الجمعة، أوعى تنسى ذكر ربنا. قال:

{وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ } (الأنفال: 45).

عشان كده ربنا جعل فضل الذكر في السوق أجر رهيب، يعني أجر عجيب سبحان الله. النبي عليه الصلاة والسلام قال: (من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة) "مليون حسنة".

وفي بعض الروايات: (محيت عنه ألف ألف سيئة). تَسأل: ليه كل ده؟ ده كتير قوي. أيوه، لأن ده مكان غفلة، ودائمًا العبادة في الغفلات لها أجر كبير. عشان كده صيام شعبان أعلى صيام ليه؟ لأنه في غفلة الناس، وذكر السوق أعلى أجر لأنه في غفلة الناس. ودائمًا العبادة في الغفلات أعلى قوي عند ربنا من العبادة اللي بتبقى الناس كلها مركزة فيها.

فالإنسان طول ما أنت في السوق، بتشتري طماطم، تشتري خيار، ليه لسانك واقف؟ قول الذكر ده من أول ما تدخلي السوق لغاية ما تخلصي. والله قاعدين ساعة ساعتين، ما يقطعش الذكر ده إلا الكلام والفصال بس غير كده على طول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

لو صعب عليك، قوليها: قولي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، تمشي برده.

{وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. شوف ربط الفلاح بالذكر الكثير في الآخر.

صلاة الجمعة صلاة عظيمة. يمكن ما قلناش بعض أحاديث فيها. خليني أقول لكم حديثين، ثلاثة في فضل صلاة الجمعة:

قال عليه الصلاة والسلام: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة جمل، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر).

يعني مش بيكتبوا اسم حد خلاص. الساعة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة، وكده، دول بيتحسبوا من أول شروق الشمس لغاية الجمعة. بتتقسم لخمس أقسام، كل قسم هو ده؟ مش الساعة بالضبط، يعني 60 دقيقة، الساعة اللي هي القسم ممكن تبقى 60 دقيقة أو أكثر أو أقل، والصيف بيبقى غير الشتاء.

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام، بعض الناس بيقولوا ده أعلى أجر في كل الأعمال: (من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر، _راح بدري_ ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغُ كان له بكل خطوة عمل سنة أجره صيامها وقيامها).

وانظر إلى الحديث الرائع ده، حديث غير مشهور لكنه جميل عن صلاة الجمعة ويوم الجمعة:

عن أبي موسى الأشعري قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها، تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضًا، وريحهم تسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجبًا، حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون).

وهذا حديث عظيم، صححه الإمام الألباني.

طبعًا فضل يوم الجمعة وحضور يوم الجمعة هو في الأصل للرجال، والمرأة إذا حضرت لها يعني أجر، وإن كان يظل أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد.

لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن). تخيلي كل الأجر ده في صلاة الجمعة، وبرده صلاتك في البيت أفضل من كل ده. فصليت الجمعة في المسجد فبها ونعمت، ممكن يكون فيه دافع ليك، عايزة تسمعي موعظة، عايزة يرق قلبك، روحي الجمعة في مصلحة ثانية، جميل. لكن بنقول: صلاة المرأة في بيتها تظل أفضل من صلاتها في المسجد مطلقًا.

قال:{وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ}. اللي حصل إن الصحابة، وهم حاضرين صلاة الجمعة مع النبي عليه الصلاة والسلام، دخلت تجارة. ليه؟ رجل مشرك، مكنش مسلم ساعتها، اسمه دحية ابن خليفة، كان جاي بتجارة المدينة. والتجار اللي كانوا يخشوا المدينة، اللي هم غير المسلمين، كانوا عشان يعرفوا الناس بالتجارة، كانوا يقعدوا يعملوا طبول، يطبلوا كده عشان الناس تسمع إن في تجارة وصلت.

فالصحابة، وهم في خطبة الجمعة، سمعوا دق الطبول، فخرجوا وتركوا النبي عليه الصلاة والسلام. بدأوا يتسللوا من صلاة الجمعة عشان يلحقوا البيعة قبل ما بتخلص، يلحقوا السعر الكويس، ويلحقوا قبل ما حد ياخد الحاجات المميزة، فكل واحد عايز يلحق. ربنا ذكر المشهد ده لدرجة النبي عليه الصلاة والسلام كان قدامه ناس كتيرة جدًا، كله مشى، فضل 12 واحد بس، تخيلوا، 12 صحابي بس اللي فضلوا والباقي كله راح يلحق التجارة.

ربنا عاتبهم قال لهم: {وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا}. التجارة اللي هي تجارة دحية، واللهو اللي هو الطبل. لذلك قيل: الطبل، إزاي يبقى فيه طبل؟ قالوا احتمال من اتنين: إما كان الكلام ده قبل تحريم المعازف، ومعروف إن المعازف حرمت في الإسلام، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: "ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحِلُّونَ الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ"، وأدلة كتير على تحريم المعازف، طبعًا مشهورة. إما كان قبل تحريم المعازف، أو لأن الفاعل أصلًا كان كافر، لأنه دحية ابن خليفة هو اللي كان بيضرب الطبل.

فالصحابة سمعوه، يعني سمعوه غصبًا عنهم. أو كان تحريم المعازف عمومًا، فربنا قال:{وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا}. هو أصلًا ربنا سمى الموسيقى لهو، إما لأنها كانت حرمت بالفعل، أو كان تمهيد للنفوس للتحريم: {أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ}.

سبحان الله، سابوا النبي عليه الصلاة والسلام واقف على المنبر، وراحوا. ربنا قال لهم أدبهم:{قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ}. ما عند الله من الأجر، صلاة الجمعة الأجر اللي فيها أفضل من الدنيا وما فيها، خير من اللهو اللي سمعتوه، ومن التجارة اللي جريتوا عليها.

وقيل اللهو هنا يعني الانشغال بالدنيا "خير من الدنيا وما فيها"

الناس اللي بتسيب الصلاة عشان المذاكرة، البنت اللي بتجمع صلوات عشان المذاكرة، الشاب اللي ما نزلش يصلي في المسجد عشان المذاكرة، اللي ما رضاش يقفل المحل ويروح يصلي، اللي في يوم فرحها ما صلتش عشان الفرح، اللي وراه مشوار مهم ما صلاش، وجمع الصلوات بالليل، كل دول بيتقال لهم: خِبتم وخسرتم، واللي راح منكم أضعاف أضعاف أضعاف أضعاف اللي كسبتوه.

ده لو كسبتوا حاجة، أوعى تضيع صلاتك عشان أي حاجة. ما عند الله خير: قاعدة من اللهو ومن التجارة ومن أي حاجة.

قال: {وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ}. كمان دي بشارة فوق البشارة، أن الله سبحانه وتعالى خير الرازقين، أفضل من يرزقك ويعطيك فوق اللي أنت بتتخيله، فيتعلق قلبك بالرزق، وده بيطمنك، بيرجعك للملك القدوس العزيز الحكيم، وبيرجعك للفضل.

ما هو الرزق مش فلوس بس، اوعي تفهمها كده. قولنا السورة دي في التفضيل، في المفاضلة، و المفاضلة مش في الرزق بس. أوعى تفتكر إن المفاضلة في الأكل والشرب والمال بس. {خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ}. الرزق ممكن يكون علم، {خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} هداية، استعمال، دعوة، فتح قلوب، تيسير طلب علم، زوج صالح، ولد طيب، راحة بال، طمأنينة قلب، سكينة، صرف شر، حسن خاتمة، جنة، {خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ}. كل ده يدخل في الرزق، مش معنى إن أنت اتحرمت من رزق المال يبقي اتحرمت، ربنا ممكن يكون عطاك أحسن من المال بكتير جدًا.
{مَا عِندَ ٱللَّهِ}. عشان كده ربط الرزق بما عند الله، ما عند الله مش الدنيا، الآخرة، وهو خير الرازقين سبحانه وتعالى.

وأختم لكم بقول الصحابي عراك بن مالك، كان يطبق عملي كل اللي سمعناه ده في الآخرة. كان يخرج من صلاة الجمعة، يقف على باب المسجد، ويقول: (اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين).
فدائمًا نحرص على الصلاة والعبادة ونختار ربنا. دايمًا نرفع أيدينا نقول: "يا رب، أنا عملت اللي أمرتني به، يا رب، كما وعدتني، ارزقني، فعلت ما أمرتني، فارزقني كما وعدتني"، وفوض له بقى في الرزق، هو خير الرازقين، هيديك أحسن من اللي كنت هتطلبه.

يا رب، يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، ويستعملنا وإياكم، ويتقبل منا، ويعلمنا.
حماس بقى، ونذاكر ونحفظ السورة كويس. ربنا يوفقنا وإياكم بكل خير.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدرسة قد سمع

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الحادية عشر

مواجهة النفاق | سورة المنافقون

علاء حامد
Ala Hamd

الحمدُ لله، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى الله عليه وسلم. أمّا بعد:

أهلًا ومرحبًا بكم أيها الكرام في لقاءٍ جديدٍ ودورةِ مدرسةِ «قد سمع». نتناول، بفضلِ الله سبحانه وتعالى، سورَ جزءِ «قد سمع» بالترتيب، والمرة السابقة خلصنا سورةَ الجمعة، بفضلِ الله سبحانه وتعالى، وهذا يعني أننا اليوم في موعدٍ مع سورةٍ عظيمةٍ مليئةٍ بالفوائد، وهي سورةُ المنافقون.

سورةُ المنافقون تفتحُ لنا أبوابًا جديدةً من التفكير، وأبوابًا جديدةً من الفوائد والتدبرات. خلّينا ننتوي نيةً طيبةً في بدايةِ مجلسِ العلم، ونصلحَ النوايا، ونُخلِصَ لله، وننتوي العملَ والانتفاعَ بالقرآن. فعلًا ننتوي الهداية، وننتوي الخير؛ لأن فعلًا إنما الأعمالُ بالنيات. أمّا بسمع الدرس مجردَ معلومات، هطلع بمعلومات، بسمعه بنيةِ الهداية أطلع بالهداية، وبنيةِ التغيير أطلع بتغيير. وكلّما تكثر النوايا، إنما لكلِّ امرئٍ ما نوى.

نجددُ النوايا ونستعينُ بالله، ويلا بينا نقرأ السورة. كالعادة نبدأ بقراءةِ السورة بحيث إن احنا نساعد اللي عايز يحفظ، ولازم كله يحفظ طبعًا، مش معقول بعد كل ده ما تحفظش! بعد ما سهّلنا لك الجزء للدرجة دي ما تحفظش! يعني مش عارف هتجيلك فرصة زي دي إن انت تتعامل ببساطة مع جزء «قد سمع» ولا لأ. فأظن اللي هيضيّع فرصة زي دي هيندم كتير.

فسورةُ المنافقون هنقراها مع بعض بمدٍّ المنفصل، بإذنِ الله سبحانه وتعالى.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم. بسمِ الله الرحمنِ الرحيم:

{إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (1) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (2) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ (3) وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ (4) وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ (5) سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ (6) هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ (7) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ (8) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (9) وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (10) وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (11)}

هذه الآياتُ الكريمةُ من سورةِ المنافقون تحملُ في طيّاتها معانيَ ضخمة. دعونا أولًا نتعرّف على السورة كالعادة. سورةُ المنافقون سورةٌ مدنيةٌ بلا خلاف، طبعًا هي بتتكلم على النفاق، والنفاق دبّ في المدينة. بتتكلم في جزءٍ منها على مشاهد حصلت في غزوةِ بني المصطلق، زي ما سيأتي معنا، وبتتكلم عن عبدِ الله بن أُبيّ بن سلول. فأكيد لا شك أن سورةَ المنافقون سورةٌ مدنيةٌ بلا خلاف.

موضوعها واضحٌ من الاسم: أنها تتكلم على المنافقين، على صفاتِ المنافقين وأحوالِ أهلِ النفاق، بتتكلم على التحذير منهم، وإزاي الإنسان يتقي شرّهم، وإزاي يتعامل معاهم، وإزاي يعرفهم. بتتكلم عن بعض صفاتهم وأحوالهم في صورةِ عبدِ الله بن أُبيّ بن سلول. وبعد كده من أول: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ}، بتتكلم على كيفيةِ النجاة من النفاق، وكيفيةِ السلامة من هذا المرض الخطير.

بدأت بقوله تعالى: {إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ}. هذا الأسلوبُ الشرطي يدل على أن ده بيحصل كتير:{إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ}، يعني كلما جاء المنافقون يقولون للنبي، عليه الصلاة والسلام: نشهدُ أنك لرسولِ الله، يعني هذا يحصلُ كثيرًا، كل شويةٍ يتكرر. طيب إيه المشكلة في التكرار؟

دائمًا الشخص المرتاب يبان عليه، فدائمًا بيدافع عن نفسه بدون ما حد يهاجمه، وده دايمًا من علامات الريبة. فتجد يقول لك في المثل: "يكادُ المريبُ أن يقولَ خذوني"، يعني قرب يعترف لوحده، ما حدش كلمه.

فمرة واحدة يقول: نشهد إنك لرسول الله! حد شك فيك؟ إنت ليه بتقول كده؟

والصحابة ليه ما بيقولوش كده؟ ليه الصحابة الكرام مش كل شوية يقولوا للنبي، عليه الصلاة والسلام: إحنا مؤمنين، إحنا على فكرة بنشهد لك؟

أيوه، هو إنت خلاص تمام، عرفنا... ليه بتقول كتير؟

فدائمًا اللي بيقول كتير تحسّ إنه مرتاب أو شاكك، فبيخلّي الناس يحصل عندهم ريبة. زي اللي يقول: أنا صادق، وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كنا صادقين.

أنا ما بكذبش على فكرة!

طيب إنت بتقول ما بكذبش ليه؟ يبقى إنت بتكذب.

تحس إن في حد كده... الشخص اللي ما بيتكلمش كتير هو ده اللي بيبقى دايمًا صادق عادةً.

حتى في حياتنا العادية، في ناس تحب تتكلم عن نفسها كتير، تتكلم عن حاجات كتيرة مش موجودة فيها، اللي هي لو موجودة فيك أصلًا مش هتحتاج تتكلم كل ده، ليه؟ لأنك حاسس إن الصفات دي مش فيك، فبتقعد تكررها وتأكد عليها. لا داعي لكثرة الكلام.

وكأن السورة بتقول لنا: الأفعال هي الدليل. أي حد ممكن يتكلم، {وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ}.

والسورة دي كأنها بتقول لك: الأفعال لا الأقوال.

هتسمع كلام كتير في السورة دي: يقولون، يقولون، يقولون، لكن في الآخر الحقيقة حاجة تانية خالص.

هيقولوا عن نفسهم إن هم ٱلۡأَعَزُّ وهم الأذل، هيقولوا: {لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ}، وهو ربنا اللي بينفق أصلًا. هيقولوا: {تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ}، وهيقولوا: {نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ}، وهم أصلًا كاذبون.

السورة دي بتقول لك: أفعال لا أقوال، بيّن لي صدقك بأفعالك، مش عايز كلام كتير. مش كل اللي بيتكلم بالدين متدين، ومش كل اللي بيقول كلام حلو هو حلو.

ومش كل اللي بينزل بوستات حلوة كويس.

تجد ناس، ما شاء الله، ينزلوا بوستات وكلام يخليك تقول: ده صحابي! تقوى، وورع، وأمانة، ويتكلموا في الفضائل والقيم، وهو أبعد ما يكون عن هذه الصورة.
لو عايز تبعد عن صفات المنافقين: اعمل كتير واتكلم قليل. ما تتكلمش عن نفسك، خلّي الناس تشهد لك، مش إنت اللي تشهد لنفسك. هم شهدوا لنفسهم وقالوا: {نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ}.
فربنا قال:
{وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ}.
يعني هم بيقولوا كده، لكن في الحقيقة من جوّه، ربنا اللي يعلم السر وأخفى، عَلِم سبحانه وتعالى إنهم كاذبون في هذه المقالة، وإنهم بيقولوا إنهم يشهدوا برسول الله ﷺ، لكن في الداخل مكذبين له، رافضين لرسالته.
لكن لاحظ إن ربنا قال الأول:
{وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ}.
وده بيسموه في الأسلوب العربي احتراز، يعني ربنا بيمنع أي توهّم لمعنى باطل. لو الآية قالت مباشرة: {وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ}، ممكن واحد يقول: كاذبون في إيه؟ في اعتقادهم ولا في إن الرسول رسول أصلًا؟
فربنا برّأ ساحة الرسول ﷺ، وقال: إنت رسول حقًّا، وأنا لا أكذبهم في إنك رسول، إنما أكذبهم في أنهم مؤمنون بذلك.
لأنهم دلوقتي عملوا حاجتين شهدوا للرسول بالرسالة، وقالوا أنهم معتقدون بهذا الأمر.
فربنا يقول أما الرسالة فطبعا أنت رسول، وأما أنهم يعتقدون هذا الأمر فهم كاذبون في ذلك.
لذلك قال تعالى:
{وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ}.
ثم قال سبحانه:
{ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ}.
الأيمان يعني الحلف. يحلف كتير: يحلف إنه مؤمن، يحلف إنه صادق، فالناس تصدقه، ويعتبروه مؤمن زيهم. وبالتالي حصل جُنّة، يعني ايه؟ يعني حماية ووقاية: حمى نفسه، وحمى ماله، لأن طبعا المسلمون يعتبروه كافر فصار وسط المسلمين، وعصم دمه وأمواله، وطلع في الغزوات، وأخذ من الغنائم... كل ده بالحلف الكذب.
وعشان كده ربنا قال في الحديث القدسي:
(ثلاثةٌ أنا خصمُهم يومَ القيامة: رجلٌ حلف بي ثم غدر).
يعني بالحلف خلّى الناس تصدّقه، عشان حلف، وبعد كده غدر بيهم. تخيّل بقى واحد حلف على الإيمان، بقى مش بقول لك حلف مثلًا في فلوس ولا بتاع ونصب على الناس بالحلفان، ده حلف على الإيمان، فسلِم ماله، وسلِم بدنه، وخدع المؤمنين، وأخذ من الغنائم، كل ده باليمين الكاذبة دي.
وبالتالي تخيّل عقابه عامل إزاي عند ربنا، فطبيعي يكون {إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا}(النساء: 145) .

إياك تتوصّل لحرام باليمين. بص، يعني إنت تكذب حاجة، وتحلف على الكذب ده حاجة تانية. {وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ}، خدناها في سورة المجادلة: {أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًا} (المجادلة 14، 15). وبالتالي الكذب كوم، والحلفان على الكذب ده كوم تاني خالص. فإياك تحلف على الكذب مهما حصل في موقف، يعني والله يحصل فيك اللي يحصل أهون من إنك تتعاقب على اليمين الغموس ده.

{ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ}، واليمين الغموس من أكبر الكبائر، كما بيّن النبي، عليه الصلاة والسلام. وسُمّي الحلف يمينًا؛ لأن زمان كان الراجل لما بيحلف يروح ياخد يمين صاحبه، فسُمّي الحلف يمينًا. فمن صفات المنافق حاجتين: الكذب في الحلف، وكثرة الحلف. وعشان كده أنا حذّرتكم: الكذب في الحلف.

خد بقى التحذير التاني: كثرة الحلف من صفات المنافقين. السورة أهي، عشان نسلم من صفاتهم، صح؟ فأنا بقول لك: من صفات المنافق إنه بيحلف كتير. فأرجوك ما تحلفش كتير، حتى لو صادق. ربنا قال في سورة المائدة: {وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ}(المائدة: 89). العلماء قالوا: من حفظ اليمين ألّا تُكثِر من اليمين.

بعض الناس على طول بيحلف. طب تحلف ليه؟ الحلفان الكتير، أولًا اسم ربنا ما ينفعش نستعمله إلا في حاجة مهمة قوي، وثانيًا الحلفان الكتير بيهوّن الحلفان خلاص، فيخلّي اللي قدامك ما يبقاش مصدّقك من كتر ما إنت بتحلف. وثالثًا ما تضمنش في الحلفانات الكتير دي إنك ما تكذبش. لذلك ربنا قال: {وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ}، ليه؟ {أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ}(البقرة: 224)، خشية إن مش كل مرة تصيب، فتروح مرة حالف كذب، تضيّع. يبقى أنا ما بحلفش إلا في حاجة مهمة قوي، قليل جدًا لما أحلف، وبالتالي ده يخلي الحلفان له قيمته عند الطرف التاني، ويخلّيني ما يحصلش إني أحلف كذب. وبعد كده أقول من كتر الحلفان حلفت واحدة كذب.

المنافقين بقى بيعملوا إيه؟ {يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ}(التوبة: 62)، {سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ}(التوبة: 95)، على طول حلفان، حلفان، حلفان، ما يبطلوش أبدًا. فلذلك نقول: كثرة الحلف، ولو كنت صادقًا، أمرٌ مذموم. فالمؤمن لا يكثر الحلف؛ لأنه بيعظّم اليمين قوي، فلا يحلف إلا على أمرٍ عظيم، فضلًا عن إنه ما بيكذبش أصلًا، يعني طبعًا دي مصيبة كبرى لو كذب في الحلف.

طيب، {ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ}، يعني إيه: فصدّوا عن سبيل الله؟ إزاي اليمين ده حصل بيه صدّ عن سبيل الله؟ وصدّوا مين أصلًا؟

العلماء بيتكلموا في التفسير على معنيين:

{فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ}، المعنى الأول: صدّوا أنفسهم، والمعنى الثاني: صدّوا غيرهم. والاتنين صح، مش هنرجّح، ده خلاف تنوّع، وبيدّيني معنى كبير حلو.

المعنى الأول: صدّوا أنفسهم. ليه صدّوا أنفسهم؟ لأنه دلوقتي منافق، فبيعمل حاجة غلط، فالمفروض إن نجاته إن الناس تعرف إنه بيعمل حاجة غلط فتنصحه. هو بقى عمل إيه؟ أظهر خلاف الحقيقة دي، وقعد يحلف: أنا مؤمن، ويحلف إن أنا صادق، ويحلف إن أنا كويس، فبالتالي الناس ظنّوه كويس.

فما فيش حد بينصحه، فحرم من النصيحة، وحرم من التغيير، فصدّ نفسه عن سبيل الله بهذا الحلف.

فاهم المعنى؟

زي بعض الناس مثلًا يبقى بيقع وينتكس فعلًا، ومش عارف يقوم نفسه، وما بيشتكيش، وما بيقولش لحد: الحقني، ولا استنصح شيخ، ولا طلب مساعدة، خايف إن حد يعرف عنه حاجة. طب إنت بتقع، ماشي، لو تقدر تقوم بنفسك خلاص، مش مشكلة، ما تقولش لحد، وقوم نفسك. لكن إنت مش عارف تقوم، وبتقع، وحاولت تقوم لوحدك وما قمتش. هتفضل لغاية إمتى مش عايز تقول؟ هتعمل إيه؟

قول لحد ناصح أمين، يسترك، شيخ، صديق. يا جماعة الحقوني، انصحوني، أنا مقصّر في كذا وكذا. ما فيش مانع، دي مش فضيحة. أنا لو أعرف أقوم بنفسي كنت سترت على نفسي، بس أنا مش عارف. هل أقع أفضل؟ ولا أقول لحد صادق أمين يلحقني؟

ولما الناس تحس، مثلًا حد حبيبك قوي يقول لك: أنا حاسس إن إنت في حاجة غلط، ما تقول لي أساعدك. تقوم تقول: لا، أنا تمام والله، أنا تمام. خلاص، ما الناس حست وعرضوا عليك المساعدة، ليه بتتمنع؟ مش عايزهم يعرفوا! ما إنت كده كده بتقع. فهم صدّوا أنفسهم عن سبيل الله. فهمت المعنى الأولاني؟

المعنى الثاني: صدّوا غيرهم، ودي واضحة. إنهم لما عملوا كده انخدع فيهم الناس، فبقوا يقعدوا معاهم، والمنافق بيتكلم، وأصلًا بضاعة المنافق الكلام. فبدأ يخالط المؤمنين بكل أمان، طبعًا هم مدّين له الأمان، ويقولوا قدّامه أسرارهم،

ويقعدوه معاهم، فيبتدي يبثّ سمومه في وسط المؤمنين، ومحدّش حاسس بيه، ويبتدي يورد الشبهات، ويستثير النعرات، ويوقع ما بينهم. والناس كلها مأمّنة: ده راجل كويس، حالف لنا إنه كويس، فصار يفسد من حيث لا يشعر الناس.

عشان كده ربنا قال عن المنافقين في سورة التوبة:

{لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ}(التوبة: 47).

ففي الغزوة دي قالوا: لا تنفروا في الحر. تخيّل بقى كانوا هيثبّطوا كم واحد بالكلام ده.

وفي غزوة الأحزاب المنافقين قاعدين وسط المؤمنين، ومحدّش عارفهم، وقاعدين بقى يقولوا: {لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ}(الأحزاب: 13). ويقولوا:

{مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا}(الأحزاب: 12).

تخيّل الكلام ده بيتقال عن واحد إنت أصلًا بتظنه مؤمن. إنت ظنيته مؤمن إزاي؟ باليمين اللي بيحلفه كل شوية. فأنا صدّقتك، فأنا أمنت لك، فأنت أفسدتني، فصدّيت الناس عن سبيل الله. فهمتوا الفكرة؟ فصدّوا غيرهم عن سبيل الله بأنهم اندسّوا وقعدوا يبثّوا السموم ومحدّش حاسس، فأفسدوا عقائد الناس وأفكارهم والكلام ده.

زي ما إحنا بنشوف المنافقين اللي في زماننا في الإعلام وفي غيره، ولهم قنوات، ولهم صفحات على اليوتيوب، ولهم منصّات إعلامية.

كلام نفاق صريح، طبعًا واحد اسمه إبراهيم، وإسلام، يعني أسماء كلها أسماء إسلامية. وبرنامج ممكن يكون برنامج ديني كمان، وقاعد كده في البرنامج ده يطعن في السنة، ويطعن في القرآن، ويورد شبهات على الصحابة، ويصحّح الملل غير الإسلام، ويدعو إلى تحرير المرأة والحريات والكلام ده.

اللي بيسمع بيسمع إبراهيم، بيسمع إسلام، يقول لك ده مننا. بيسمع أحمد تمام، بيسمع شريف، يعني أسماؤهم أسماء إسلامية. لكن منافق، يتكلم لسان نفاق. قال تعالى:

{وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ} (محمد: 30).

فشوف بقى وجودهم وسط المسلمين، ومحدّش عارف؛ لأنهم بيدّعوا الإيمان، فصدّوا عن سبيل الله. لذلك قال سبحانه وتعالى:

{ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}.

{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ}.

آمنوا ثم كفروا، آمنوا في الظاهر ثم كفروا في الباطن، آمنوا في الظاهر ثم كفروا في الحقيقة في الباطن، فعادوا من ظاهر الإيمان إلى حقيقة الكفران. قال تعالى:

{ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ}(البقرة: 16).

ربنا وصفهم هنا وصف مهم قوي، وده بيجي معنا في السورة كتير، اللي هو عدم الفقه. الفقه هو الفهم يا جماعة، الفقه هو الفهم. المنافق لا يفقه، وكذلك الكافر. ليه؟

{فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ}.

لا يفقهون ليه؟ لأنهم كل اختياراتهم غلط. اللي بيفهم ما يختارش كده. هم اختاروا الدنيا على الآخرة، واللي يختار كده أكيد أكيد ما بيفهمش. اختاروا موالاة الكافرين على حساب موالاة المؤمنين، على اعتبار إن الكافر ده قوي وممكن يبقى له دولة، {يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ}(المائدة: 52).

لكن المؤمن الفاهم لا يوالي الكافر على حساب المؤمن مهما كانت قوة الكافر، لأنه في الآخر يعلم أن الأمر بيد الله:

{فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ}(المائدة: 52).

المنافق لا يفقه؛ لأنه بيعتقد إنه لو آمن هيخسر شيء من الدنيا. والمؤمن الفهمان يعلم أن رزقه لا يتعارض مع الإيمان؛ لأن اللي أمره بالإيمان والهداية والاستقامة هو الرزّاق نفسه. قال تعالى:

{وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ}(الذاريات: 56: 58).

وسيأتي معنا بيان هذا لما نكمّل في السورة. السورة برضه بتتكلم في معنى جميل، زي ما قلنا، في معنى ضخم معانا اسمه إيه؟ أفعال لا أقوال. وفي معنى تاني ممكن نضيفه: "خليك فاهمان". يعني السورة دي بتقول لك خليك فاهم، بتصحّح لك تصوّراتك، بتعمل لك ضبط مصنع، ترجع كل حاجة تبقى واضحة.

مع الوقت للأسف يحصل تشويش، والشاشة بتلغوش، والدنيا مش واضحة، وتلاقي نفسك بقيت بتفكّر زي الناس اللي مش كويسة. فمحتاج كل فترة حد يدي لك تفويقة كده، يمسح لك الشاشة، يمسح لك النظارة، فتبتدي تقول: الله! إيه ده؟ الدنيا ظبطت تاني، الله ينور.

فالسورة دي بتقول لك إيه؟ العودة إلى الفهم. إوعى تكون زي المنافقين: لا يفقهون. طيب ربنا قال عليهم إيه كمان؟ قال:

{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ}.

ربنا هنا بيّن في الآية الماضية إنه طبع على قلوبهم. والطبع على القلب إن ربنا يختم على القلب خلاص، فلا يهتدي. طب ده بيحصل إمتى؟ الله أعلم. في حد معيّن من الإعراض والكذب والفسوق والمعاصي، تكون عقوبته ساعتها إنه يطبع على القلب ويختم عليه، نسأل الله السلامة والعافية.

كما قال الحسن، ورد عنه أثر:

"إن ما بين العبد وبين الله قدرًا معلومًا من الذنوب، إذا تجاوزه العبد طبع الله على قلبه، فلا يوفقه إلى خير أبدًا".

وطبعًا دول عدّوا، ده منافق، مش بيقول لك معاصي عادية، ده نفاق... نفاق يعني.

فبالتالي ربنا ما ظلمهمش؛ لأنهم أولًا بينافقوا على علم، يعلم إن النبي ﷺ رسول، ومش بيشهدوا بذلك، تمام؟ أضف إلى ذلك إنهم يا ريتهم حتى بيعملوا حاجة غلط وبيقولوا: إحنا غلطانين وربنا يهدينا، لا؛ ده بينكر إنه بيعمل غلط، ويدّعي خلاف اللي بيعمله، بيفسد غيره، فطبيعي جدًا إن ربنا يطبع على قلبه، ويكون كمان في الدرك الأسفل من النار.

فتأمّل ماذا فعل المنافقون في غزوة الأحزاب، وضررهم الشديد اللي حصل يوم غزوة الأحزاب، في غزوة أحد لما عبدالله بن أبي بن سلول رجع بثلث الجيش، في حادثة الافك لما اتهموا عِرض السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

فما زال المنافقون هم الخنجر اللي بيطعن الأمة في ظهرها دائمًا، ما زالوا يشوّهون الإسلام، ويدافعون عن الغرب، ويدافعون عن الكفار، ويدافعون عن الحريات الماجنة كالشذوذ والعلاقات المحرمة، والله المستعان.

ربنا سبحانه وتعالى هنا بعد كده قال إيه؟ قال: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ}. ليه تعجبك أجسامهم؟ قالوا: لأن الكافر أصلًا بيعمل كل ده ليه؟ عشان الأموال، عشان الدنيا، علشان المناصب، علشان الوجاهات، علشان ياخد دعم من الكافرين، وطبعًا إحنا عارفين قد إيه الدعم اللي بيحصل للمنافقين في بلاد المسلمين: أموال هائلة تُنفق عليهم علشان يعملوا برامج، ويعملوا حملات، ويعملوا دعاية، ويصرفوا، ويعملوا إعلانات ممولة لبرامجهم. إنفاق هائل، طبعًا جزء كبير من الإنفاق ده بيروح لشخص المنافق نفسه. وبالتالي بيلبس أحسن لبس، وبيأكل أحسن أكل، وبيركب أحسن عربيات. فلما تشوفه حاجة مبهرة: أكل كويس، ولبس كويس، وصحة باينة عليه، وعربيات... إيه! تعجبك أجسامهم. سبحان الله، فعلًا تحويلات من الخارج، تمويل.

المشكلة إن المنافقين دول نفسهم بيتهموا مثلًا الملتزمين أو الدعاة أو المشايخ، يقول لك: دول بيجيلهم تمويل من الخارج! هههه... ولا تمويل ولا بتاع. وهو فعلًا أكتر واحد بيجيله تمويل، وهو على رأسه بطحة زي ما بيقولوا.

هو أكتر واحد بيجيله تمويل من الكفار، وبعدين بيجي على الدعاة يقول لك: آه، بيجيلهم تمويل، تمويل مش عارف بلاد إيه وبلاد إيه. يعني سبحان الله، حسبنا الله ونعم الوكيل.

{تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡ} بتقول لك معنى جميل: العبرة بالجوهر لا بالمظهر. وده بقى معنى إحنا قلنا إيه؟ أفعال لا أقوال، صح؟ خد بقى الجديدة: العبرة بالجوهر لا بالمظهر.

فكم من شخص سيماه الصلاح، شكله شكل أهل السنة، لكن من جوه ممكن يحمل قلب شيطان.

وممكن واحد تاني يكون لسه السمت الظاهر مش باين عليه، بس قلبه قلب جميل، وهو على وشك إنه يكتمل في الهداية. فالمهم قوي إننا نشتغل على القلب؛ لأنه إذا صلح صلح سائر البدن.

بعض الناس يخش الالتزام ويركّز قوي على الشكل الخارجي بس، والقلب ما اتصلحش. بعد فترة الشخص ده غالبًا بيقع. وفي واحد اشتغل على قلبه جامد في الأول، وبعد كده كل حاجة بقت سهلة، أي أمر ييجي من الشريعة يعمله على طول.

فالعبرة بالجوهر لا بالمظهر.

"رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ".

ربنا قال على المنافقين:

{قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ}(الأحزاب: 18، 19).

فربنا بيقول: إذا رأيتهم تعجبك إيه؟ أجسامهم. طيب وإيه كمان؟ {وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ}.

يعني إيه الكلام ده؟ يعني بيعرفوا يتكلموا كويس قوي، وبيعرفوا ينمّقوا الكلام كويس قوي.

ويكلمك بقى عن الإيمان، وحب الدين، وإن إحنا نفسنا الإسلام يبقى أحسن حاجة. علشان كده لازم نجدد الخطاب الديني، وعلشان كده لازم نحمي الخطاب الديني من الأفكار الظلامية والأفكار الهدامة.

وإحنا محتاجين يا جماعة للتنوير، وللحداثة، ولمواكبة العصر، والفتاوى المناسبة للعصر الحديث.

لازم نجدد التراث، ولازم نخلي بالنا من الكتب الصفراء بتاعة زمان دي اللي ما بقتش تنفع دلوقتي.

إحنا عايزين حقوق المرأة، والإسلام بيكفل حقوق المرأة، والإسلام بيساوي بين المرأة والرجل في كل حاجة، ما هي دي المساواة بقى. كمان خد بقى عندك: الإسلام دين السلام، إحنا لا نعادي أحد.

وما فيش حاجة اسمها جهاد طلب، هو جهاد دفع بس. وبقى حط بقى كلام كلام كلام.

الكلام شكله حلو، تعالَ لي بقى في التفاصيل: امسح لي بقى الآيات بتاعة الجهاد دي، أيوه، عشان إحنا قلنا ما فيش جهاد طلب. وعايزين نساوي في المواريث، مش قولنا عايزين المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث. الكلام ده كان زمان، الراجل ياخد ضعف المرأة، ده كان زمان.

تجديد التراث ده معناه إلغاء كتب المسلمين، وإنه هيخترع حاجة جديدة. التنوير يعني بقى سيبك من الحجاب، وسيبك من النقاب، وسيبك من التشدد اللي أنتم فيه ده. التنوير يعني إحنا نبقى زي الغرب من الآخر، ناخد دين الغرب ونتدين به.

حرية الرأي، اللي هي حرية الكفر، الحداثة هي التشبه بالغرب في الآخر، بس {وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ} كلام حلو قوي.

هو مش هيقول لك: "أنا منافق"، ولا هيقول لك: "إحنا عايزين نبقى شبه الكفار". هو الكلام شكله حلو. تعال لي بقى، تنزل على الأرض. {وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ}، فلا تغتر بمقالة القائل حتى ترى سمته وهديه.

ربنا بيقول إيه بقى؟ {كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ}. ايه خشب مسندة دي؟ خشبة مسنودة.

طب إيه المثال في كده يعني؟ قالوا احتمال حاجتين:

الحاجة الأولى، قالوا إن الخشب، الطبيعي عشان أستفيد بخشبة، لازم تكون في مكانها. يعني تكون في دولاب، تكون في سرير، تكون في مائدة، فبقول خشبة مفيدة، حطيناها في أثاث فنفعت. لكن لما ألقى خشبة ساندة على حائط، ما بتعملش أي حاجة. بالنسبة لي إيه؟ بلا فائدة، بل مضرة. ممكن حد يتكعبل فيها، وممكن تصد عن الطريق، تعطله.

فده المثال: أن هم بلا فائدة. المنافق ده بلا فائدة، كلام جعجعة بلا فائدة في النهاية، بل ضرر، أن هو بيصد عن سبيل الله. فده عامل زي الخشبة المسنودة كده، بلا فائدة. هو مش بيفيدنا بأي حاجة، كلام حلو قوي بس بلا فائدة، بس هو في الحقيقة ضرر، أن هو بيكعبل اللي بيعدي وبيضره، وعامل زي الأذى اللي في الطريق اللي المفروض يماط.

عشان كده يقول لك: فاحذرهم.

يبقى ده المعنى الأول: هم بلا قيمة، بل لهم ضرر مؤذي.

الوجهة الثانية اللي قالها، لم ينظر إلى الخشبة بص للحائط. قال لك: خشب مسندة يعني لا قوام لهم بأنفسهم. الخشبة مسنودة لأنهم لا يقومون إلا لأنهم مستندين على أهل الإيمان، عامل نفسه مؤمن يعني، فواخد وجاهة المؤمن وأخذ وضع المؤمن، وبالتالي استناده على أهل الإيمان، ده عمل له درجة من الأمان، وضمن له البقاء وعصمة النفس والمال.

عشان كده ربنا قال عنهم في سورة البقرة: {مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا}، لأن النار مش بتاعته، واستلفها، استوقد نارا أو يعني أشعل من نار ثانية. {فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ}(البقرة: 17).

عشان كده يوم القيامة يحصل العكس خالص، ربنا يجعل المؤمنين ياخذوا نورهم ويروحوا، وبعد كده المنافقين يفضلوا في الظلمة، فيقولوا: { ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ}، يتقال لهم: {ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ}(الحديد: 13).

فالمنافقون صور وهيئات وأشباح بلا أرواح، وجسوم بلا فهوم، فإياك أن تنخدع بهم. قد تنخدع بهم للوهلة الأولى، حتى تسمع مقالتهم وتسمع من يحذرك منهم. فليست المشكلة أنك صدقتهم في أول مرة، ولكن المشكلة أن تستمر في هذا الخداع وتظل مخدوعًا.

للأسف في كثير جدًا من المنافقين، بل والعلمانيين، اللي بيتكلموا بلسان الإسلام. ياما ذلّوا بكلامهم، بكلام يؤكد تمامًا نفاقهم، وياما الدعاء والمشايخ والصالحين حذروا منهم.

وللأسف لسه في شباب بيسمعهم وبرضه بيعاند يقول لك: "لا، لا، أنتم أكيد بتظلموهم" ، يا ابني بيقول كذا، ده لو شيخ قال عشر معشار الكلمة دي هيتعمل عليه حفلة. ازاي عديت له الكلام ده يعني؟ كل الكلام ده والمقاطع المرصودة، ليه كل ده ما عملش ريبة في صدرك؟ لسه برضه بتسمعهم رغم كل التحذيرات اللي قالها لك الدعاء والمشايخ،

اللي ما لهمش أي سبب أن هم يسقطوا واحد إلا لو كان فعلاً بيتكلم بكلام النفاق، خلي بالك يعني. فإذا انخدعت فترة، يعني ما تبقاش مغفل، المؤمن كيس، فطن، مش هتنخدع على طول. ربنا بيقول: {كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}، لأن هو قاعد دائمًا قلقان، هو حاسس دائمًا أن هو مهدد. لأن هو عارف اللي فيها. أنت عارف لما في حد عامل حاجة غلط، ويلاقي حد مثلاً بينادي، فدائمًا بتلاقيه متوتر وحاسس أن هم هيكلموه هو. فأي صيحة بتحصل بيخاف، يخاف يتكشف أمره، يخاف يتقال اسمه.

عشان كده بيفسروها أحيانًا: {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}، أن هو إذا نزلت الآيات بيترعب، لأن هو يخاف يتقال اسمه فيه.

ربنا قال في سورة التوبة يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم. تخيل بقى، تنزل سورة تقول لك: "أنت بتعمل إيه جوه قلبك؟" {قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ} (التوبة:64).

عشان كده بيخافوا جدًا، لو نزلت آيات، مثلاً فيها ذكر العذاب، بيحس إن هذه الآية جاية له. {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}.

عشان كده ربنا قال عليهم: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ}(البقرة: 19).

قال في السورة: {كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ}(البقرة: 20).

لانهم بيحسوا آيات فيها وعيد وبتاع وحاجات كده، بيقلق، يحس إن الكلام ده له، لأنه مرتاب، وهو فعلاً الكلام ده غالبًا له، هو من كثر ما هو عارف إنه غلطان دايمًا متوتر، وحاسس أن أي حد بيتكلم بيتكلم عليه. أي آيات فيها تهديد، الآية دي هو المقصود بها.

من المعاني الثانية اللي قالوها في {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}، صيحة هنا حملوها على صيحة الجهاد، يعني إذا جاء الجهاد، وصيح فيهم أن جاهدوا، فإنهم أولُ من يفرّ، زي ما ربنا قال في سورة الأحزاب:

{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا}.

{قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا}(الأحزاب: 14: 20).

سبحان الله، {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}، بعد كده ربنا قال إيه؟ {هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ}.

طبعًا، طبعًا، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ دول أخطر من الكفار بكثير. أنت عارف، الكافر يقول لك الكافر ده مُصرِّح بالعداوة، واضح في عداوته، أعرف آخد احتياطي منه. الكافر بيقول: أنا كافر، فبالتالي في بيني وبينه ممكن قتال، ممكن يحصل قتل وقتال وغنائم

إن أنت غزوة أعرف أوقفه عند حده، بس بالسلاح، بأخذ بلاده، سهلة.
المنافق أعمل معاه إيه؟ أولًا أنا مش عارفه غالبًا، هو قاعد ينخور في جسد المسلمين، ولو عرفته مش هينفع أقتله. النبي ﷺ اتعرض عليه إنه يقتل منافقين، قال: «لا، لا يقولون إن محمدًا يقتل أصحابه». هتبقى صورة مشوَّهة للإسلام، يقول لك: المسلمين بيقتلوا بعض. محدش عارف بقى المنافق، فكمان أنا مش عارف أتعامل معاه إن هو يتقتل مثلًا أو كده، طب هنعمل إيه دلوقتي؟
ربنا قال الحل بقى، قال: هُمُ الْعَدُوُّ، طب ودول بينخوروا في جسد المسلمين؟ قال: {فَاحْذَرْهُمْ}. احذرهم. لكن في الكفار مثلًا ربنا قال: {قَاتِلُوهُمْ}، {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}(البقرة: 191)، {قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ}(التوبة: 14). لكن لما جه في المنافقين قال: {فَٱحْذَرْهُمْ}، وهو ده الحل المثالي مع المنافق: الحذر منه والتحذير منه.
إحنا قلنا المنافق عبارة عن إيه؟ بضاعته إيه؟ بضاعته الكلام. هو برضه المنافق ما يقدرش يرفع عليك سلاح زي ما أنا ما ينفعش أرفع عليه سلاح، لكن المنافق بضاعته إيه؟ كلام، بضاعة المنافق الكلام، وقاعد وسط المسلمين بأمان، وبضاعته وسلاحه الكلام.
طب أنا لو قدرت أوقف سلاحه، أنت كده خلاص قتلته. يبقى المنافق مطلوب مننا حاجتين: «لا تصدِّره ولا تسمعه». لا تصدِّره في مناصب، ولا تسمعه. عشان كده الكفار حريصين على العكس: إن المنافقين دول هم اللي يتصدروا، وهم اللي يتسمعوا. {لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ}.
هي دي الكارثة، في سماعون لهم، وأنت مش عارفه، بيضرب بالكلام، وأنت مش حاسس، وبالتالي لما أنا أعرف إن أعظم سلاح المنافق الكلام، فسهل جدًا البرنامج بتاعه: ما أتفرجش عليه، بس خلاص، ولا يعرف يعمل معاك أي حاجة. المنصب بتاعه ما نديهوش مناصب، نعرفه خلاص، ننبه، نحذر منه الناس، زي ما الدعاة بيعملوا لما يطلعوا يحذروا من ناس فعلًا تكلموا بكلام نفاق صريح وواضح، ويقولوا: ما تسمعوش.
يقول لك: أنا أصل أنا هسمعه بس أعرف بيقول إيه. يا ابني، ما تسمعوش. ده سلاح. في حد يقف قدام سلاح عدو؟ هو سلاحه الكلام، ولو اتكلم هيعجبك منطقه. أوعى تنخدع، فعلًا، وهتيجي تبقى عندك شبهات، تيجي تقول: يا شيخ، أنا ما أعرفش، أصل هو قال كلام صح، أصل هو قال كلام مقنع، أنا حاسس إن الشبهة وقعت فيا. طب ما أنا قلت لك ما تسمعوش.
نعمل إيه تاني؟ ليه مش مقتنع إن أنا عايز مصلحتك؟ الحل بسيط، طول ما هو في ناس بتسمعوا، هيفضل يستمر. {فَاحْذَرْهُمْ}، حذر منهم، احذرهم، ما تسمعوش. أبطل سلاحه اللي هو الكلام. {هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ}.
لذلك أهم حاجة، زي ما قلنا:
١. إن هو ما يتصدرش في المناصب ولا في الإعلام، ولا يُسمح له إن هو يكون ليه قنوات يتكلم فيها.
٢. ما نسمعوش مهما تكلم.
٣. دايمًا نضيّق عليه، نضيّق عليه ونرهقه، عشان يا إما يسيبنا أو يتوب إلى الله.

عشان كده ربنا قال إيه؟ قال: {وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا}(النساء: 63).
{هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ}، ده دعاء عليهم بالهلاك واللعن، {أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ}. {قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ}. ثم قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ}، عملوا إيه بقى؟ {لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ}.
إيه بقى اللي حصل هنا؟ من أول هنا بقى، الآيات دي نزلت في عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، ليه مواقف كتير متعلقة بالآيات القادمة.
تعالوا أقول لكم أول موقف لعبد الله بن أُبَيّ بن سلول.
طبعًا معروف إن هو كان زعيم المدينة قبل مقدم النبي ﷺ، وله وجاهة كبيرة جدًا عند الناس، لدرجة إن عبد الله بن أُبَيّ ما ظهرش أمره إلا متأخر جدًا؛ لأن الناس ما كانوش متخيلين إن هو بعد ما أظهر الإسلام، طبعًا بعد غزوة بدر، فالناس أحسنت به الظن، والناس أصلًا كانت تعظّمه جدًا.
ما ظهرش نفاقه إلا بعد مراحل متعددة؛ لما رجع بالناس في أُحد، بدأ الناس يعني... بعد حادثة الإفك، بعد الأحزاب، بعد كده خلاص تبين بقى نفاق عبد الله بن أُبَيّ بن سلول. لكن في وسط ده كان لسه الناس إيه؟ اللي هو في علامات، بس الناس بتكذب نفسها، يعني مش كله مصدق ومش كله مقتنع إن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول منافق.
فحصل مرة إن هو كان بيعمل إيه بقى؟ كان يوم الجمعة، لما النبي ﷺ ييجي يطلع المنبر، يروح هو طالع قبله ويقدِّمه، زي بيقدِّمه وكأنه بيكبر نفسه في الحقيقة. فكان يقف قبل ما النبي ﷺ يطلع المنبر، يقول:
أيها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس.
كل جمعة يعمل كده. النبي ﷺ على المنبر، يروح هو يقوم كأنه بيقدمه، يعني عايز يقول: إن أنا بقول لكم اسمعوا كلامه وانصروه، فيأخذ وضعه. يعني من الموضوع ده كان كل جمعة يعمل كده. فالناس بيقولوا: كلام حلو جدًا، {يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ}.
لغاية ما حصل يوم أُحد إن حصل إن هو رجع بثلث الجيش. فجه بقى الجمعة اللي بعدها، يعني بكل بجاحة، يعمل نفس اللي عمله. فقام إليه المسلمون وقالوا له: اجلس يا عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت.
فخرج يتخطى الرقاب، ساب الجمعة ومشي، خرج يتخطى رقاب الناس ويقول: والله لكأنما قلت بُجرًا، يعني أنا بقول إيه؟ ما أنا بقول كلام كويس، فوجده رجال من الأنصار فقالوا ويلك؟ فقال قومت أشدِّد أمره، فوثب عليَّ رجال من أصحابه يجذبونني ويعنِّفونني،
فقالوا: ويلك، ارجع، يستغفر لك رسول الله ﷺ. فقال: والله ما أبتغي، ما أبتغي أن يستغفر لي، تمام؟ وفي بعض الروايات موضوع تاني. قتادة بيقول: هذه الآيات نزلت في عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، وذلك أن غلامًا من قرابته، كان ليه غلام سمعه بيقول كلام صعب جدًا، كلام نفاق، فراح قال للرسول ﷺ. فالنبي ﷺ دعا عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، فقعد يحلف بالله ويتبرأ من هذه الكلمات. فالأنصار أقبلوا على الغلام اللي هو وشى بعبد الله بن أُبَيّ بن سلول، قعدوا يلوموه. فأنزل الله الآيات، فانفضح عبد الله بن أُبَيّ بن سلول. فقيل له:

تعال طيب، يستغفر لك رسول الله، فجعل يلوي رأسه، يلوي رأسه، ويقول: لست بفاعل، لست بفاعل ذلك.

هو ده {وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ}. يعني إيه؟ إعراضًا.

{وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ}. وهي دي العلة: {وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ}.

رغم إن النتيجة أصلًا: {سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ}. ده منافق، والكافر مش هينفع معاه الاستغفار، إن هو ليس أهلًا لإنه يُغفر له إلا أن يؤمن.

{لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ} ليه؟ {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ}.

فالإنسان بيتعجب، يعني أن يُقال له: تعال يستغفر لك الرسول ﷺ، ده الواحد يعني يتمناها، يبيع عمره كله مقابل لحظة يقف قدام النبي ﷺ ويطلب منه إن هو يستغفر له، فالنبي ﷺ يقول له: اللهم اغفر لفلان. يعني تخيلوا بقى العرض ده! أي قبح وأي فساد يتعرض عليك عرض زي ده فتلوى رأسك وتعرض!

وعشان كده لما ربنا يطبع على قلب هؤلاء ما تقولش بقى: ربنا ظلمه، أو ليه ما ربنا يديله فرصة؟ هل مثل ده فيه خير؟ لو ربنا أدخله النار اتظلم؟ لو ربنا طبع على قلبه، ظلمه إزاي؟ يستحيل.

فسبحان الله، فنزلت هذه الآيات فيهم، و الآية اللي بعدها نزلت فيه برضه، اللي هي إيه؟ بعد قوله تعالى {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ}.

{هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ}.

إيه بقى القصة دي؟ {لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ}، يعني بيوصوا بعض: ما تنفقوش على الصحابة، ضيِّقوا عليهم اقتصاديًا، ماديًا، عشان إيه طيب؟

بص بقى، بيقول في الرواية: ابن إسحاق يقول: "حدثني محمد بن يحيى بن حبان، قال: ازدحما على الماء فاقتتلا، يعني رجلين من الأنصار والمهاجرين، فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين. وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أُبَيٍّ، فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سَمِّنْ كلبك يأكلك".

ويقصد طبعًا لعنه الله، النبي ﷺ، {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ}. ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها.

بيقولوا: إنتوا عوَّدتوا نفسكم كده، إنتوا اديتوهم النخل واديتوهم الثمر، وقاسمتموهم الأموال، لو منعنا عنهم الأموال، ورجعنا في كلامنا، وأخذنا الثمار والنخل والكلام ده، مش هيلاقوا حاجة ياكلوها، هيروحوا سايبين المدينة وماشيين.

هو ده معنى: {هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ}، عشان يمشوا بقى، تمام؟

فسبحان الله، كان الرد بقى من الرب سبحانه وتعالى إيه؟ قال: {وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ} كالعادة طبعًا، سبحان الله، يعني المنافق كالعادة لا يفقه.

طيب، خلّينا نكمّل الرواية ونرجع للآية.

المهم زيد بن أرقم لما سمع الكلام ده راح جري للنبي ﷺ وقال له اللي حصل، فقال عمر: يا رسول الله،

مُر عبادَ بنَ بشر فليضرب عنق هذا المنافق، اللي هو عبد الله بن أُبَيّ. فقال النبي ﷺ: «فكيف إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟». ولكن نادى يا عمر: الرحيل.

يعني إيه نادى الرحيل؟ هم أصلًا كانوا راجعين من غزوة بني المصطلق، غزوة بني المصطلق اللي هي قوم جويرية بنت الحارث، اللي هو بعد كده ترتب عليها إن النبي ﷺ تزوَّج جويرية بنت الحارث.

المهم، دي كانت غزوة بني المصطلق، وهم راجعين حصلت القصة دي.

فالنبي ﷺ عايز يوقف نزيف الكلام، فعمل إيه؟ هو مش عايز يقتل عبد الله بن أُبَيّ عشان ما يتقالش إن المسلمين بيقتلوا بعض، فده يصد اللي مش مسلم عن دخول الإسلام، فدي مفسدة كبيرة، فتحمُّل المنافق مفسدة أصغر من إن إحنا نقتله فنصد الناس عن دخول الإسلام.

طب إيه الحل؟ عايز أوقف النزيف ده. قال له: يلا، قول للناس: يلا بينا، قوموا هنمشي، هنرتحل.

هو الفكرة عايز يخليهم يمشوا كتير قوي لغاية ما يبقوا مش قادرين يتكلموا، ولما ينزلوا يناموا على طول، فده كان حلًّا حكيمًا جدًا.

فلما بلغ عبدَ الله بنَ أُبَيّ أنه قد بلغه، بلغ رسولَ الله ﷺ مقالته، راح للنبي ﷺ وحلف له إن هو ما قالش، تمام؟ فقال القوم: يا رسول الله، عسى أن يكون هذا الغلام أوهم، يعني اللي هو زيد بن أرقم، ولم يتثبت ما قال الرجل. فالنبي ﷺ راح مشي.

فراح رسولُ الله ﷺ مهجِّرًا في ساعة لا يروح فيها، يعني اتحرّك، خلّى الجيش يتحرّك في وقت هو ما بيتحرّكش فيه في العادة. مين اللي لاقيه؟ لاقي أُسيد بن حضير.

أُسيد بن حضير ده شخصية جميلة قوي، تشعر فيه إنه طيب قوي، حكيم قوي، عنده صبر وعنده نية دعوية كده. شوف في كلامه هتفهمني. لو تفتكر إن أُسيد بن حضير ده أصلًا اللي جاب سعد بن معاذ لمصعب بن عمير، أُسيد بن حضير هو اللي قدر يخدع سعد بن معاذ بطريقة كده ويخلّيه يروح لمصعب بن عمير عشان يسمع منه، فأُسيد بن حضير من أسباب إسلام سعد بن معاذ.

المهم، أُسيد بن حضير رضي الله عنه سلّم على النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، لقد رُحت في ساعةٍ منكرة، يعني أول مرة نتحرّك في وقت زي ده، ما كنت تروح فيها. فقال النبي ﷺ له: «أما بلغك ما قال صاحبك ابن أُبَيّ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيُخرج الأعزَّ منها الأذل».

بص بقى شخصية أُسيد، فقال: فأنت يا رسول الله العزيز، وهو الذليل. ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، يا رسول الله، فوالله لقد جاء الله بك، وإنا لننظم له الخرز لنتوَّجه، كان هيكون ملك المدينة، فإنه يرى أن قد سلبته ملكًا.

فسار رسولُ الله ﷺ بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا، وصدر يومه حتى اشتد الضحى. يعني قعد فضل الليل كله ماشي، وفضل النهار كله ماشي، لغاية إيه؟ لغاية آخر الضحى.

ثم نزل بالناس، قال لهم: يلا ننزل هنا. أول ما نزلوا طبعًا إيه؟ كله نام. فلم يأمن الناس أن وجدوا مسَّ الأرض، فناموا.

ونزلت سورة المنافقين، طبعًا سورة المنافقين إتقال فيها كل اللي الناس أنكروه على زيد بن أرقم. فربنا نصر زيدَ بنَ أرقم، وأنزل في القرآن تصديق زيد بن أرقم، إن هو الكلام اللي قاله صح، وإن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول قال كده فعلًا. سبحان الله.

فعبد الله بن أُبَيّ بن سلول قال: {لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ}.

وقال: {لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ}. ربنا رد بقى قال إيه؟ قال: {وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ}.

الرد إن رزق الصحابة مش في إيدك، رزق الصحابة مش في إيد حد، إنما في إيد ربنا، وربنا اللي في إيده رزقهم، عنده خزائن السماوات والأرض.

قيل لأحد السلف: ألا تخشى الفقر؟ قال: كيف أخشى الفقر وسيدي يملك السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

الصحابة الكرام لما ربنا نهاهم إن يدخلوا المشركين مكة، طبعًا أنت عارف، يعني المشركين ما يخشّوش مكة، يعني تجارة، يعني فلوس، يعني أكل عيشنا.

ربنا قال لهم:

{إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ}(التوبة: 28)

فربنا بيّن لهم: أنا اللي هأرزقكم، رغم إنه ما فيش كافر هيخش مكة، بس هيجيلكم رزق أكتر من اللي كان بيجيلكم في الأول، وفعلًا، إلى الآن مكة لا يدخلها كافر، وأرزاق تأتيها من كل مكان.

الشاهد: عايز أقول إن أنا لما ألتزم بدين ربنا سبحانه وتعالى، ده لا يمكن يتعارض مع الرزق؛ لأن اللي أمرني بالالتزام هو الرزّاق سبحانه وتعالى. فالإنسان ببساطة لا تخاف على رزقه لما يلتزم، ما تخافيش على جوازك لما تلتزمي.

بعض البنات تخاف تلتزم تقول لك: "أتجوز الأول بعد كده ألبس الحجاب"، "أتجوز الأول بعد كده ألبس النقاب عشان أضمن الجواز". ليه؟ هو أنتِ لو التزمتِ مش هتتجوزي؟ هو أنت فاهم إنك لو التزمت مش هتشتغل؟ هو أنتِ فاكرة إن دين ربنا معناه إنك مش هترزقي؟ ده سوء ظن بالله. رزقك اتكتب أصلًا، تمام؟ فمش الالتزام هيمنع الرزق.

ربنا قال:

{أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ}(الزمر: 37)

{وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ}(الزمر: 38)

فهمت؟ يبقى أنا بأشتغل، أنا بألتزم، أنا بأستقيم على أمر الله، وموضوع الرزق ده لا يشغلني أبدًا. بأعمل اللي عليّ وأعلم إن حتى لو ابتليت، ما هو واحد يقول لك: "طب ما أنا فعلًا ابتليت في رزقي". لو ابتليت في رزقك مش بسبب الالتزام، بسبب إن ربنا بيختبرك بس، صح؟ ولو عدّيت الاختبار ده إن شاء الله ربنا يكرمك.

ويا سيدي، لو قعدت طول الحياة، رزقك محدود، إيه المشكلة؟ ما هو ده بيرجعنا ليه ربنا ختم الآية دي بالذات:

{وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ}.

لا يفقهون إن هم اعتبروا إن وجود الدنيا في إيدك هو معيار نجاحك، أو وجود الدنيا في إيدك هو معيار صحة منهجك، أو إن عدم وجود الدنيا في إيد المؤمن ممكن تفتنه.

لا، المؤمن الصادق ما تفتنوش. أو إن هم شايفين إن هم يملكوا الدنيا، الدنيا اللي في إيديهم دي بيملكوها لدرجة إن هم يقدروا يدوها للي عايزينه ويمنعوها من اللي عايزينه، ربنا يقول لهم لا برضه، الأمر بيد الله سبحانه وتعالى.

وكأن الآية دي برضه بتطلعنا بمعنى جديد. خد بقى معنى جديد أهو من المعاني اللي بنقولها النهارده: "الخوف المبالغ فيه على الرزق من علامات النفاق". مش عايزك تبقى كده. آه، بتحسب أمورك وبتعمل جمعيات وبتخطط وبتبقى قلقان شوية، ده خوف طبيعي.

الخوف المبالغ فيه، دائمًا حاسس إن أنت مهدد، اعرف إن ده من الشيطان. عايزك تسيب الالتزام، عايزك تقلعي النقاب، عايزك تقلعي الخمار، عايزك لا تستقيم على طاعة الله ويوهمك. قال تعالى:

{هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ}(طه: 120).

نفس الكلام، يوهمك إنك لو سبت بس الطريق ده تبقى أحسن واحد في الدنيا. الدنيا هتتفتح لك من جميع أبوابها، في الآخر رزقك هو رزقك.

واعلموا كما قال رسول الله ﷺ:

"وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ".

فالناس هنا بيقول لك إيه؟ كل ما يجيء لك الشيطان يخوفك من الالتزام بسبب الرزق، اذكر هذه الآية واذكر أن الله عنده خزائن السماوات والأرض، وأن الناس لا يملكون رزقك، بل لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا.

الصحابة كانوا في أول العهد المدني فقراء جدًا. بعد كده اتفتحت خيبر، واتفتحت بلاد الفرس والروم، صاروا ملوك الأرض. سيدنا أبو هريرة كان أمير على الكوفة. مرة حب يتنخّم، دخل يده في جيبه وطلع منديل كتان، قال: "بخ بخ لك يا أبا هريرة، تتنخّم في الكتان؟"، والله إني لأذكر نفسي وأنا أسقط في مسجد رسول الله ﷺ من شدة الجوع.

فالقرآن بيصحح التصورات: منافق فاكر نفسه بيملك الخزائن؟ لا. الالتزام سبب الفقر؟ لا. الملتزم مش هيرُزق؟ لا. الكفار هم بس الـ... لا.

تعالى بقى للتصور اللي جاي: العزّة والذل. ما هو برضه العزّة والذل دي حاجة ممكن تبقى غير الفلوس. العزّة دي حاجة في النفس. دلوقتي هيدَّعوا إن احنا الأعز، أنا الأعز، ربنا يقول لهم لا، العزّة دي شيء نفسي، والشيء النفسي ده ربنا بيحرم منه المنافق دائمًا.

طيب، خد بقى التصور الجديد: {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ}. طبعًا عبد الله بن أُبَيٍّ يقصد إن هو الأعز، ويقصد طبعًا النبي ﷺ الحاجة الثانية دي، تمام؟ فقال الكلمة دي. ربنا رد عليه برضه، قال:

{وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ}

ولكن المنافقين إيه؟ لا يعلمون. فبيّن سبحانه وتعالى إنهم جهلة تمامًا، حتى القضية دي بديهية مش واضحة عنده. إن العزّة لله يملكها، وهو يعطيها لمن يشاء. وربنا قدر أن العزّة اللي هي في النفس دي لن ينالها إلا المؤمن.

والنبي ﷺ قال:

«وَجَعَلَ الذِلَّ وَالصِّغَارَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

والنبي ﷺ قال:
«شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَائِهِ عَنِ النَّاسِ»
وربنا قال: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا}، طب إيه الطريق ليه يا رب؟
{إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ}(فاطر: 10)
عمر رضي الله عنه يقول: كنا أذلة، كنا أذلة حتى أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزّة في غير دين الله أذلنا الله.
والنبي ﷺ قال:
«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَبِعْتُمُ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»
سيدنا الحسن البصري بيتكلم على منافقي زمانه وظلم الظلمة اللي كانوا في زمانه من الحكام وغيرهم، فكان بيقول:
«هم وإن تقطقط بهم البغال، _يعني لو راكبين أفخم المراكب_ وهمّلجت بهم البرازين، لا يزال ذلّ المعصية في قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه».
سبحان الله، قال:
{وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}
فواضح هنا إن النفاق عمل تشويش عند المنافق، فجعله يخطئ في التقدير ولا يعلم قدر نفسه حتى.
سبحان الله.
من المواقف الرائعة موقف ابن عبد الله بن أبي بن سلول. لما جاء النبي ﷺ دخل المدينة، دخل ابن عبد الله بن أبي بن سلول، اسمه عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، كان رجل مؤمن تقي.
عمل إيه بقى لما هم راجعين من غزوة بني المصطلق؟ وقف على باب المدينة، كل الناس دخلت، لما جاء أبوه ما رضيش يدخله، رفع عليه السيف، قال: "والله لا تدخل المدينة، والله لا تدخل المدينة". حتى تعلم من العزيز ومن الذليل. والله لا تدخل المدينة حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل.
فجاء النبي ﷺ وشاف المشهد ده فقال له: "يا رسول الله، والله لا يدخل المدينة حتى تأذن له". فأذن له النبي ﷺ، فقال له ابنه: "أما إذ أذن لك رسول الله فجز الآن". فجز الآن يعني: خش خلاص، أذن لك النبي ﷺ.
وجيه مرة، في موقف برضه عبد الله بن أبي ابن عبد الله بن أبي، راح للنبي ﷺ قال: "يا رسول الله، بلغني أنك تريد أن تقتل أبي"، هو في ظنه كده يعني. فقال له: "خليني أنا أعمل الموضوع ده، لو حبيت أنا اللي أعمله". فهو الذي بعثك بالحق، ما تأملت في وجهه قط هيبة له. يعني أنا بأهابه قوي، بس ولئن شئت لآتينك برأسه، يقول: "أنا عمري ما بصيت في وش أبي من هيبة أبي. بس والله لو قلت لي أجيب لك رأسه هأجيبها لك. والله لئن شئت أن آتيك برأسه لآتينك، فإني أكره أن أرى قاتل أبي، يعني مش عايز حد يقتله غيري، أنا اللي أقتله بيدي، ما حدش يقتله غيري".
عجيب والله، قوة الولاء والبراء في عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول.
ثم ختمت السورة بهذه الآيات، اللي فيها المحور الأخير: وكيف النجاة؟ لقد رأينا إن مشكلة المنافق

هو حرصه على الدنيا، تعلقه بها، خوفه من إن هو يفقد الدنيا دي لو التزم أو تاب أو كده. فكان العلاج إن نصحح التصورات برضه، ويعرف إيه حجم كل شيء.

قال تعالى:

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ}

منطقي جدًا، تأتي الآية دي مناسبة لأن علة النفاق هي الدنيا. فلو أنا قدرت أصحح علاقتي بالدنيا وتصوراتي عن الدنيا، الموضوع هيتحل. {لَا تُلۡهِكُمۡ} بس، ربنا ما قالش "لا تمتلكوا الأموال ولا تنجبوا"، لا، قال {لَا تُلۡهِكُمۡ}، حتى ما قالش "لا تشغلكم"، لأن من الشغل بالمال ما هو محمود. وهناك شغل بالولد، أكيد الأولاد بيشغلوني وبيشغلوكِ.

والأموال بتشغلنا، بس الشغل بقى إيه؟ منه محمود ومنه مذموم. ربنا قال {إِنَّ أَصۡحَـٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَـٰكِهُونَ}(يس: 55)، صح؟

والنبي ﷺ قال: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعَ نَفْسَهُ فَمُعْتِقَهَا أَوْ مُوبِقَهَا»

طيب أومال ربنا قال إيه؟ قال: {لَا تُلۡهِكُمۡ}. قالوا: الإلهاء هو الشغل المذموم بقى، الانشغال المذموم، أي الانشغال الذي يضرني.

فأنا ممكن أكون مشغول بشغلي، وعندي شغلي، وعندي أولادي، بس مش بأنسى ربنا أبدًا. طب أعرف إزاي؟ عندي أول حاجة: عندي نية في الشغل، ما بأشتغلش حرام، يعني مش معقول أكون فاكر ربنا في شغلي وعامل حرام. ولا شغالة أنتِ حرام، ولا بأعمل فيها حرام، ولا بأضيع مواقيتها ومواعيدها، ولا بأسرق، ولا بأرتشي، ده المفروض. تمام؟

ولا أقلع حجابي عشان شغل، ولا اقصر في ديني عشان شغل، ولا أختلط اختلاطًا مبالغًا فيه بالرجال في محرمات عشان شغل، لا.

ولا علشان أولادي أعمل حاجة حرام، يتفرجوا على حاجات حرام، ولا أجيب لهم حاجة حرام عشان أريحهم، لا. ولا بيشغلوني عن الصلاة، ولا فلوسي بتكون سبب إن أنا أسيب صلاة، لا.

لو أنت كده يبقى أنت فهمان، نرجع لفهمان ثاني: "لا تلهكم، لا تشغلكم عن الله". طب أنا فلوسي مش شغّلني عن الله، بالعكس، أنا فاكر ربنا دائمًا، بأدي ربنا، بأكسب حلال، بأصرف في حلال، بل بتساعدني على القرب من الله، تمام؟ أنت تمام كده، كمل. لا يوجد مشكلة إنك تُحصل الدنيا وما فيها "نعم المال الصالح مع الرجل الصالح".

يبقى هنا الذم مش لذات المال أو لذات الولد، إنما في الإنسان بينشغل بها عن الله. فلو انشغلت بها عن الله، لو هتكذب في شغلك، تغش، تأخذ رشاوي، تقلعي حجابك، أولادك بقى يشغلوك، ولا تصلي، ولا تصوم، وأي حاجة حرام تطلبها، بأعملها لهم عشان خاطر عيالي، عشان أنا بأحبهم، ما بصحيهمش الفجر، ما بيصلوش، اصل بخاف يزعلوا، يبقى كده أنت كده ألهتك أموالك وأولادك عن ذكر الله.

{وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ}

طبعًا تخسر دينك، كمان كل ما تكثر علامات النفاق فيك، كل ما تبقى أقرب للنفاق الحقيقي اللي هو الاعتقادي.

أوعى تفتكر إنك عشان عندك نفاق عملي، اللي هو الكذب والغش والكلام ده، الحمد لله بس أنا جوه مؤمن، آه أنت مؤمن لغاية دلوقتي، بس كل ما بتكثر فيك صفات النفاق العملي، بتكون أقرب إلى النفاق الاعتقادي، ولا يأمن الإنسان مكر الشيطان به خاصة عند الموت. ففرّ من صفات المنافقين.

{وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ}. عشان كده النبي ﷺ بين الناس على صنفين في التعامل مع الدنيا:

«قال من أصبح والدنيا همه، فرق الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتي من الدنيا إلا ما قدر له. ومن أصبح والآخرة همه، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

خد بالك الاثنين أصبحوا، والاثنين راحوا الشغل مع بعض، والاثنين بيتاجروا في محلين جنب بعض، بس ده في دنيا وده في دنيا. فين الفرق بينهم؟ الفرق في النوايا، الفرق في المراد، الفرق في الفكرة: أنا نازل أعمل إيه؟ نازل أقرب لربنا بشغلي وبأمانتي وبحجابي وكل حاجة. والثاني نازل الدنيا بأي طريقة هأجيبها. ده في دنيا وده في دنيا. ده اللي مركز في الآخرة عمره ما يضل أبدًا، واللي مركز في الدنيا احتمال كبير يتحول إلى منافق.

{وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ}.

طب الحاجات اللي تؤكد لي إن أنا الدنيا طلعت من قلبي، واللي تهذبني لو الدنيا دخلت في قلبي شوية وتضبط لي المعيار، واللي تؤكد لي إن أنا أريد بالدنيا الدار الآخرة؟ "النفقة". كل ما النفقة تبقى أكثر، كل ما النفقة تبقى أسرع، ده يدل إن أنت تمام.

إذًا من علامات المنافقين: {وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ}(التوبة: 54). بل لو شاف حد بينفق، {يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ}(التوبة: 79)، يقول له: "أنت بتنفق ليه؟ ربنا مش محتاج النفقة بتاعتك دي"، كمان بيحبط الناس.

يبقى أنا عشان أبقى مؤمن بعيد عن النفاق، لازم صدقات كثيرة. ربنا قال:

{وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ}

هو أصلًا تحفيز: {أَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم}، هو رزق ربنا أصلًا، هو فلوس ربنا. تخيل، ربنا أداك فلوس وقال لك: أديها لي ثاني، أو اديني جزء منها، أداك فلوس كثير وقال لك اديني جزء منها، يسير. وأدخلك الجنة. طب ما حاجة حلوة جدًا، واحد أداك 100 جنيه، قال لك: أديني 2.5 جنيه منهم، أدخلك الجنة، اللي هي الزكاة. ولو أديتني أكثر، 5 جنيه، 10 جنيه من 100، تروح بقى للفردوس الأعلى. ما حلو قوي، ده ما هي فلوسك أصلًا. أنت اديني 100 جنيه، هأديك منها 10 جنيه مثلًا، خلاص كده، تمام؟ تمام جدًا.

طب ما حلوة الصفقة دي، حلوة، بس مين بيعملها؟ يعني أنا آخد الـ100 جنيه دي بتاعتي، {أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ}، ما هي دي المشكلة. {أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم}: تحفيز أهو، {مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ}، أدي تحفيز ثاني بس بالتخويف.

ما هو ده مهم، الإنسان يعيش إيه؟ خوف ورجاء.

ربنا قال لك النعمة الأول {رَزَقۡنَٰكُم}، بعد كده بقى إيه؟ لما ما جتش بدي، تيجي بدي بالتخويف بقى: {مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ}

{لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ} يعني: رجعني الدنيا ثاني يا رب، اديني فرصة، اديني ساعة، اديني لحظة، هتعمل إيه في اللحظة دي؟

{فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ}.

يا سبحان الله. الصدقة، بتنزع حب الدنيا فعلًا من القلب زي ما قلنا، لكن صاحبنا ده ما أدركش قيمة الصدقة إلا عند الموت.

لذلك أحد السلف يقول: (أيُّ شيءٍ حمله أن يختار الصدقة؟) يعني إيه هو اللي شافه؟ وإيه هو اللي عاينه من أمور الآخرة خلاه يقول: عايز أتصدق؟ فواضح إن الصدقة دي حاجة كبيرة قوي عند ربنا، لذلك قالوا: لو في حاجة أهم من الصدقة كان قالها. الراجل أول حاجة قال: رجعوني أتصدق.

{رَبِّ ٱرۡجِعُونِ* لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكۡتُ}(المؤمنون: 99، 100)

فهذا يدل على شرف الصدقة، إنها كبيرة قوي عند ربنا، لأنها نفع متعدٍّ.

والصدقة تُطفئ غضب الرب، والرجل يكون في ظل صدقته يوم القيامة. النبي ﷺ قال:

«يا معشر النساء، تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار».

فنجاة الإنسان من النار بكثرة الصدقة، كل ما يكثر الإنسان من الصدقة كل ما يسلم من النار، وكل ما يدل على قوة إيمانه. إنما سُمِّيت الصدقة صدقة لأنها تدل على صدق إيمان صاحبها أصلًا.

لكن إيه أفضل الصدقة بقى؟ نتصدق وإحنا عيانين وميتين وبنموت؟ يلا طلعوا فلوسي بقى؟ أتصدق وأنا خلاص في مرض الموت؟ لا.

النبي ﷺ قال:

«أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى».

يعني وأنت في عز مجدك، وأنت بتحوّش وبتعمل مشروعك وبتؤسس. وبعض الناس ييجي يقول لك: إيه يا شيخ، أنا هو لازم أطلع الزكاة؟ أصل أنا بأحوش للشقة. يا شيخ، لازم أطلع الزكاة؟ أصل أنا شايل قرشين كده للزمن. أيوه، لازم تطلع زكاة. ما كلنا شايلين قرشين للظروف، هو في مين شايل قرشين من غير ما يكون له مخطط؟ ما هو ده أفضل وقت للصدقة.

تصدق وأنت صحيح شحيح؛ شحيح يعني أنت بتحوش فلوسك لحاجة، تخشى الفقر وتأمل الغنى، لسه بتخطط، بعمل مشروعي، بؤسس الأساس، كل مليم محتاجه، هو ده وقت الصدقة، ده أفضل وقت للصدقة. والبركة كلها تيجي لك.

«ما نقص مالٌ من صدقة».

أنت قلقان ليه؟ ما نقص مال من صدقة.

«أنفق بلالًا، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالًا».

فين الثقة في الله؟ والله ما نقص مال من صدقة، والموضوع ده مُجرَّب مئات آلاف المرات، مُجرَّب مع الواحد ومع غيره. تمام؟

يا جماعة، لا تترددوا في الصدقات أبدًا، طلع، طلع. استكثر الله وأكثر. حتى لو أنت عامل حسابك ومحوش قرشين، الصدقة دي اللي هتخلي البركة في الباقي، واللي هيسهّلوا لك الباقي.

قصص كثيرة، لو في وقت كنت حكيت لكم إزاي صدقة حلّت مشاكل في الحياة فعلًا، مشاكل لو أنت بتحلّها لنفسك كنت هتقعد سنين طويلة، طلعت جزء من المال اتحلّت المشكلة كلها، حل كان محتاج سنين فعلاً اتحل في أسبوعين.

{فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ}.

تنالوا شرف الصدقة، وكأن الصدقة دي بتساعدك على الصلاح، لأنها بتطلع حب الدنيا من قلبك، وتخلّيك تزهد في الدنيا. ولو طلع حب الدنيا من قلبك، كل مشاكلك اتحلّت، لأن كل المشاكل بتيجي من الدنيا: النفاق، الغش، الزنا، السرقة، الخداع، كل ده جاي من حب الدنيا. طب أنا لو نزعت حب الدنيا من قلبي، هأكون من الصالحين. وإيه اللي ينزع حب الدنيا من قلبي؟ كثرة الصدقات. يبقى: فأتصدق وأكن من الصالحين.

ربنا قال:

{وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ}

والوصايا الأخيرة في السورة دي بتقول لك: أهم شيء تعمله في حياتك أماني أهل النار، ودي واجب ناخده من القرآن كله. عايز خلاصة الخلاصة في الدنيا؟ خلاصة النصيحة ما تاخدهاش من الشيخ ولا من الداعية، أحلى نصيحة هتاخدها في حياتك من أهل النار، اللي جايين لك من جوّه.

لما تلاقي الكافر يقول:{يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي}، اشتغل. لما يقول: {رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ}، دي أمنية، وأنت في الأمنية الآن، اعمل صالحًا، أنجز. لما يتقال لك:

{يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ} (آل عمران: 30)، ابعد عن السوء، ابعد عن صحبة السوء، ابعد عن أعمال السوء، وخلي مسافة احتياطي، وابعد عن الناس اللي مش كويسة، واتقِ الشبهات، دي أمنية.

الفاجر، والكافر هيقول للشيطان:

{يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ}(الزخرف: 38)

اعمل دلوقتي بينك وبين الشيطان مسافة بُعد المشرقين، بالاستعاذة، بالتحصين، بالأذكار، بالصلوات، بأذكار النوم، ابعده عنك، ما تكونش صاحبه، وما تكونش موالي له في الباطن وأنت بتعاديه في الظاهر.

خُد واجب: أنا مش هأقول لك كله، بس أي مشهد في القرآن تلاقي أهل النار بيقولوا: يا ليتني، أود.. اعرف إن دي خلاصة الحياة، جاب لك من الآخر.

دي وصية: فَأَصَّدَّقَ. ده واجب النهارده: صدقات كثيرة قوي، كثير قوي، ودي من العلاج للنفاق. ومع إنك ما تلهكش الدنيا ولا أولادك، وتكثر من الصلاة والأذكار، وتنفق على الدعاة. بالعكس، هم بيقولوا: لا تنفقوا على من عند رسول الله، واجب أهو: ننفق على الدعاة، ننفق على العلماء، ننفق على طلبة العلم، ننفق على حلقات القرآن.

نتعزّز بالإسلام، نفخر به، نحارب المنافقين، نكبسهم، ما نسمعهمش، ما نتفرجش عليهم، ما نساعدهمش، ما ننشر لهمش. كل ده تطبيقات النهارده بنطلع بها من الحلقة دي. واكتبوا بقى في التعليقات كل التطبيقات اللي ممكن تطلعوا بها من السورة دي، واستفدتم إيه؟

بس كده، خلصنا النهاردة بفضل الله سبحانه وتعالى. نحفظ بقى السورة كويس جدًا، ونراجعها ونصلي بها، ونكتب استفدنا إيه.

وجزاكم الله خيرًا، تقبّل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله.

مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الثانية عشر

الصفقة الأخطر | سورة التغابن (1)

علاء حامد
Alaa Hamed

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد، أهلًا ومرحبًا بكم أحبابنا الكرام في لقاء جديد، ومدارسة جديدة مع مدرسة قد سمع.
بفضل الله سبحانه وتعالى، المرة الماضية انتهينا من سورة المنافقون، وهذا يعني أننا نقف على عتبات هذه السورة العظيمة المباركة: سورة التغابن.
سورة التغابن... الحقيقة أعلم أن كثيرًا منا يجد صعوبة في حفظ سورة التغابن، لكن أرجو من الله سبحانه وتعالى أن بعد الدرسين دول، الدرس ده والدرس القادم، لأننا هنأخذها في مرتين، تجد سورة التغابن من أسهل سور القرآن، ومن أمتع سور القرآن، بفضل الله سبحانه وتعالى.
فدعونا ننتقل أو ننطلق في هذه السورة الطيبة المباركة، ونسأل الله التوفيق والتيسير والقبول.
سورة التغابن سورة عظيمة، خلّونا كالعادة نقرأ... النهاردة هناخد أول وجه من سورة التغابن، نحاول نطلع بأكبر فوائد ممكنة، والمرة القادمة بإذن الله تعالى هنتناول الوجه الثاني.
فانووا نية صالحة، وجدّدوا النوايا، وانْووا العمل بالعلم، مش مجرد زيادة في المعلومات، وانْووا الهداية بالقرآن، فهذا كتاب هداية، وانْووا النور أن يسكن قلوبكم، كما سيأتي معنا النهاردة وصف القرآن بالنور:
{فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ}.
فنسأل الله أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا.
يلا بينا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:
{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (1) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ (3) يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (4) أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (5) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ (6) زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (7) فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ (8) يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (9) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ (10)}
هذه الآيات الكريمة من سورة التغابن.
سورة التغابن سورة اختلفوا في كونها مكية أو مدنية، والأشهر – والله تعالى أعلم – أنها مدنية.
وسورة التغابن بدأت بـ: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ}؛ لذلك يقولون إن سورة التغابن هي آخر المسبّحات، يعني آخر السور التي بدأت بـ سبّح أو يسبّح، فهي آخر سورة في القرآن بدأت بهذه الآية، بالتسبيح، سواء سبّح أو يسبّح أو يسبح.
وهي آخر المسبّحات في جزء قد سمع.

وهي تدور حول معنى الحرص على طاعة الله تعالى، والحرص على اغتنام الأوقات، والحرص على اتقاء غضب الله سبحانه وتعالى، حتى لا يحصل للإنسان التغابن.

طيب، ما هو التغابن؟

كلمة التغابن جاية من الغبن، والغبن عادة يُستعمل كمصطلح في البيع والشراء. يقول لك: في غبن في البيعة دي، يعني إيه غبن؟

الغبن يدور حول معنى الخسارة، ودائمًا الغبن بيأتي من معنى إيه؟ من معنى إن بيكون في حاجة قيمة قوي، وأنت مثلًا خُدِعت وبعتها بسعر رخيص جدًا، فيقول لك: حصل غبن. أو العكس: حاجة رخيصة جدًا، وأنت اشتريتها خُدِعت فاشتريتها بسعر غالي جدًا، فيقول لك: حصل له غبن.

يعني خُدع، يعني خسر، يعني اتغفّل.

فمعنى الغبن بيدور حول القصة دي. عشان كده سيأتي معنا أن يوم القيامة اسمه يوم التغابن، يعني من كتر الناس اللي هيحصل لها غبن يوم القيامة، فسمّى اليوم التغابن.

لأن أغلب الناس هيخسر يوم القيامة للأسف، وأغلب الناس سيشعر أنه يعني خسر في صفقة الدنيا. حتى المؤمن على فكرة، حتى اللي هيدخل الجنة هيحس إنه كان ممكن يعمل أحسن؛ هيتحسّر على أوقات ضيّعها، هيتحسّر على عبادة كان ممكن يعملها بشكل أحسن، هيتحسّر على درجات من الجنة كان ممكن يوصل لها، لكنه قصّر شوية، فترتّب على ذلك إنه ما دخلش منزلة أعلى في الجنة.

آه، جوّه الجنة مش هيبقى فيه حسرة، جوّه الجنة مش هنحس بالتغابن، خلاص. الكلام ده في يوم القيامة. فما بالكم بالغبن اللي بيحصل للكافر أو بيحصل للمنافق! وهو بيشوف بقى إنه أصلًا خسر الجنة بما فيها، ورغم إنه قضى نفس الحياة اللي قضاها المؤمن، لكن هو في حياته انتهت بأنه اشترى الجحيم، وحياة المؤمن انتهت بأنه اشترى النعيم.

فده باع واشترى، وده باع واشترى، لكن المؤمن باع حياته لله سبحانه وتعالى، واشترى الجنة، فحصل له الفوز العظيم. والثاني باع حياته واشترى الجحيم، فحصل له الغبن والتغابن. فهي مدار السورة على المعنى ده، وكأن الحياة صفقة، وكأن النَفَس اللي بتتنفّسه ده كنز، ممكن تشتري به جنة، وممكن ولا حاجة، وممكن تشتري به جحيم، حسب الكلمة اللي أنت هتختارها، حسب الفعل اللي هتفعله في الثانية القادمة.

سبحان الله وبحمده، من قالها غُرِسَت له نخلة في الجنة.

لا حول ولا قوة إلا بالله، كنز من كنوز الجنة.

وقتك بتعمل فيه إيه؟ اللحظات بتعدّي إزاي؟ أنت معك صفقة سهلة جدًا:

{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ}(التوبة: 111) .

أنت معك نفس، معك مال، ربنا أعطاه لك، وأعطاك فرصة للحياة، وأعطاك فرصة إن أنت تؤدّي بهذه النفس وهذا المال. إيه بقى اللي حصل؟ هل قدرت تشتري بالقيمة دي أو الثمن ده جنةً عرضها السماوات والأرض، بفضل الله طبعًا وبرحمته؟ ولا بنفس الشيء ده اشتريت الجحيم؟

فربنا سبحانه وتعالى أخبر أن الكافرين:

{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ}(البقرة: 86).

لذلك بيتسمّى يوم القيامة يوم التغابن، من كتر الناس اللي بتخسر فيه:

{وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ}(يونس: 45).

والنبي ﷺ استعمل نفس المصطلح ده لما بيّن قد إيه الناس بتخسر بسبب إنهم بيضيّعوا أكبر نعمتين عندهم: الصحة والفراغ. فقال عليه الصلاة والسلام:

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

يعني دول نعمتين يا جماعة. اللي عنده فراغ ده عنده نعمة. في ناس يقول لك: مش لاقي حاجة أعملها، أنا أقتل الوقت وخلاص. يقعد طول النهار على الموبايل، يقعد يقلب في الـ shorts ,reels ، يقعد يضيّع وقته في كلام مالوش لازمة، يتفرّج على برامج ما لهاش لازمة. والله العظيم هتندم يوم القيامة لما تفتح كتابك كده، وتلاقي الفراغ ده، وتلاقي الوقت اللي ضايع ده، فضلًا عن إن يكون في معاصي. هتقول: يا ريتني، يا ريتني استثمرت الفراغ ده، يا ريتني كل ثانية في حياتي استعملتها في طاعة الله تعالى.

عشان كده: مغبون، «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

الصحة... اللي كان عنده صحة، بعض الناس للأسف ما بيفوقش وما بيعملش الصالحات إلا لما يتهدّ، يتهدّ، فيبتدي بقى يصلي ويبتدي يصوم، وهو أصلًا لا قادر يصلي ولا قادر يصوم. فيصلي بصعوبة، أو بيصوم بصعوبة، ومش عارف يعمل حج وعمرة كويس؛ لأن خلاص الصحة راحت. كان فين أيام الشباب؟ أيام ما كان في فرصة إن احنا نصلي كتير، ونصوم كتير، ونروح نسعى على الأرملة والمسكين، ونلف على المشايخ نطلب العلم.

الصحة ما تضيعش صحتك، ما تضيعش فراغك. كل الناس يوم القيامة هتندم على النعمتين دول إنهم ما استثمروهاش صح. ما يغركش شبابك وتقول: أنا شباب عايز أفرح بشبابي اليومين دول، وبعدين بقى إن شاء الله هنصلي. افرح بشبابك بالطاعة، افرح بشبابك بالعبادة.

السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: شاب نشأ في عبادة الله. ده هو ده الوقت اللي تنشأ، اللي تستثمر فيه صحتك في عبادة الله. عندي وقت، مش عارف أعمل إيه؟ اشتغل، اطلب علم، احفظ قرآن.

لما يوم القيامة يقال لقارئ القرآن:

«اقرأ وارتقِ ورتّل، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

تخيّل لو أنت مثلًا حافظ 100 آية بس، أو حافظ 1000 آية حتى بس، القرآن 6236 آية! تخيّل حسرتك وأنت بتشوف الخاتم قاعد طالع في 6236 درجة في الجنة، وأنت يا دوبك معك 100 آية، أو 200 آية، أو 500 آية. كان في فراغ، كان في وقت، كان في شباب، كان في صحة. هتندم يوم القيامة.

يلا نحفظ قرآن، يلا نستكثر من العمل الصالح. حتى لو العمر ما كفّاش، ربنا يعطينا على قدّ النوايا. بس ربنا يرانا إن احنا شغّالين وما بنضيّعش وقت.

يوم التغابن... عشان كده اتسمّت السورة كلها بالتغابن، والمعنى ده هيتكرر معنا، وهنتكلم عليه بالتفصيل كمان في آخر المحاضرة دي.

بدأت السورة بقوله تعالى:

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.
تكلمنا عدة مرات عن التسبيح، وقولنا أن التسبيح هو: تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب.
فهو سبحانه وتعالى منزَّه عن كل نقص وعيب، وله كل كمال سبحانه وتعالى، فليس فيه عيب؛ لا في أفعاله، ولا في أقواله، ولا في أقداره، ولا في حكمته في الخلق.
فلا يُتَّهَم: ليه خلقت؟ ليه ابتليتنا؟ ليه؟ ليه عملت الاختبار؟
{يُسَبِّحُ لِلَّهِ}: هو منزَّه عن الزلل والخطأ، وكل أفعاله لا تصدر إلا عن العدل والحكمة، سبحانه وتعالى.
وقضية التسبيح برضه لما اتربطت بـ{مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ}، برضه بترجعنا للمعنى اللي اتكلمنا عنه مرارًا:
إن أنت مش لوحدك، كل ما في الكون يسبّح بحمد الله تعالى، إلا ما كان من الشياطين والأغبياء من بني آدم، بس غير كده: ما من شئ إلا يسبح بحمد الله تعالى.
فأنت حين تسير في طاعة الله على مراد الله، أنت متّسق مع الكون؛ السماء بتحبك، الأرض بتحبك، الملائكة بتحبك، الطير بيحبك.
والنبي ﷺ أخبر عن الكافر والمؤمن والمنافق وكده لما بيموتوا، قال عليه الصلاة والسلام بيوصف حال دول:
«فمستريح ومستراح منه، قال: أما المؤمن إذا مات فيستريح، وأما الكافر إذا مات استراح منه البلاد والعباد».

فكن مع الكون، ولا تكن مع الخاسرين. هذه قوافل الطائعين من عُباد الله سبحانه وتعالى، فكن معهم، ولا تكن مع القوم الخاسرين.
{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ}.
وفي فائدة ثانية، وهي فضل التسبيح نفسه، يعني أن أنت تقول: سبحان الله كثير.
والكلمة دي جميلة، سبحان الله، والحمد لله، تملآن ما بين السماء والأرض.
وعُبيد بن عمير كان بيقول كلمة جميلة قوي، بيقول: تسبيحة بحمد الله تعالى في صحيفة المؤمن خير له من الدنيا وما فيها.
تسبيحة واحدة بحمد الله تعالى – مع القَرن بالحمد - طبعًا التسبيح مع الحمد أعلى حاجة؛ يعني إنك تقول سبحان الله ده عالي جدًا، إنك تقول سبحان الله وبحمده ده أعلى. ربنا بيحب دي أكتر.
عشان كده بيقول: تسبيحة بحمد الله في صحيفة المؤمن خير له من الدنيا وما فيها. ليه؟
ببساطة لأن التسبيحة تبقى عند الله، والدنيا بأسرها تفنى.
{ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا}.
لذلك جاء في تفسير الباقيات الصالحات، قالوا: يدخل فيها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.
{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ}، قال:
{لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.
له الملك يعني الله يملك كل شيء ويحكم في كل شيء، فله المِلك التام والمُلك التام،

وهذا يستلزم أنه يستحق العبادة، فده فيه دلالة على التوحيد، مسألة التوحيد.
فالله هو المستحق للعبادة؛ فالذي يملك هو الذي يستحق أن يُعبد، صح؟ من لا يملك لا يستحق أن يُعبد، والله تعالى هو الوحيد الذي يملك، سبحانه وتعالى.
له الحمد يعني له الكمالات، فيُحمد سبحانه وتعالى، يعني له الكمالات في كل شيء؛ الكمالات في خلقه، في أمره، في نهيه، في أفعاله، في أقواله، سبحانه وتعالى. له الكمال المطلق في كل شيء.
{لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ}، كل واحدة لوحدها كمال، واجتماعهم كمال. يعني إيه؟
يعني له الملك، هذا كمال لله تعالى، وله الحمد، هذا أيضًا كمال لله سبحانه وتعالى.
طيب، أحيانًا صفتين لله أو اسمين لله لو اجتمعوا بتجد كمال أعلى. بمعنى: طبعًا له الملك ده كمال، لكن عادة يقول لك: الملوك لا يُحمدون على كل أفعالهم؛ لأن أحيانًا الملك بيخليهم يظلموا، أو يبطشوا، أو تحصل منهم تصرفات أحيانًا، بسبب إن الملك بيغري، يقول لك: الملك بيغرّ، يخلي الواحد يطغى أحيانًا.
لكن ربنا له الملك وله الحمد، فمع ملكه التام فإن أفعاله لا تخرج عن الحكمة والعدل، وكل صفاته كاملة، سبحانه وتعالى. فاجتمع له كمال الملك مع كمال الأفعال والأقوال ونحو ذلك؛ هذا كمال فوق الكمال.
{لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ}.
ثم قال: {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.
طيب، الحقيقة ده بيفتح لك باب رجاء عالي جدًا، وباب أمل عالي جدًا، إن ربك على كل شيء قدير.
طيب، فلتتعلّق القلوب بمن هو على كل شيء قدير، خاصة وأنت علمت أنه {لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ}.
فأنا بطلب منه بثقة، وبطلب كثير، وبطلب بإلحاح، وأنا متأكد إنه يقدر؛ لأنه له الملك.
وفي نفس الوقت، طلبي لو اتأخر، أو لو ربنا أعطاني بداله، أو ادّخره لي يوم القيامة، أقول: له الحمد.
شوف الجمع ده: له الحمد.
وأنا ماليش التصرف اللي يختاره لي، هو ده الصح. كان ممكن يديني، ما هو له الملك، طيب ليه مرة ادّاني ومرة ما ادّانيش؟ مرة أخّر لي الإجابة، مرة عجّلها، مرة هيديهالي في الدنيا، ومرة اختار إنه يديهالي في الآخرة.
نقول: له الحمد.
بس هو في جميع الأحوال {هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}، سبحانه وتعالى
{لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.
ثم قال تعالى:
{هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ}.
{هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ} ... فيها كذا دلالة.
الدلالة الأولى: {هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ}، إذا هو المستحق للعبادة. ده بيرجعنا لإيه؟ لاستحقاق العبادة، وأيضًا تدل على البعث.
دائمًا من أدلة البعث – زي ما أنتم عارفين – الخلق الأول:
{أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ}(ق: 15).

{وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ}(الروم: 27).
عشان كده هيأتي في نفس الآيات: {وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}.
فربنا استدل على البعث قبل ما يقول {وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ} بأنه ذكر الخلق الأول: {هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ}.
وأيضًا دليل على القدرة لما قال: {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}،
بيّن ذلك بقوله: هو الذي خلقكم، صح.
ثم قال تعالى:
{فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ}.
ركّز بقى في دي: يعني إيه {فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ}؟
هذا الجزء من الآية له تفسيرين، أو فيه قولين؟ والحقيقة القولين بيكمّلوا بعض، بس ركّز معي.
القول الأول بيقول: {فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ} أي في علم الله السابق.
في علم الله السابق إن ده هيحصل، سيكون منكم كافر ومنكم مؤمن. أي خلقكم، فحين خلقكم علم سابقًا في علمه السابق أنه سيؤول أمركم إلى أنه سيكون منكم كافر وسيكون منكم مؤمن، فحصل بالفعل ما علمه الله سبحانه وتعالى.
يبقى إذًا القول الأول بيقول إن معنى الآية إن ربنا بيقول: أنا حين خلقتكم كنت أعلم مسبقًا من سيكون مؤمنًا ومن سيكون كافرًا، وطبعًا ربنا كتب ذلك عنده في اللوح المحفوظ، وكتب أهل الجنة، وكتب أهل النار، وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي.
إذًا هذا القول معتمد في التفسير على وجه النظر للآية من ناحية القدر السابق الذي قدره الله، والعلم السابق بما سيحصل من العباد.
وبالتالي قبل ما يخلق ربنا العباد، علم من سيكون مؤمنًا ومن سيكون كافرًا، وعلى أساس ذلك كتب أهل الجنة وأهل النار، والكلام ده.
طيب، خلاص خلّينا ناخد القول الثاني عشان نكمّل الصورة.
القول الثاني بقى نظر للآية من منظور أفعال العباد واختيارات العباد، وحصول القدر ده اللي ربنا علمه من العباد بقدرتهم وإرادتهم.
القول الثاني بيقول: فمنكم كافر ومنكم مؤمن أي هو الذي خلقكم، ثم أرسل لكم الرسل، وأنزل إليكم الكتب، ووضّح الطريق، وهداكم النجدين، فمنكم من اختار الكفر، ومنكم من اختار الهداية.
منكم من اختار طريق الخير، ومنكم من اختار طريق الضلال.
لاحظ الفرق بين القولين:
القول الأول بيقول إن ربنا علم من سيكون مؤمنًا ومن سيكون كافرًا، فنظر إلى القدر السابق والعلم السابق.
القول الثاني بيقول: أنتم هتختاروا، واحد هيختار الإيمان، والثاني هيختار الكفر، فنظر من ناحية وقوع القدر ده بأفعال العباد نفسها، إن العباد لهم قدرة وإرادة بها تقع أفعالهم، فسيختارون، فسيؤول هذا الاختيار إن منهم هيختار الكفر ومنهم هيختار الإيمان:
{فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ}.
القولين دول في الحقيقة بيكمّلوا بعض جدًا، ومهمين جدًا في فهم قضية القدر.

ليه بقى؟ لأن قضية القدر لما بيتبص لها بزاوية واحدة ممكن نفهم غلط.
القدر مبني على إيه يا جماعة؟
مبني على أربعة أركان، أربع حاجات لازم تفهمهم كويس:
المعلومة الأولى: أن الله علم مسبقًا ما الخلق عاملون.
الحاجة الثانية: أن الله كتب ذلك عنده سبحانه وتعالى، كتب مقادير الخلائق عنده سبحانه وتعالى.
الحاجة الثالثة: أن الله خلق أفعال العباد.
الحاجة الرابعة: أنه لا يكون في ملك الله إلا ما يريد.
بالراحة نفهمها:
القدر ممكن تبص له من زاوية واحدة فتفهم غلط. زاوية إيه؟ زاوية العلم السابق بس.
إن تلاقي في القرآن:
{وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ}،
{إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ}،
ومثلًا: {فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ} من زاوية التفسير الأول، فتقول: طب هو هل إحنا كده مجبرين على أفعالنا؟ وإن ربنا خلقنا ده مؤمن كده وده كافر وخلاص؟ وبالتالي أنا ماليش اختيار؟ طب ليه عمل كده؟
طبعًا القول ده قول بيسمّوه عقيدة الجبرية، اللي هم بصّوا بس من الزاوية دي، فقالوا بالجبر، قالوا إن ربنا جبر العباد أو أجبرهم على أفعالهم، وده طبعًا عقيدة فاسدة تمامًا؛
لأنه يستلزم منها اتهام ربنا بالظلم، واتهامه بالعبث: إنه خلق الدنيا، وقال للناس: يلا اشتغلوا، وفي جنة ونار، وبعد كده أجبر ده على أفعال الجنة، وأجبر ده على أفعال النار، ودخل ده الجنة، ودخل ده النار. ده قمة العبث والظلم.
وحاشاه سبحانه وتعالى أن يكون لاعبًا أو يكون ظالمًا:
{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ}(فصلت: 46)،
{وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ}(الأنبياء: 16)،
{مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ}(الدخان: 46).
صح كده؟
يبقى ده أكيد، أكيد، إحنا مش مجبرين على أفعالنا، لأن هذا يتنافى مع {لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ}.
له الملك يعني يفعل ما يشاء ويحكم بما يشاء، بس له الحمد، أكيد ما أجبرش العباد؛ لأن إجبار العباد نقص، والنقص يتنافى مع أن له الحمد، والنقص يتنافى مع يُسَبِّح اللي اتقالت في أول السورة،
القول الثاني: لو بصّينا من الزاوية الثانية، هنلاقي في القرآن أدلة تدل على إن العباد يعملوا أعمال بإرادتهم ومشيئتهم، زي ما ربنا قال:
{ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ}(فصلت: 40) واضحة أهي: {ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ}، فأثبت لهم مشيئة وإرادة، وأثبت إن أعمالهم هي فرع عن اختيارهم هذا ومشيئتهم وإرادتهم.
وربنا قال في سورة البقرة:
{لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ}[البقرة: 286]

يبقى النفس بتكتسب أهو بتعمل حاجة، في كسب ليها، في اختيار لها.
وربنا قال:
{ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ}(النحل: 32)
فنسب لهم عمل، وبيّن إن لهم عمل، وإن هم بيتحاسبوا عليه.
طب نجمع إزاي الكلام ده؟
هو ده القدر: إنك تجمع الصورتين دول مع بعض. لو بصّيت من الزاوية الأولانية هتتوهم الجبر، ولو بصّيت من الزاوية الثانية بس، اللي فيها إن ربنا أثبت للعباد المشيئة والإرادة ونسب لهم العمل، ممكن تقع في غلطة ثانية.
إيه الغلطة الثانية دي؟
غلطة فرقة في الإسلام اسمها القدرية. من القدرية دول؟
القدرية دول كانوا بيقولوا كلمة خطيرة قوي، بيقولوا: إن ربنا مالهوش سلطان على أفعال العباد، وإنه بيعلم أفعال العباد بعد ما بتحصل أصلًا، يعني العباد بيختاروا اختيار مطلق، وإن ربنا مالهوش أي تدخل في اختيارات العباد، ومالهوش سلطان على أفعال العباد، وإنه بيعلم أفعال العباد بعد ما بتحصل كمان.
طبعًا ده كلام خطير جدًا؛ لأنه بينفي عن الله الملك.
إحنا قلنا {لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ}، بينفي عن الله الملك، يبقى كده هو مش ملك. الملك يتصرف في خلقه كيف يشاء، يبقى كده خطيرة جدًا، ده طعن في قول له الملك، وبينفي عن الله سلطانه على العباد، تمام؟ وبينفي عن الله العلم، العلم السابق. هو كلامك ده، يبقى هو ما علمش، يبقى تخيل: نفيت العلم، نفيت الملك، نفيت سلطانه، نفيت العلم، وبالتالي ده غلط، وده غلط؛ اللي يبص كده غلط، واللي يبص كده غلط.
عشان كده بنقول السؤال الأزلي: هل الإنسان مخيّر ولا مسيّر؟
فالجبرية قالوا: الإنسان مسيّر، إحنا كأننا في مسرح عرايس وحد بيحركنا، وده طبعًا عبث.
والتانيين، القدرية، قالوا: هو مخيّر تمامًا، يعني مخيّر هو اللي بيختار اختيار تام، يعني ربنا مالهوش سلطان عليه أبدًا في اختياراته، بل ربنا بيعلم اختياره بعد ما بيحصل، مفيش علم سابق.
فالاثنين غلط.
عشان كده الإجابة الدقيقة على السؤال الأزلي ده: الإنسان مخيّر ولا مسيّر؟
نقول كما قال النبي ﷺ كلمة بتجمع الاتنين مع بعض، قال: (اعملوا فكل ميسّر لما خُلق له).
فالإجابة الدقيقة أن الإنسان ميسّر.
وميسّر دي بتجمع الاتنين؛ لأن الأدلة ممكن أنت تتلخبط تقول: هو ربنا بيفعل ما يشاء، ولا إحنا اللي بنفعل ما نشاء؟
والجمع بينهما أن الإنسان له قدرة ومشيئة، ربنا خلق له قدرة وخلق له مشيئة، هو اللي خلق له القدرة وهو اللي خلق له المشيئة. صح، الفعل بيتكوّن نتيجة اجتماع القدرة مع المشيئة.
يعني أنا دلوقتي أقدر أقوم أقف، صح؟ بس أنا مش عايز أقف، يبقى مش هأقف، يبقى قدرة بس من غير مشيئة.

طب أنا عايز أقف بس أنا عاجز، برضه مش هأقف.
يبقى عشان يتكوّن فعل لازم يجتمع إيه؟ القدرة مع المشيئة.
من اللي خلق لك القدرة؟ الله.
من اللي خلق لك المشيئة؟ الله.
يبقى من اللي خلق الفعل نفسه؟ الله.
بس من السبب بقى؟ من اللي يُنسب له هذا الفعل ويتحاسب عليه؟ أنت، رغم إن ربنا هو شاءه وربنا أراده وربنا خلقه كمان، لكن الكسب يُنسب ليك.
مثال: واحد اتجوز واحدة، خلفوا ولد، تمام؟
طيب، الواحد ده ربنا خلقه؟ آه.
الست دي مراته ربنا خلقها؟ آه.
الولد البيبي ده، الطفل اللي اتولد ده، ربنا خلقه؟ آه.
برضه ربنا أراد كل هذا؟ أكيد.
طيب، الولد ده مسؤولية مين؟
ينفع الأب والأم يرمُوه؟ ويقولوا: إحنا مالناش دعوة بيه، مش ربنا اللي خلقه؟!
مش ربنا اللي أراده؟
هيقولوا: بس ده ابنكم، مش أنتم اللي اتجوزتم؟ ها؟
أنتم تتجوزوا وتخلفوا وبعد كده تقولوا مالناش دعوة بيه؟ ده ابنكم، ومسؤوليتكم تأكلوه وتشربوه وتربّوه.
رغم إن آه، ربنا أراده وربنا خلقه.
نفس الفكرة بالضبط أفعالنا: ربنا أرادها وخلقها لنا، لكن إحنا اللي جوّزنا الإرادة مع المشيئة دي، فده الكسب بتاعك.
جوّزت الإرادة مع المشيئة، آه، ربنا خلق لك الإرادة وخلق لك المشيئة وخلق لك الفعل في الآخر.
فهو أراد كل ده سبحانه وتعالى، فأنت لم تخرج عن إرادة الله.
زي ما ربنا خلق البيبي كده، كان ممكن الاتنين يتجوزوا وما يخلفوش، صح؟
يبقى إذًا اللي حصل ده بإرادة الله، بس في الآخر الأب والأم مسؤولين عن ابنهم.
كذلك أنت: عندك إرادة ومشيئة، جوّزتهم، طلع لك فعل.
من اللي خلق لك القدرة؟ ربنا.
من اللي خلق لك المشيئة؟ ربنا.
جوّزتهم، طلع فعل.
من اللي أراد الفعل ده وخلقه؟ ربنا برضه.
من المسؤول عن الفعل؟ أنت.
زي ما الأب والأم مسؤولين عن ابنهم.
بس وده اللي بيجمع لنا الأدلة.

إن لا يكون في ملك الله إلا ما يريد، صح، بس ما أجبرش العباد خالص على أفعالهم الاختيارية، وفي نفس الوقت العباد لهم قدرة ومشيئة بها تحصل أفعالهم، وعلى أساس ذلك بيحاسَبوا ويُعاتَبوا ويُكافَأوا، وهكذا.

يبقى ده بيجمع لنا صورة القدر.

وما تاخدش أكثر من كده، يعني النصيحة في القدر: ما تاخدش أكثر من كده؛ لأن يظل في القدر في جزء كده إيه؟ سر.

عشان كده بيقولوا: القدر سرّ الله، هيظل في جزء من القدر أنت مش قادر تستوعبه قوي. ليه؟ لأنه مرتبط بصفات الله، مرتبط بإرادة الله.

هل أنت تعرف إرادة الله عاملة إزاي؟ لا.

إرادة الله مش زي إرادتنا. إحنا لما نحب نخلي أحد يعمل ما نريد، هنُجبِره، بس هل ربنا إرادته زي إرادتنا؟ لا.

يبقى لما تقيس ربنا على إرادتك وتخش في «بما أن... إذًا...» وتقع في التشبيه، وبعد كده أنت مش عارف تطلع منها إزاي.

نقول: إن إرادة ربنا زي كلامه، وزي وجهه، وزي كل صفاته؛ إحنا ما نعرفش هي إزاي، لكن متأكدين إن فيها الكمال المطلق.

فربنا يريد أفعال العباد قبل أن يريدوها هم، وفي نفس الوقت ما أجبرهمش على حاجة، هو منزَّه عن الظلم سبحانه وتعالى.

فإياك إن أنت تحتج بالحاجات دي وتقول: ما هو ربنا اللي بيريد، بقى نعمل ليه؟

وتبرر لنفسك إن أنت ما تتوبش، أو تغلط، أو تعمل معصية، أو تترك الطاعة.

بحجة إن... هنعمل إيه؟ ولو ربنا أراد إن يهديني هيهديني!

لا، أنت كده كأنك جبري. لا، افهم الدين صح.

الدين مش معنى إن إحنا بنعتقد إن لا يكون في ملك الله إلا ما يريد إن إحنا نبقى سلبيين، ما بنعملش حاجة. لا.

بس نعتقد إن أنا ليا قدرة ومشيئة، وليا كسب، فبحاول أكتسب، وعارف إن كل اللي هيحصل بإرادة الله، بس أنا ليا دور.

ففهمي للدور ده بيخليني دائمًا أشتغل.

خليني أشرحها لك بطريقة أسهل.

الناس فاهمين القدر كويس جدًا في الرزق، فإحنا نيجي من الرزق ونفهمهم الأمر والنهي.

لو أنت قلت دلوقتي سؤال اللي هو بيقول: لو ربنا أراد يهديني كان هيهديني، فأنا كده كده ماليش دور.

نقول له: طب تمام.

الرزق مكتوب ولا مش مكتوب؟

يقول لك: الرزق مكتوب طبعًا، وكل واحد فينا مكتوب رزقه النهارده وبكرة ولغاية ما يموت، طبعًا.

بتنزل تشتغل ليه؟ بتروح الكلية ليه؟ بتذاكري ليه؟ بتسعى على أكل عيشك ليه؟

يقول لك: ما هو لازم.
هو آه، ربنا كتب لنا، بس برضه لازم نسعى عشان نوصل للقدر ده.
الله ينور عليك.
ينفع تقعد في البيت وتقول: الرزق كده كده مكتوب لي، فهيجيلي؟
تقول: لا، ما أكيد لا، طبعًا ما ينفعش.
هو آه كتب الرزق، بس برضه كتب السعي، فلازم أسعى عشان أوصل لقدري ده.
هو ده بالضبط اللي إحنا عايزينك تفهمه.
بس في موضوع المعصية والطاعة:
إن ربنا كتب أهل الجنة وكتب أهل النار بالفعل، لكن لازم تسعى عشان توصل للنتيجة دي.
فمش ربنا كتب بس النتيجة، هو كتب النتيجة والسبب، السبب اللي وصل للنتيجة دي.
وأنا ما أعرفش المكتوب، وبالتالي بفضل أسعى؛ لأن أنا ما أعرفش المكتوب.
عشان كده مثلًا الفقير ليه بيحاول يبقى غني؟
واحد يقول له: يا أخي ما أنت فقير، مكتوب عليك الفقر.
يقول لك: أنت إيش عرفك مكتوب عليّ إيه؟
طب ما أنا ممكن أكون غني عند ربنا وأنا مش عارف، فأنا بسعى يمكن أكون غني عند ربنا.
كذلك الشخص الكافر أو المنافق أو العاصي ما يقولش: ما خلاص، أنا كده بقى، ربنا خلقني كده.
من قال لك؟
يمكن مكتوب لك عند ربنا إن أنت هتبقى طائع، أو مؤمن، أو تبقى من أحسن الناس.
خد بالأسباب واسعى، ما تعرفش مكتوب لك إيه عند ربنا.
فده بيخليني... اللي بيفهم القدر صح، بيشتغل صح، بيشتغل جامد.
عشان كده الصحابة ورد عنهم أنهم قالوا:
"ما كنا أشد اجتهادًا في العمل إلا بعدما فهمنا القدر"؛ لأن النتيجة مرتبطة بالسبب.
وتأمّل في قوله تعالى في سورة الليل:
{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ}(الليل: 5:7)
شوف نسب له فعل، وبين سنيسره.
نفس فكرة ميسر.
{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ}، ونسب له فعل، وقال هو أخذ بالسبب وعمل اللي عليه، وهنا بقى ربنا يقول: {فَسَنُيَسِّرُهُۥ} ، هنا إرادة الله، هنا سلطان الله، هنا ملك الله، تمام؟
{فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ}.
{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ}(الليل: 8:10).
فتيسير اليسر وتيسير العسر مرتبط برضه باختيار أنت بتختاره، وأنت ليك كسب وليك دور في النتيجة.
فده بينشّطك قوي، ما تركنش إلى القدر اللي حاصل دلوقتي.
ما حدش عارف أنت مكتوب لك إيه عند ربنا، فاشتغل، توب، حاول، اجتهد في الطاعة، زوّد،

وأنت بتنتقل من قدر الله إلى قدر الله.
فهمت حاجة؟
فطبيعي الإنسان لا يمكن إن هو يقول إن هو مُجبَر.
عارفين يعني إيه مُجبَر؟
الجبر ده إحنا مُجبَرين عليه في حاجات إحنا فعلًا مُجبَرين عليها، زي إيه؟
زي دقّات القلب، حدّ ليه اختيارات في دقّات القلب؟ لا.
حدّ ليه اختيار في جريان الدم في العروق؟ لا.
حدّ ليه اختيار في لونه وطوله؟ لا.
فعلًا دي حاجات إحنا مُجبَرين عليها، عشان كده ربنا ما بيحاسبناش عليها.
ربنا ما بيحاسبناش: أنت لونك إيه؟ ولا طولك إيه؟ ولا جنسيتك إيه؟ صح.
بيحاسبني على الحاجات اللي ليا فيها اختيار.
وطبعًا الإنسان أكيد مُدرِك الفرق بين الاتنين.
هل أنت بتشعر إن أنت لما بتقوم تصلي، الفعل ده زي دقّات قلبك؟
تقول لي: لا، أنا بحس إن أنا عندي اختيار.
هو ده.
هل أنت بتشعر إن أنت لما شتمت واحد، ده زي جريان الدم في العروق؟ لقيت نفسك مدفوع ليه وما عندكش اختيار؟
تقول لي: لا، برضه أنا حسّيت إن أنا أختارت، كان ممكن ما أشتموش.
فالعاقل بيدرك الفرق بين الأفعال الإجبارية اللي ربنا فعلًا ما بيحاسبش عليها، وبين أفعاله الاختيارية، وبيعلم إن هو أكيد لازم هيتحاسب على الأفعال دي؛ لأنه حاسس فعلًا إن كان ليه اختيار واضح فيها.
ممكن بقى السؤال اللي بعد كده ييجي، وده إجابته... القرآن جميل يا جماعة فيه إجابة على كل الأسئلة، رغم قِصر الكلمات.
ممكن واحد يقول: طب ليه بقى؟
ماشي، أنا صدّقت خلاص، ربنا ما ظلمش أحد.
طب ليه ده كافر وليه ده مؤمن؟
يعني هو ليه ده اللي بقى كافر وليه ده اللي بقى مؤمن، مش العكس؟
هنا بقى نقول إيه؟
بُصّ، الآية خلصت بإيه:
{هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ}
قال:
{وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ}
حالك إلى العلم، الأمر مبني على علم.
ربنا يعلم الأرض الطيبة والأرض الخبيثة،

هو أعلم بالشاكرين،
هو أعلم بمن ضل عن سبيله،
هو أعلم بمن اهتدى سبحانه وتعالى.
فدي مسألة لا يمكن إن أنت تعرفها.
ليه هدى سيدنا عمر بن الخطاب، وأضل أبا طالب؟ مش بتاعتنا.
لكن إحنا رضينا بالله ربًّا، ونعلم أنه {لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.
{لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ}[الرعد: 31].
لكن حكمته اقتضت إن لو هدى الناس كلها، ما كانش هيبقى فيه اختبار، ما كانش حد هيعمل حاجة.
لو الدكتور قال في أول السنة: أنا هنجّح الناس كلها مهما حلّيتوا، الناس هتعمل إيه؟
ما حدش هيذاكر، ما حدش هيجتهد، كله هيعكّ في الامتحان وخلاص.
لو ربنا قال إنه هيهدي الناس كلها وخلاص، كان كلنا فجَرنا،
وكلنا كفرنا،
والأرض حصل فيها فساد رهيب.
فمن حكمة الله إنه هدى بفضله، وأضل من رفض الهداية بعدله سبحانه وتعالى.
فاللي عايز أقوله إن دي مسألة مبنية على العلم،
عشان كده هيقول بعد كده:
{وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ}
فمسألة اختياراته سبحانه وتعالى: مين يهتدي ومين يضل، مبنية على العلم.
أنت ما عندكش العلم، وبالتالي مش هتعرف ليه.
لكن يكفيك التسليم بأن الله حكيم سبحانه وتعالى.
{وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ}
بعد ذلك قال:
{خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ}
{وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ}
وده برضه استدلال على البعث،
عشان كده قال بعدها:
{وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}
وإحنا بنستدل على البعث.
إحنا اتكلمنا عن الوحدانية، واتكلمنا عن القدر، واتكلمنا ضمنيًا عن الرسالة، فاضل البعث.
{خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ}، وده دليل ثاني.
ربنا بيستدل على البعث بعدة أدلة:
منها خلقك أنت الأول،
ومنها خلق السماوات والأرض؛
لأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

{ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ}(النازعات: 27)
{لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ}(غافر: 57)
يبقى اللي خلق الأعظم والأكبر، أسهل عليه إنه يعيد الخلق الأصغر ده؟
{أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ} (يس: 81)
من باب أولى يبعث من في القبور، صح؟
{خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ}
يعني مش بس خلقكم خلقًا عاديًا،
لا، ده صوّركم وأحسن صوركم.
جعل الإنسان على صورة جميلة،
جعله منتصب القامة،
جعل رأسه إلى أعلى،
جعل مشيته سوية،
خلاف كل المخلوقات.
لا يوجد مخلوق بهذه الصفة: استواء القامة، علو الرأس بهذه الطريقة، المشي بهذه الصورة.
صفاتُه الكلية بلا شك أفضل من سائر خلق الله سبحانه وتعالى.
هو في أحسن صور خلق الله سبحانه وتعالى.
آه، قد يكون من المخلوقين اللي شكله جميل أو أقل جمال، دي تفاصيل.
لكن هنا الكلام على الصورة الإجمالية للإنسان:
{لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ}[التين: 4] أما الاختلافات الفردية: أبيض وأسمر، جميل شوية وأقل جمال،
دي أكيد لازم يبقى في تباين في الخلق،
لكن إجمالًا خَلقُ الإنسان في أحسن تقويم،
وهو أحسن صورة خلق الله عليها مخلوق.
{وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}، كل ذلك استدلال على البعث. ثم قال سبحانه وتعالى:
{يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ}.
ثم قال:
{وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ}.
فانتبه، فإن الله عليم بذات الصدور. فحاول أن تجود السريرة وتجملها، لأن الله عليم بذات الصدور، فلا تنشغل بالظاهر فقط ثم يكون الباطن قبيحًا. لا، انتبه جدًا لأن نظر الله متعلق بالصدور والقلوب:
«إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».
فالقلب إذا صلح صلح سائر البدن؛ أصل الظاهر هينصلح لوحده، وإذا فسد، طبعا فسد سائر البدن.
فينبغي للإنسان أن يعلم أن الله يعلم ما يسر. أنت عندك جوه رياء، عندك جوه كبر، ربنا يعلم ما تسر، أنت السريرة غير العلانية، فلتكن سريرتك مثل العلانية أو أفضل، {وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ}.

ثم قال تعالى:
{أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ}.
الطرق التي فاتت: طرق إقناعية عقلية، استدل على البعث، استدل على الوحدانية، استدل على استحقاق العبادة، بين مسألة القدر. بعد ذلك ربنا يصرف الآيات، يعني:
{كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَاتِ}، أي بننوع في الآيات وبطرق العرض.
ومن طرق الإقناع اللي ربنا يستعملها: أن يكلم المخاطبين بقصة حصلت قبل ذلك، ونفس قصتكم، والنهاية كانت عاملة إزاى؟
{أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ}.
يعني، ألم يصلك خبر قوم لوط؟ ألم يصلك خبر قوم عاد؟ ألم يصلك خبر قوم ثمود؟ ألم تسمع عن قوم نوح؟ أنت تعلم أن رسولهم وصل لهم، وقال نفس الكلام الذي يقوله سيدنا محمد ﷺ وكذبوه، وكانت النهاية تعرفها.
{وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ وَبِٱلَّيۡلِۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ}(الصافات: 137، 138).
فهذا من وسائل الدعوة، أن أقول لك: بص لسوء الخاتمة، بص لصاحبك الذي وقع في الشر، بصى لصاحبتِك المتبرجة، خاتمتها كانت عاملة إزاى؟ وبص لمن التزم، ربنا كرمها إزاى؟ تستدل بقصص واقعية، طريقة من طرق الدعوة:
{أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ}، لماذا؟
{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ}.
نفس القصة بالضبط، فقالوا زيكم: قالوا: {أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ}. طب العاقبة كانت ماذا؟
فينبغي أن نتعلم من القصة السابقة، ولاحظ مقالتهم: قالوا: {أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا} الله، هل هذه مشكلتك؟
لاحظ هذه الجملة خطيرة جدًا؛ لأنها تدلك على أن الباطل متناقض دائمًا. كيف؟ تأكد دائمًا لما تتعامل مع الباطل أن الباطل لجلج، أي متناقض، مضطرب، لا يثبت على قاعدة، لا قواعد له، بينما الحق له قواعد.
أما الباطل، فلا قواعد له. فالفرق بين الحق والباطل كما قال ربنا:
{أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ}(إبراهيم: 24، 25).
{وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ}(سورة إبراهيم: 26). فأي باطل ليس له قرار، ولا يثبت، ودائمًا متناقض، ودائمًا ممكن تستدل عليه من كلامه هو.
هذه قاعدة مهمة؛ وأنت حين تدخل بقلب وتتحدث مع الباطل، تأكد من ذلك.
أنتم تقولون: {أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا}، طيب، هل مشكلتك أيها المتكلم الآن في بشرية الرسول؟ هل هذه مشكلتك؟ بشرية الرسول؟ أم مشكلتك في المحتوى؟ يعني، أنت تقول:{أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا}، فليس عندك مشكلة في المحتوى، أنت تقول المحتوى جيد، لكن لا تريد أن يأتي في شكل بشري؟ طيب، إذا سلمت بذلك، فهل اقتنعت بالمحتوى؟ هل حصل ذلك أم لا؟
ولو جاءك غير بشر، هل كنت ستهتدي؟ إذن، مشكلتك في من يرسل الرسالة؟ وهذا كلام غير منطقي، لأن ما يهم هو الرسالة نفسها. الرسالة صحيحة، إذن أقتنع بها بغض النظر عن من يقدمها.

تمام؟ جاءك الكلام مع شخص، جاءك الكلام مع ملك، جاءك الكلام مع الجن، اقبله طالما هو حق.
طيب، شيء آخر يدل على التناقض: أنهم مرة يقولون إنه كاذب، ومرة يقولون إنه ساحر، ومرة يقولون إنه مجنون، ومرة يقولون إنه أساطير الأولين. الله، أنت تكذب المحتوى الآن؟ تقول {أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا} أم أنت مع المحتوى؟
وبعد ذلك مرة أخرى يقولون: {لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}. طيب، هو بشر. أنت رجعت قبلت بشر، أهو أنت متناقض، إذن تقول أي كلام فقط لتشويش الحق، لكن لا يوجد قاعدة واضحة منطقية ترفض بها الحق الذي جاءك.
ثم، إن ربنا يرسل الرسالة مع بشر، هذا هو المنطقي، وهذا هو المعقول، وهذا هو الحكمة. إن ربنا لو أنزل ملكًا كما تقولون، أو كلمكم بنفسه، فكيف ستتبعونه؟
هتقول له: ده ملك، هنتبعه إزاي؟ لا بياكل ولا بيشرب ولا بينام ولا بيتعب، مش هنعرف نتبعك، تمام؟ عايزين واحد شبهنا، عشان كده ربنا قال في الآخر:
{وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ}[الأنعام: 9].
هتقولوا في الآخر: عايزين واحد شبهنا نتكلم معاه، بيتعب وبياكل ويشرب ويموت وبينام، وبنعرف نتحرك زيه عشان نعرف نقيس نفسنا عليه. طب ما إحنا جبنا لك بشر، وده أولى، على الأقل بلسانك، على الأقل فهمك وفهمه، على الأقل شبهك، هتعرف تقتدي بيه.
لكن هما متفهمش البني آدم بيتكلم على إيه، سبحان الله، يعني:
{فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ}.
دي النتيجة. طب ربنا حصل له إيه؟ ولا أي حاجة؟ ولا اتضر، ولا أي شيء؟ {وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}. قاعد، عبادتك ما بتنفعش ربنا، كفرك ما بيضرش ربنا. لو كل أهل الأرض على قلب أفجر رجل، ربنا لن ينقص من ملكه شيء. لو كل العباد على قلب أتقى رجل، ربنا مش هيزيد في ملكه شيء.
إوعى تمن علي ربنا بعبادة. بل غناك في فقرك إلى الله، عزك في توكلك على الله سبحانه وتعالى.
{وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}، حميد سبحانه وتعالى يُحمد على جميع أفعاله.
ثم قال سبحانه وتعالى:
{زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ}.
زعم، يعني كلام غير مبني على أي أدلة منطقية، وكل الأدلة مع الحق، كما بينا:
{زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ}.
طبعا الأدلة خلاص، إحنا قلنا أدلة، يعني ربنا أراد أن يثبت قلوب المؤمنين فأقسم على ذلك. قال:
{قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ}.
أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على البعث. هتقول لي: والقسم يعني عمل إيه؟ دائمًا القسم له وقع في النفوس. يعني، عارف لما واحد يكلمك وأنت شاكك شوية، لو حلف مرة واحدة، بتلاقي نفسك بدأت تصدق، بتقول: خلاص، أقسم. دايما القسم له وقع على النفوس مهما كان، فلما الناس تعرف أن ربنا اللي أقسم، حتى الكافر ممكن يراجع نفسه، والمؤمن بيزداد إيمانًا.

فده فائدة القسم. وربنا أقسم على البعث ثلاث مرات في القرآن. مرة في سورة يونس في قوله تعالى:

{وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ}(يونس: 53).

ومرة في سورة سبأ لما قال:

{وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ}(سبأ: 3).

والمرة الأخيرة في سورة التغابن:

{زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ}،

وفعلا على الله يسير.

والذي ينكر البعث، ده غير عاقل. الذي خلق السماء والأرض وخلق الإنسان وبدأ خلقه من عدم، إيه الصعوبة أن يعيده؟ بل هو أيسر عليه سبحانه وتعالى. سهل جدًا أن يعيد الخلائق، تمام؟

{قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ} .

استعد "من علم أنه سيبعث، فليعلم أنه موقوف بين يدي الله، ومن علم أنه موقوف بين يدي الله فليعلم أنه مسؤول عن الصغير والكبير، ومن علم أنه مسؤول فليعد للسؤال جوابًا".

{ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ} .

طيب، نعمل إيه يا رب؟ {فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ}.

يا رب، آمنا بك يا رب، وآمنا بالرسول ﷺ، وآمنا بالقرآن {وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ}. إيه النور بقى؟ القرآن: {ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ}، واضح بيتكلم هنا عن القرآن. والله على وصف القرآن بالنور: {فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ}، ما قالش والقرآن، قال: {وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ}.

حياتك فيها ظلمة عليك بالقرآن، تشعر بشيء من الشقاء والوحشة، عليك بالقرآن. حاسس إن الدنيا مشوشة، حاسس إن حياتي متلخبطة، حاسس إن أموري مش ميسرة، عليك بالقرآن. ينور لك حياتك، يفهمك السنن الكونية، تمام؟ يوقفك على الطريق الصح.

{ٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ}، النبي ﷺ بيقول: «اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري». اطلبوا نور الصدور بالقرآن، اطلبوا ربيع القلوب بالقرآن، بس بالطريقة التي إحنا بنعمل بها، مش مجرد قراءة بلا فهم، بلا تدبر، بلا تأمل، بلا عمل.

شوف اللي إحنا بنعمله في الدروس دي، في المدارس دي، مدرسة قد سمع، ومن قبلها مدارس أخرى، هو ده تفعيل النور. لأن قراءة بلا فهم، قراءة بلا تدبر، علم بلا عمل، ولا هتوصل لحاجة، وإنما لابد من عمل وفهم، هو ده اللي بينور حياتنا.

شوف، بنقول كم قاعدة في الدرس الواحد، الدنيا بتنور معاك كل مرة بنقول فيها بعض المفاهيم في القرآن، فتحس الدنيا وضحت، ده النور. هكذا يكون القرآن نور القلوب، فاهمين؟

أنت مشكلتك مع القرآن تقول: ما أنا بقرأ كثير وما فيش فايدة، مشكلتك في أنك بتتعامل غلط مع القرآن أصلا.

{كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ}(ص: 29).

{وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ}.

ثم قال: {يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ}. الله أكبر، يوم يجمعكم، خلاص، ده إحنا بنقرر حقيقة؛ لأن إحنا استدلينا عليها خلاص، فالكلام بنقرر به حقيقة.

{يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ }.

{يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ}، بيقولوا اتسمى يوم الجمع ليه؟

يوم الجمع قيل: لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين، يجمع جميع الخلائق، فسُمِّي يوم الجمع.

وقيل: لأن الله يجمع المؤمن، يجمع الشخص مع عمله، يجمع الإنسان مع عمله، فسُمِّي يوم الجمع.

وقيل: سُمِّي يوم الجمع لأن الله يجمع الظالم مع المظلوم.

والحقيقة أن الأقوال كلها متكاملة، مش متعارضة، فهذا من خلاف التنوع.

{يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ}.

سبحان الله، ربنا وصفه كله بيوم التغابن؛ يعني أغلب الناس خسر فيه، أغلب الناس خُدعوا، أغلب الناس باعوا الآخرة واشتروا الدنيا. أغلب الناس ضيع عمره وضيع وقته، فالكل مغبون.

ربنا سمى اليوم ده في سورة مريم يوم الحسرة:

{وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ}(مريم: 39).

لذلك قيل: ما من أحد إلا وهو يتحسر يوم القيامة؛ إن كان كافرًا فالحسرة معلومة، وإن كان مؤمنًا فإنه يتحسر أنه لم يزدد.

الساعة اللي قضيتها على الميديا بلا فائدة دي من التغابن اللي هتحسه يوم القيامة.

الأكل الكثير اللي أكلته وجعلك تنام كثير ده من التغابن اللي هتحسه يوم القيامة.

حتى لو أنت من أهل الجنة، بس في الموقف نفسه قبل ما تدخل رجلك الجنة؛ لأن إحنا بعد ما ندخل الجنة خلاص لا فيه أحزان ولا حسرة ولا ألم ولا ندم ولا أي حاجة، خلاص بتنتهي كل المشاعر الصعبة دي.

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ}(فاطر: 34).

لكن كل ده بيحصل في الموقف ده، وأنت لسه ما دخلتش، لسه بتشوف الدرجات بتتوزع، بتتقطع على الساعة اللي ضيعتها.

تفتح كتابك، تقرأ كتابك، تلاقي مباحات كثيرة ووقتًا كثيرًا ضاع، ونوم زيادة مالوش لازمة، وأكل زيادة ما كانش ليه لازمة، وهري وكلام وترندات وميديا وريلز وشورتس، كلام ما كانش ليه أي لازمة.

أنا كنت بعمل إيه في الساعات دي؟ يا ريتني ازددت.

تخيل بقى لو أنت كمان معاقب يوم القيامة، تدخل النار الأول، ثم بعد كده تدخل الجنة، وتُقضى عليك بكده، الحسرة تبقى عاملة إزاي بقى؟ والتغابن ساعتها يبقى عامل إزاي؟

قال:

"أما غَبْن الكافر بتَركِه الإيمان و غبن المؤمن بتقصيره في الإحسان".

آه، ده معنى ثاني؛ ده بيقول لك حتى اللي صلى هيلاقي نفسه واخد في الصلاة مثلًا 7 من 10، يقول: يا ريتني، طب ما أنا صليت، كنت أركز، كنت آخد فيها 10 من 10.

يلاقي نفسه واخد في الصيام، رمضان، 6 من 10، طب ما أنا صمت، يا ريتني كنت ركزت في الصيام.

ما هو الصيام ده، كنت أجيب فيه 10 من 10.
ده حتى اللي عمل صالحات زعلان، عشان كده يوم التغابن؛ يوم التغابن كله هيحس إن في حاجة اتضحك عليه فيها، في حاجة اتخدع فيها، في حاجة الشيطان خدها منه ويبقى زعلان عليها، ده حتى لو كان من أهل الجنة.
يبقى أنا بحاول في الدنيا أقلل من مساحة التغابن دي؛ يعني ندمي يكون محدود يوم القيامة على قد ما أقدر.
ما فيش حد مش هيندم، يعني ما فيش حد فينا الصفقة جت معاه تماما؛ لازم فيه زلة، لازم فيه تغفيلة، لازم الشيطان خد منك حاجة أكيد، بس خد من أنهي مساحة؟ وخد قد إيه؟ هو ده الشغل اللي أنت المفروض تشتغله على نفسك.
من صور الغبن يوم القيامة، أعلى صورة للغبن، اللي هو الكفار بقى.
أصعب مشهد الكافر هيحصل له يوم القيامة لما يرى مقعده من الجنة، وده ورد في الأحاديث: أن الله يطلع أهل النار على مقاعدهم في الجنة، ويقال له:
"هذا مقعدك من الجنة لو كنت أطعت الله".
والمؤمن ربنا يطلعه على مقعده من النار، ويقال: هذا مقعدك من النار لو كنت عصيت الله.
فالكافر يزداد غمًّا فوق الغم، والمؤمن يزداد فرحًا فوق الفرح.
عشان كده مقاعد أهل الجنة وأهل النار، اللي هي في الجنة، يرثها أهل الجنة.
ربنا وصف الجنة فقال:
{أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ}(المؤمنون: 11).
من معاني الآية دي طبعًا، مقاعد الكافر مين اللي هياخدها؟ ياخدها المؤمن. هو الكافر خلاص مش جاي، مش هياخدها. هتتساب كده؟ لا، ياخدها المؤمن، فيرث المؤمن مقعد الكافر.
تخيل بقى الكافر يحس بإيه دلوقتي؟ المؤمن كمان خد مقعده من الجنة! أي غبن حصل للكافر لما ضيع الصفقة دي؟ والصفقة كانت سهلة.
الصفقة ببساطة: ربنا أعطانا حياة. هي دي الصفقة.
أعطاك عمر، أعطاك صحة، أعطاك وقت، أعطاك قدرة، إرادة، أعطاك نفس، أعطاك مال. دي الحياة اللي ربنا أعطاها لك. وقال لك: استعمل بقى الحاجات دي. هقول لك أوامر، تمام؟
{فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا}(طه: 123، 124).
لو استعملت نفسك ومالك ووجهت لي إرادتك.
وكل حاجة أعطيتها لك، استعملتها في طاعتي، هعطيك الجنة، رغم إن أنا اللي مديها لك، هو اللي مديها لك، هي صفقة غريبة.
ربنا مدّينا المال، هو ماله، ده ماله. بيقول لك: اديني منه جزء بس طوعًا، أدخلك الجنة، مع إنه ماله.
هو اللي عطانا النفس، وهو اللي عطانا الصحة والقوة، بيقول لنا: لو نفسك دي استعملتها في طاعتي، هدخلك الجنة، رغم إنها بتاعته.
هو اللي عطانا الوقت وعطانا العمر، وبعد كده بيقول: لو عمرك ده استثمرته في الخير، هدخلك الجنة، يعني أصلًا الثمن بتاعه. أنت متخيل الصفقة عاملة إزاي؟

واحد عطاك الثمن ومعه سلعة، وقال لك: لو اديتني الثمن ده اللي هو بتاعي، هديك السلعة اللي هي غالية جدًا.
لأن دخول الجنة زي ما ربنا يوصفه في الآية دي الفوز العظيم، عكس التغابن.
عكس التغابن إيه؟ إنك تدفع ثمن بسيط، وتاخد سلعة غالية جدًا. ده عكس التغابن بقى. أنت دفعت إيه؟ عمرك، مالك اللي هو ولا حاجة. أنت هتاخد جنة عرضها السموات والأرض. تاخد جنة، يعني «موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها».
أقل واحد في الجنة عنده 11 ملك من ملك ملوك أهل الدنيا، 11 مرة. أنت عشان تشتري شقة بتسافر الخليج 10 سنين. عشان تشتري فيلا بتقعد 20 سنة تشتغل، عشان تجدد عربية بتشتغل لك خمس سنين. طب المفروض عشان تاخد الجنة تشتغل كام سنة؟ عرفت إنك أنت دافع حاجة بسيطة جدًا، وأخدت مقابل ضخم جدًا.
والعكس بقى، تخيل بقى الحاجة البسيطة دي اللي كان ممكن تشتري بها الحاجة الغالية دي قوي، رحت أنت اشتريت بها النار. هو ده التغابن بقى. مع إن الصفقة واضحة والصفقة سهلة.
من الغبن إن الإنسان يضيع وقته. لذلك السلف كانوا بيعبروا عن الموضوع ده بكلمات مؤثرة جدًا.
ابن مسعود يقول: "ما ندمت على شيء، ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي". فده من الغبن يوم القيامة، الإنسان يجد وقتًا عدى بلا فائدة. ضيع وقته على الميديا، ضيع وقته في الترينداتِ. وقت عدى لم يزدد فيه إيمانًا، لم يزدد فيه عملًا.
والحسن البصري يقول: "يا ابن آدم إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك، وإذا ذهب البعض أوشك الكل أن يذهب". تمام؟
والحسن البصري كان يقول: "يعرض على ابن آدم، يوم القيامة ساعات عمره، كل ساعة لم يحدث فيها خيرًا تقطعت نفسه عليها حسرات" .
لذلك ابن القيم يقول: "ومن علامات المقت إضاعة الوقت". من علامات المقت مقت الله لك، من علامات المقت إضاعة الوقت، فالحياة فرصة، والثمن ربنا اللي مديه لنا، والثمن سهل تبذله، والمقابل رهيب، جنة عرضها السموات والأرض. مين اللي يضيع الفرصة دي؟ خاصةً إن أصلًا الامتحان كله مش صعب.
ربنا أولًا هو اللي أعطانا الصحة، وأعطانا المال، وأعطانا كل شيء، وبعد كده كلفنا بتكاليف، وقال لنا: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ}(البقرة: 286)، إذًا التكليف في الوسع. وقال إنه يعين الطائع، ويسدده، ويرسل له ملائكة تعينه، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض لنستعين بذلك على أداء وظيفة العبودية، وجعل التكليف بالمقدور، والابتلاءات في الوسع، وجعل كل الطرق ممكن توصلك.
يعني إيه؟ يعني ممكن أنت لو مريض تعرف توصل لربنا، لو أنت صحيح تعرف توصل لربنا، لو أنت ممكن ليك طريق توصل لربنا، لو أنت مستضعف ليك طريق توصل لربنا، امرأة توصل لربنا، رجل يوصل لربنا، مش مظبوط على مقاس حد معين. الامتحان هو اللي بيتظبط على مقاسك، مش أنت اللي بتظبط نفسك على الامتحان.
يعني أنت فقير خلاص ليك امتحان، أنت غني ليك امتحان، أنتِ امرأة ليك امتحان، أنت عندك ولاد ليك امتحان، أنت عقيم ليك امتحان، أنت عندك وجاهة ومال ليك امتحان، أنت لا يؤبه لك،

أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ليك امتحان. المهم تنجح في امتحانك اللي هو بتاعك، وأي حد نجح في امتحانه هيخش نفس الجنة، الفرص متساوية.

ده شيء جميل، مش مضيق عليا في صورة معينة. فإذًا يبقى الاختيار فقط أن تختار تكون واضح في اختيارك، وإياك إنك تخسر الصفقة الهائلة دي، تغابن. لذلك قال: {ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ}.

الحسن يقول كلمة خطيرة جدًا بتبين معنى من معاني التغابن مؤثرة جدًا، يقول: "الغبن في ثلاث، رجل علّم علمًا، فانتفع من تعلم منه وعمل بهذا العلم، فنجى ودخل الجنة وأما المعلم فلم يعمل بعلمه فدخل النار"، غبن

"ورجل اكتسب مالًا من وجوه يسأل عنها، يعني من وجوه كان فيها أخطاء، ثم ترك المال للورثة، فالورثة أنفقوه في طاعة الله تعالى فدخلوا بذلك الجنة. وأما هو فحوسب على عمله وعذب على ماله لأنه اكتسبه من غير وجه يحل". ده من الغبن.

قال:" ورجل مملوك عمل بطاعة الله تعالى، وقام بحق سيده فدخل الجنة، وأما سيده فضيع حق الله تعالى فدخل النار".

من صور الغبن: الرياء، أن يعمل الإنسان عملًا عظيمًا لكن يبتغي بذلك وجه الناس.

»أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة: رجل جمع القرآن. يقال: فيما قرأت القرآن يا رب؟ قرأته فيك، يقال: كذبت، إنما قرأت ليقال. قارئ فقد قيل، هذا من أسوأ الغبن. أعظم حاجة اشتريت بها النار، كان ممكن تدخلك الجنة، أنت بنيتك دخلت نفسك بها النار.

رجل تصدق، تمام؟ فيما أنفقت مالك؟ أنفقت فيك يا رب، كذبت، إنما أنفقت ليقال جواد.

رجل جاهد في سبيل الله، الثالث، يقال: قاتلت فيك، كذبت، إنما قاتلت ليقال جريء، فقد قيل ذلك.

ويؤمر بالثلاثة إلى النار. تخيل أعمال كانت ممكن تدخلهم الفردوس الأعلى بسبب النية فقط، دخلتهم على طول النار. ده غبن، ولا مش غبن؟ ده من أعظم الغبن.

لذلك يقال: من أعظم الغبن هو الغبن الذي لا يمكن تداركه. لا يمكن تداركه. فأي غبن في الدنيا يمكن تداركه، لو أنا اتخدعت في مال ممكن أعوضه، لو أنا اشتريت المرة دي، خدعت في سلعة المرة الجاية أبقى شاطر وأفهم وأتعلم.

لكن لو الإنسان غبن في الآخرة، ماذا يفعل؟ هيقول: {رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ}، هيُقال له: {كَلَّآۚ}.(المؤمنون: 99، 100)

هيقول: {رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ}، هيُقال: {قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}(المؤمنون: 107، 108).

عشان كده: {يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي}(الفجر: 24).

عشان كده: {وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا}(الفرقان: 27، 28).

{ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ}.

عشان كده النتيجة: {وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِ}، الحمد لله، ربنا يسامحه على السيئات. وهذا يقول لك إن ما فيش أحد هيسلم من السيئات.

لكن لو أنت مجتهد وبتحاول وبتبذل أقصى ما عندك وأخطأت، أكيد كلنا بنغلط،

بس مش جريء على الله، بتغلط بس بتحاول دائمًا تصلح، فأنت مش مثالي. فأهل الخير بيغلطوا، بس بيغلطوا ويتوبوا، يغلطوا ويتوبوا، يغلطوا ويتوبوا.
في الآخر هيقابلوا ربنا ولسه في بعض الأخطاء، لكن لو كان إجمالًا عملك الصالح كثير وحريص دائمًا على التوبة قدر المستطاع، ابشر.
{وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ}، اللَّهُ أَكْبَرُ، {تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ}
عشان كده اتقال إيه؟ {ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} . وعلى الناحية الأخرى: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ}.
فالدرس ده بيقول لك: إياك تكون مغفل، إياك تكون في حزب المغفلين، إياك يضحك عليك، إياك الشيطان يخدعك، إياك ياخد منك أغلى ما تملك: عمرك، نفسك ووقتك. إياك تاخد نصيب كبير من التغابن يوم القيامة. احرص إنك تبذل أقصى ما عندك عشان ما تتغفلش يوم القيامة.
{يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ}(الشعراء: 88، 89)،
{وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ}(ص: 3). نسأل الله أن يرزقنا اليقظة والوعي والفهم، ثم يرزقنا الهمة والإرادة والعزم، ثم يرزقنا التوبة والعمل الصالح، اللهم آمين.
جزاكم الله خيرًا. احفظوا السورة بقى جامد، شدوا حيلكم، تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الثالثة عشر

العدو المحبوب
سورة التغابن (2)

علاء حامد
Alaa Hamed

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. أما بعد:
أهلاً ومرحبًا بكم، إخواننا وأخواتنا الكرام، في هذا اللقاء الطيب المبارك؛ لقاء جديد مع مدرسة قد سمع، ومدارسة السور التي تضمنها جزء قد سمع.
الحقيقة، المرة الماضية كنا بدأنا في دراسة سورة التغابن، تكلمنا على محورها الأساسي، وهو أنها تدور حول التغابن؛ معنى التغابن أو معنى الخسران، وهنتناقش معنى الخسران ده في آياتها، وهنشوف النهارده إزاي المحور ده هيكمل معانا. وتكلمنا على معنى التغابن عمومًا المرة الماضية، لدرجة إن ربنا سبحانه وتعالى سمّى يوم القيامة يوم التغابن؛ لأن ما في أحد إلا سيتحسر يوم القيامة، سواء الكافر طبعًا يتحسر على ما فاته من الإيمان، حتى المؤمن يتحسر على تقصيره أحيانًا في بعض الطاعات التي فوّتت عليه شيئًا من مراتب الجنة. وسيستمر معنا هذا المعنى، معنى التغابن، في النص الثاني من السورة.
الحقيقة، النص الثاني من السورة هيبدأ بقوله تعالى:
{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ}.
ده يدخلنا في معانٍ عظيمة وكبيرة قوي. خلونا الأول نبدأ بقراءة المقطع. النهاردة اللي هندرسه هو النصف الثاني من السورة بالكامل، ونستعين بالله ونتوكل عليه، ونرجو منه الفضل والإحسان، ونصحح النوايا، ونجدد النوايا، ونطلب من الله التوفيق، وننتوي نية طيبة في مجلس العلم، وننتوي العمل بما سنتعلم؛ حتى لا يكون القرآن حجة علينا، ونسأل الله في بداية هذا اللقاء أن يكون القرآن حجة لنا. اللهم آمين، اللهم آمين.
خلونا نقرأ الجزء الخاص بالسورة النهاردة. سنقرأ بقراءة حفص عن عاصم، بمد المنفصل، بإذن الله سبحانه وتعالى.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (11) وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ (12) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (13) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (14) إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (15) فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (16) إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17) عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} (18)
هذه الآيات الكريمة المباركة من سورة التغابن تبدأ بقوله تعالى:
{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ}.
أولًا، قوله تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ}، ده بيرجعنا لمسألة الإيمان بالقدر، اللي هي برضه هتبان معانا في الآيات القادمة. أولًا إحنا علمنا أن: "ما يكون في ملك الله إلا ما يريد"، وهذا من إيمان أهل السنة بالقدر: أن الله علم ما هو كائن وما سيكون قبل أن يخلق السماوات والأرض، وأن الله كتب ذلك في كتاب عنده، وأنه سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى خلق أفعال العباد.

وعلمنا المرة الماضية أن العبد خلق الله له قدرة، وخلق له إرادة، وباجتماع هذه القدرة والإرادة يتولد "الفعل". وهذا الفعل أراده الله تعالى، وهذا الفعل خلقه الله تعالى، ولكن الإنسان مسؤول عن هذا الكسب؛ لأن هذا الكسب حصل بفعله، حصل بقدرته وبإرادته. فاجتماع الاثنين دول تولد منه الفعل، وهو ده الكسب اللي بيتحاسب عليه الإنسان.

ثم هناك مصائب، يعني في حاجات أصلًا مصائب بتحصل خارج عن الإنسان، زي الموت، زي المرض، زي زلازل، زي مثلًا بعض الحوادث. أكيد في حاجات خارج عن اختيار الإنسان، فربنا بيبين إن هذه الأمور تحصل أيضًا بإذن الله سبحانه وتعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ}.

ثم ربط سبحانه وتعالى بين الإيمان الصحيح بالقدر وبين هداية القلب، قال:

{وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ}.

الحقيقة إن الكلمتين دول بس يعني من الجمال بمكان الحقيقة. {وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ} يعني إيه {وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ}؟ إحنا عندنا يا جماعة الإنسان في إيمانه بالقدر، الإيمان بالقدر ليه معانٍ عظيمة. يعني مسألة الإيمان بالقدر مش هي مجرد إن أنا أؤمن بالقدر، إن خلاص إن ربنا بيقدّر المقادير وخلاص، لأ. يعني لو فكرنا في تفاصيل في الإيمان بالقدر هتلاقي فعلًا إن قوة الإيمان دي بتفرق في استقبال المصائب.

بمعنى: إحنا مسلمين مؤمنين بالله سبحانه وتعالى، مؤمنين بالقدر، أن: "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"، وأنه "لا يكون في ملك الله إلا ما يريد"، وأنه إذا الفعل حصل، فإن: "ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك". شوف المعاني البسيطة دي بس، معانٍ حول الإيمان بالقدر. إنت مؤمن أصلًا إن ربنا كتب مقادير الخلائق، وأنه علم مقادير الخلائق، وأن ما يكون في ملكه لا يكون إلا بإرادته سبحانه وتعالى.

طيب، وفي بقى معلومة مهمة جدًا في القدر: إن إحنا لما قلنا إن ربنا كتب مقادير الخلائق، اللي كتبه ربنا ده خلاص، إذا حصل، ربنا كتب قدر، والقدر ده حصل بالفعل؛ يبقى المؤمن بيعتقد إن القدر ده كان لازم هيحصل خلاص.

"واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك".

يعني الأمور إذا وقعت ما ينفعش واحد يقول: طب ما كان ممكن ما تحصلش! لأ، طالما حصلت يبقى دي كانت مكتوبة عند ربنا، وطالما كانت مكتوبة عند ربنا بهذه الصورة يبقى كانت هتحصل خلاص. فلا داعي إن إنت تقعد تقول: كان ممكن ما تحصلش. وده من معاني الإيمان: من يؤمن بالله يؤمن بأن ما كتبه الله سيكون، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأنه قدر الله ما شاء فعل.

وهذه المعاني بتحمي الإنسان وتهدي قلبه. شوف ربنا بيقول: {وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ}. بتحميك من إيه وتهديك لإيه؟ بتحميك من أكبر أسباب الأسى والتأسف والندم، وهي كلمة "لو".

النبي عليه الصلاة والسلام قال إن الإنسان ينبغي في الأحوال دي يقول:

قال: «ولا يقولن أحدكم لو كان كذا لكان كذا؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان، ولكن فليقل: قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل»، أو: "قَدَرُ اللهِ وما شاء فعل".

كلمة "لو" دي أكبر باب للشيطان بيخش منه، اللي بيخلي الإنسان بقى يقعد يتأسّى ويتألم ويتندم، ويخليه يوصل لمرحلة صعبة جدًا. فيقعد يقول له:

لو ما كنتش نزلت ما كانتش حصلت لك الحادثة، لو ابنك ما كانش راح اليوم ده ما كانش حصل له اللي حصل، لو يعني كنا نزلنا بدري شوية كان ممكن يحصل كذا وكذا، فيفتح لك بقى عمل الشيطان. زي ما عمل مع المنافقين في غزوة أُحد، لما حصل ما حصل في غزوة أُحد قالوا: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا. ربنا بيقول:

{لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ}(آل عمران: 156).

وربنا يرد عليهم، بيقولهم في سورة آل عمران:

{قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ}(آل عمران:154).

لذلك تجد في سورة الحديد آية عظيمة جدًا، الآية دي علاج نفسي خطير جدًا، قوله تعالى:

{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ}(الحديد: 22) "الكتاب يعني اللوح المحفوظ".

{لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ}(الحديد: 23).

يعني إيه لا تأسوا؟ الأسى يقول لك: الأسى هو شدة الحزن، أو درجة من الحزن اللي هي تجيب لك إحباط وتتعبك نفسيًا فعلًا. لأن أكيد الإنسان لما بيحصل مصيبة بيحزن، يعني إيماننا بالقدر لا يتعارض مع الحزن؛ بل النبي عليه الصلاة والسلام لما مات له ابنه إبراهيم، حزن وبكى، وكان يحزن ويبكي على موت أصحابه عليه الصلاة والسلام؛ لأن دي طبيعة الإنسان، جبلة الإنسان، في رحمة.

فالحزن المعتدل والبكاء لا يتعارض مع الرضا بالقدر، ولكن فهمي للقدر بيمنعني بقى من درجة من الحزن فعلًا مضرة بالإنسان. ممكن تحبطه، ممكن تقعده، ممكن تيأسه، وهي الأسى بقى. عشان كده ربنا ما قالش: لكي لا تحزنوا، قال: لكي لا تأسوا. الأسى بقى: شدة الحزن والتأسف اللي هي فعلًا ممكن تكون مضرة بالإنسان.

{لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ}. فإيماني بأن الموضوع ده خلاص حصل، وربنا قدّره وكتبه، بيهون عليَّ المصيبة.

عشان كده بعض السلف بيقول: ينبغي للمؤمن عند حصول المصيبة أن يحمد الله على أربعة أمور، أربع حاجات لو هو تأمل فيها هتهون عليه المصيبة قوي، بل هيحمد ربنا عليها كمان. بيقول:

الأمر الأول: أنها قد مرّت؛ لأنّها كانت واقعة لا محالة، يعني هي خلاص طالما حصلت يبقى دي كانت مكتوبة عليَّ، فالحمد لله إن هي عدّت خلاص.

يبقى أولًا: أنها قد مرّت.

الأمر الثاني: أنها لم تكن أكبر من ذلك؛ كان ممكن يحصل أسوأ من كده.

الأمر الثالث: أنها لم تكن في دينك.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

«اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا».

لإن المصيبة في الدين هي دي المصيبة بجد: إن إنت ما صليتش الفجر، إن إنت مثلًا انتكست، إن إنت فعلت ذنوب ومعاصي؛ ما دي مصيبة برضه.

فلو الأمور جت في الدنيا، في مال، في مشكلة، خبطة في سيارة، خسرت فلوس، أسهل بكثير. المهم دينك سليم وطلعت منها كسبان.

الأمر الرابع بقى اللي بتحمد ربنا عليه: أن الله قد رزقك الصبر على هذه المصيبة وأعطاك عليها أجرًا.
{إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ}(الزمر: 10).
يبقى أنا بفكر في أربع حاجات: إن هي مرت، وإن هي لم تكن أكبر من ذلك، وإن هي الحمد لله لم تكن في ديني، وإن ربنا رزقني الصبر عليها، وكمان أعطاني أجرًا على هذه المصيبة، وأرجو من الله إن يعوضني كمان خيرًا في الدنيا.
لذلك ابن كثير رحمه الله عليه، وإحنا بنركز في شرحنا على تفسير ابن كثير، وخاصة المختصر بتاعه اللي اسمه المصباح المنير، "المصباح المنير مختصر ابن كثير". ابن كثير يقول:
{يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ}، يعني لو صبر واحتسب ورضي بالله عوضه الله عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينًا صادقًا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرًا منه.
تاني بيقول ابن كثير:
{يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ}، يعني لو صبر واحتسب ورضي بالله عوضه الله عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقين.
يعني لو ربنا خد منك الدنيا وعوضك بيقين وهداية في قلبك يبقى أعطاك أحسن من اللي خده منك.
بيقول ابن كثير: وممكن كمان يعطيه الدنيا اللي خدها منه، قال: "وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرًا منه".
كما قال سبحانه وتعالى:
{إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ}(الأنفال: 70).
أصحاب الجنة لما حصلت لهم المصيبة واتحرقت الجنة والكلام ده استقبلوا القدر بفهم، وتابوا إلى الله، وقالوا:
{عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ}(القلم: 32).
فالحقيقة إن الإيمان بالقدر نقدر نقول باختصار إنه بيعمل توازن في المشاعر:
{لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ}، وفي نفس الوقت: {وَلَا تَفۡرَحُواْ}.
يعني ايه هنا {وَلَا تَفۡرَحُواْ}، يعني ما أفرحش؟ يعني ما أفرحش بفضل ربنا عليَّ؟ لو حصل لي حاجة كويسة ما أفرحش؟ مش ده المقصود. ربنا قال في آية تانية:
{قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ}(يونس: 58).
المقصود هنا {وَلَا تَفۡرَحُواْ} يعني لا تفرحوا الدرجة من الفرح برضه المضرة، وهي درجة الفرح اللي بتؤدي إلى العجب والكبر، وإن إنت تفرح بقى بنفسك وتنسى فضل ربنا عليك.
طب إزاي إيماني بالقدر بيظبط مشاعر الفرح؟ إن أنا لما بتحصل لي نعمة — ما هو الفرح بيبقى مقترن بالنعمة — لما بتحصل لي نعمة ممكن بقى إيه؟ أنا اشتغلت وعملت وروحت وجيت، فحصل لي نعمة، وأنا كنت عامل مجهود والكلام ده. فممكن الإنسان يغتر، فيقول: شوفت بقى عشان أنا جامد... فيحصل له العجب والكبر.
لكن لما يفتكر الإنسان إن برضه الحاجة الحلوة اللي حصلت لك دي ما هي برضه كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل ما ربنا يخلقك، فدي بتكسرك قوي. تقول: ياه، يعني أنا قبل أصلًا ما ربنا يخلقني كتب إن أنا هشتغل وهعمل وكذا، وبالتالي سأرزق بكذا. طب ما أنا فرحان بنفسي ليه؟ دي النعمة دي مكتوبة لي من قبل ما ربنا يخلقني.

فالتوجه كله بيكون لله بقى: حمد وشكر ورضا. فتقول: الحمد لله إن كتب لي النعمة دي قبل ما يخلقني، والحمد لله إن ساعدني عليها، والحمد لله إن أعطاني عقل، وأعطاني إيد، وأعطاني فهم، وأعطاني قدرة، علشان أوصل للنتيجة دي.

وبالتالي بينسب كل فضل لله، فبيفرح، لكن هنا بيبتدي يتحول فرحه إلى الفرح المحمود، وهو الفرح بفضل الله وبرحمة الله وبتوفيق الله وبإعانة الله، فينجو من أمراض الكبر والعجب. لذلك الإيمان بالقدر بيحمي الإنسان من أمراض خطيرة زي الكبر والعجب والكلام ده.

فبيعمل توازن دائم في المشاعر.

{وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ}.

فتكتشف إن الجملة دي هي بتتفك في مجموعة معتقدات بنعتقدها في القدر، بتتحول عندنا إلى هداية في القلب. عند حصول المصائب: سكينة وطمأنينة وحاجات أول ما تحصل مصيبة بفتكرها بتهون عليَّ المصيبة، وبتخلي رد فعلي إيجابي، وبالتالي بتحميني من كتير من المشاكل النفسية اللي ممكن توصل لأمراض نفسية حقيقية. ممكن توصل لاكتئاب، ممكن توصل إن الإنسان يحصل له خلاص مش عايز يعمل حاجة، الدنيا تقف معاه، يُصاب بمرض نفسي معين.

فلا شك إن في جزءًا كبيرًا من الأمراض النفسية بيكون بدايته حزن مبالغ فيه، فلو أنا حميت نفسي من الحزن المبالغ فيه بهذه المعاني في إيماني بالقدر، حميت نفسي من جزء كبير من الأمراض النفسية.

فلذلك حال المسلمين مع المصائب دائمًا مختلف عن حال الكافرين، رغم إن — يعني سبحان الله — لما الواحد يشوف الواقع بيلاقي إن نصيب المسلمين من المصائب أكبر بكثير جدًا من نصيب غيرهم. يعني شوف في الواقع الحالي الآن مصائب المسلمين الآن مقابل مصائب الكافرين، وشوف فارق بين رد الفعل. يعني تجد المسلمين في أغلب البلاد فقر ومرض واستضعاف واضطهاد وضيق وكلام كده. يعني سبحان الله، ما في بيت يخلو من هذه المشاكل.

وفي نفس الوقت، سبحان الله، تجد المسلمين عايشين في حالة — يعني أغلبهم — راضٍ عن الله وصابر ومحتسب، والحياة ماشية، وبيعيشوا بخير وبيموتوا بخير، مش بتلاقي أزمات نفسية دايمًا وانتحار في كل مكان والكلام ده.

على الجانب الثاني، في بلاد الكفار تجد مصائب أقل بكثير، طبعًا للثراء والغنى والكلام ده، ووجود بعض الانضباط في بعض البلاد. تجد مشاكل أقل بكثير، سواء على مستوى المشاكل المادية أو مشاكل الأمراض فضلًا عن الاستضعاف والاضطهاد والكلام ده.

رغم ذلك، نسب الأمراض النفسية أعلى بكثير، نسب الانتحار أعلى بكثير، نسب اليأس والإحباط أعلى بكثير. ليه؟ فرق في الإيمان. يعني إذا نكتشف إن المشكلة مش في حجم المصيبة، إنما المشكلة في قوة الإيمان. يعني ممكن مصيبة تبقى كبيرة قوي ما يحصلش حاجة، ممكن مصيبة تبقى صغيرة جدًا وتدمرك.

وفعلًا الآية دي بتضبط لنا الرابط: {وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ}.

والحقيقة ممكن نربط المعنى ده بمعنى التغابن؛ لأن الإنسان ممكن المصيبة يكسب بيها مع ربنا، وممكن نفس المصيبة يخسر بيها مع ربنا، هي نفس المصيبة.

فيوم القيامة في واحد جاي لقى المصيبة دي في ميزان حسناته، وفي واحد لقى المصيبة دي دمرت حياته. يبقى أنا ممكن بنفس المصيبة أكسب، وبنفس المصيبة أخسر. إمتى أكسب؟ {وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ}. إمتى أخسر؟ لما ما بقاش مؤمن بالله سبحانه وتعالى، سبحان الله.

فالمصيبة — غير بقى كل المعاني دي — المصيبة بترفع الدرجات، المصيبة بتكفر السيئات، المصيبة بتهذب نفسك، المصيبة بتعلمك، وبالتالي المؤمن ليه شأن مع المصائب غير أي حد.

طيب ربنا سبحانه وتعالى قال بعدها إيه؟

{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ}.

طيب إيه علاقة {وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ} بالآية اللي قبليها؟ إيه علاقة ده بالمصيبة؟

خليني أقول لك معنى الأول: لما بتحصل مصيبة، غير الكلام الحلو اللي إحنا قلناه ده كله، يبقى في دايمًا سؤال عندك، عند أي حد: هو المصيبة دي عقوبة ليا ولا مش عقوبة؟ هل المصيبة دي حصلت بسبب ذنب أنا عامله، ولا ربنا بيبتليني لمجرد تكفير سيئات أو رفع درجات، أو بيبتلي كما يبتلي الأنبياء والصالحين؟ "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل".

وممكن تكون المصيبة أصابتك بسبب ذنوب ما: {وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ} (الشورى: 30).

فالإنسان بيكون في حال المصيبة — حتى لو رد فعله بالنسبة للمصيبة كويس — بس بيجي له السؤال ده دايمًا: إيه السبب؟ ليه حصلت المصيبة دي؟ بغض النظر إن هي حصلت والحمد لله ورضينا والكلام ده، بس هي ليه حصلت؟ ويفضل الإنسان مش عارف: هو كده ربنا بيبتليني علشان أنا وحش ولا علشان أنا كويس؟ ولا إيه؟

فدايمًا الإنسان بيبقى خائف إن يكون هو المُلام. فهو دلوقتي خلاص تجاوز موضوع المصيبة، وهو بيفكر في سبب المصيبة. ومشكلته ما بقتش في المصيبة خلاص؛ هي مشكلتي دلوقتي: هل ذنوبي هي سبب المصيبة ولا لا؟

وكان السلف دايمًا يفكروا في الموضوع ده، وكان أحد السلف يقول:

"إني لأعلم ذنبي في خلق دابتي وامرأتي".

إني لأعلم ذنبي في خلق دابتي وامرأتي: لما ألاقي مراتي متغيرة عليَّ، لما ألاقي الدابة مش بتساعدني، أعرف إن في حاجة غلط، وأروح أعتذر إلى الله سبحانه وتعالى، بلاقي أموري مشيت.

ولا المصيبة دي حصلت — يعني مش لازم يكون في ذنب — هي الحتة دي إيه اللي بيخلي الإنسان في طمأنينة في الباب ده؟ إن هو يكون محقق الآية دي:

{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ}.

إن هو يكون مداوم على طاعة الله وعلى طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وبالتالي ده بيخليه مطمئن. حتى لو حصلت مصيبة، بيحسن الظن بالله: إن شاء الله خير، إن شاء الله أنا بحاول أكون كويس مع ربنا، فأرجو من الله تكون المصيبة دي في مصلحتي مش ضدي. وده بيطمنه حتى عند نزول المصيبة.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام أخبر إن الأحوال دي بتكون للناس الكويسة، اللي يطمن عند حصول المصائب هو الإنسان الطائع. فقال عليه الصلاة والسلام:

«عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له».

يعني ده للمؤمن بس. فدايمًا الإنسان بيحاول يحقق الإيمان والطاعة، بحيث إن هو يمشي مطمئن في الحياة. لو حصلت مصيبة يحسن الظن بالله: إن شاء الله الواحد بيحاول يكون كويس، وأرجو من الله المصيبة دي تكون في مصلحتي، وتكون العاقبة بتاعتها خير، وإن يكون ربنا بيدبر لي، حتى رغم إن أنا مش عارف إزاي، ومش واضحة لي الحكمة، بس أرجو من الله إني أكون محقق إيمان يجعل المصيبة دي في مصلحتي مش ضدي.

لأن كل مصيبة بتحصل، أو كل حدث في الدنيا بيحصل، ممكن يكون لك أو عليك.

فدائمًا السؤال الحائر هو: اللي حصل ده ليا ولا عليَّ؟

النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول في الدعاء:

«رب أعنّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ».

إذًا الاثنين محتملين؛ محتمل إن نفس الحدث ده يكون ربنا بيعينك، أو يكون بيعين عليك. ومحتمل في نفس الحدث ده إن ربنا بينصرك أو بينصر عليك، ويحتمل في نفس الموضوع ده إن يكون بيمكر لك أو بيمكر عليك.

طب أنا فين؟ هل الحدث اللي بيحصل ده إعانة ليا ولا عليَّ؟ هل هو مكر ليا ولا بي؟

إيه الضامن؟

اللي بيضمن لك إن دائمًا الإعانة تكون لك، والمكر يكون لك، والتوفيق يكون لك؟

"الإيمان".

كل ما يقوى إيمانك كل ما بتطمن أكثر.

عشان كده نجد في القصة المشهورة للخضر لما أتى للغلام، قتل الغلام؛ مصيبة، وأكيد الوالدين زعلوا جدًا وتأثروا بموت الولد.

لكن إيه اللي بيخليهم يطمنوا إن اللي بيحصل ده إن شاء الله خير؟

"الإيمان".

عشان كده ربنا قال:

{وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا}(الكهف: 80،81).

فكان ده الضامن إن الحدث ده رغم غرابته، رغم إنه مؤلم للنفس، لكن طلع إعانة للوالدين وطلع مكرًا للوالدين مش عليهم.

حدث ثاني ممكن تشوفه، وهو بناء الجدار في قصة الخضر؛ كان ده مكرًا لليتيمين ومكرًا على أهل القرية، رغم إن هو نفس الحدث بالضبط. فكان نفس الحدث هو مكر لحد ومكر على حد؛ مكر لحد علشان الإيمان، كان أبوهما صالحًا، ومكر على حد اللي هم أهل القرية عشان كانوا خبثاء وكانوا بخلاء.

فدائمًا الشأن كل الشأن مش في الحدث نفسه، إنما فيك أنت.

كل ما تكون أكثر طاعة وأقوى إيمان ده بيخليك ماشي مطمئن في الحياة.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام بعد رحلة الطائف، وبعد اللي حصل له في رحلة الطائف من الإيذاء ومن السخرية، والمشركين خلوا الأولاد الغلمان يرموا عليه حجارة والكلام ده، دعا الدعاء المشهور عليه الصلاة والسلام ورفع يديه إلى السماء وقال:

«اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟»

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

«إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي».

الشاهد من الدعاء قوله: إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، يعني أنا كل خوفي يكون اللي بيحصل ده غضب عليَّ. أما إذا كان اللي بيحصل ده مش بسبب غضب عليَّ، أنا ما عنديش مشكلة في أي حاجة.

فأهم حاجة يا رب لما المصيبة تنزل ما تنزلش غضب عليَّ.

مش مهم بقى المصيبة نزلت، مش الفكرة في المصيبة؛ الفكرة إن هي لما تنزل ما تكونش بسبب غضب عليك. فاهم الفكرة دي؟

فلما أنا بأعمل اللي أقدر عليه من الإيمان والعمل الصالح، وأرجو من الله إن اللي بأعمله ده يعني يمنع غضب ربنا عليَّ، خلاص أنا دلوقتي جاهز لاستقبال كل أحداث الحياة بطمأنينة.

لو حصلت مصيبة، سهل جدًا أحسن الظن بالله.

لكن لو أنا أصلًا بعيد عن ربنا لازم تقلق. هأقول لك بقى المفاجأة: لو بعيد عن ربنا أنت تقلق من الحاجة اللي شكلها خير كمان.

يعني دلوقتي جاء لك فلوس كثير، هل ده خير؟ الله أعلم. للمؤمن اللي ربنا راضي عنه أكيد خير إن ربنا بيدبر للمؤمن.

طب واحد بعيد عن ربنا، واحد يعني ماشي في طريق الضلال ومستمر وما بيندمش وما بيتوبش، وجاء له فلوس كثير، ممكن تكون استدراج، ممكن ربنا بيفتنه أكثر، وده هيبان من استعماله الفلوس نفسها؛ زي ممثلين وزي الفنانين، يجيء لهم فلوس كثير وشهرة والناس بتعظمهم والكلام ده.

هل ده خير؟ هل ده خير لهم؟ مش باين خالص.

فأنا عايز أقول إن اللي بعيد عن ربنا مش بس بيقلق إن المصيبة تكون نازلة بسبب الغضب، ده بيقلق من الخير نفسه؛ لأنه مش عارف هو ده خير بجد ولا ده استدراج؟ ولا ده إيه بالضبط؟

فالمؤمن لما بيحقق الإيمان وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام بيمشي في الحياة مطمئن، مطمئن، يحسن الظن بالله في كل حاجة بتحصل له، سواء ظاهرها خير أو ظاهرها شر.

عشان كده ربنا قال:

{فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ}. "توليتم عن طاعة الله وطاعة الرسول"،

يعني أنت لن تضر أحد، إذا أعرضت وتوليت عن طاعة الله وطاعة الرسول؛ لن يتضرر أحد، لا الدعاة ولا المشايخ ولا النبي عليه الصلاة والسلام ولا الله سبحانه وتعالى. أنت لا تضر إلا نفسك ببعدك عن طاعة الله سبحانه وتعالى.

ده بيرجعني لمعنى التغابن.

بعض الناس لما تحصل مشكلة أو مصيبة، بيعمل إيه؟

بيعمل رد فعل غريب قوي؛ هو زعلان إن حصلت المصيبة دي ومش عاجباه، فيقول: ليه ربنا بيعمل فيَّ كده ؟ طب مش هأصلي، أو طب مش رايح المسجد تاني.
أو يحصل له مشكلة في المسجد: طب أنا مش مصلي.
واحدة مثلًا ربنا ابتلاها بمصيبة: طب أنا هأقلع الحجاب، ويبقى المصيبة سببت مزيدًا من التغابن.
وفي الحقيقة أنت ما بتضرش أحد، لا بتضر والدك ولا بتضر الداعية ولا بتضر الشيخ ولا بتضر ربنا، إنما الضرر يعود على نفسك فقط.
فالإنسان ما يبقاش يعني غبي في رد فعله تجاه المصائب؛ اكسب مع ربنا، وممكن تكون المصيبة تخليك تخسر أكثر أكثر أكثر، فتقع في التغابن بسبب سوء رد فعلك تجاه المصيبة.
ثم قال سبحانه وتعالى:
{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ}.
هو الذي يستحق أن يُعبد، ولا يستحق سواه أن يُعبد، سبحانه وتعالى.
وفهمك لصفات الله، يخليك تنتقل إلى:
{وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ}.
وهو التوكل، حتى في المصيبة؛ الإنسان بيتوكل على الله، بيفوض أمره لله، بيقول: يا رب فوضت الأمر لك، يا رب، يا رب اجعله خير، يا رب الأمور بيدك كده كده. تقدر تخلي أي حاجة في مصلحتي حتى لو كان ظاهرها شر، بس الأمر بيدك، فأنا متوكل عليك يا رب في إن أنت تخلي كل أحداث حياتي في النهاية خير، حتى ما كان في ظاهره الشر.
لأن مش معنى إن أنا بأتوكل على ربنا إن كل حاجة هتحصل هتبقى في اللي هي ظاهرها الخير؛ ممكن تتوكل على ربنا ويحصل حاجة شكلها شر، بس ثقتك في الله بتخليك تحسن الظن إن اللي شكله شر ده هو خير، بس أنا لسه مش فاهم ليه، وهيبان لي بعدين.
زي ما سيدنا يعقوب كان دائم حسن الظن بالله ودائم التوكل عليه، رغم المصائب المتتابعة اللي حصلت معه، وكان سيدنا يعقوب يعني آية من آيات الله في التوكل، سبحان الله.
وكان يقول:
{لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ}(يوسف: 67).
ما زال يعقوب متوكل على الله، يعني طول حياته.
لذلك لما حصلت له المصيبة دي كان متوكل على الله ومحسن الظن بالله، ويقول لأولاده:
{إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ}(يوسف: 96).
يعني أعلم أن الله لا يضيع أولياءه، وأعلم أن الله من توكل عليه فهو حسبه. وظل كذلك حتى عاد إليه يوسف.
فلما عاد إليه يوسف وابنه الثاني، وتاب أبناؤه كمان، قال:
{قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ}(يوسف: 96).
والله سبحانه وتعالى بيقول في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي".

فمسألة تحقيق التوكل في الحياة والاعتماد على الله مسألة خطيرة جدًا، وحقيقة التوكل بانت معنا في الآية؛ لاحظ إن الآية اللي قبليها قالت إيه؟

{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ}، يعني أنت بتعمل حاجة أهو، وبعد كده قال لك في الآية اللي بعدها: {وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ}.

هو ده التوازن في فهم قضية التوكل؛ هو إن أنت بتشتغل على نفسك، بتأخذ بالأسباب، بتبذل كل سبب ممكن، وفي النهاية لا تعتمد على الأسباب ولا تركن إلى الأسباب.

بتأخذ بالأسباب لأن الشرع بيأمرك بكده، ولا تعتمد على الأسباب لأن هو ده التوحيد، والتوحيد أن يتعلق القلب بالله فقط ولا يتعلق بالأسباب.

فالتقصير في الأسباب خلل في التوكل، والتقصير في تعلق القلب بالله برضه خلل في التوكل. وإنما الكمال في السعي والبذل مع الثقة في الله فقط سبحانه وتعالى.

{وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ}.

لذلك قيل: ما باتت نفس متوكلة إلا وأصبحت مطمئنة. شفتم بقى الآيات الجميلة دي. ثم قال سبحانه وتعالى:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ}.

يعني إيه الآية دي؟ إحنا مكملين في التغابن برضه.

ربنا بيقول لنا دلوقتي، بيحذرنا من أحد الأسباب اللي ممكن تخليك تخسر يوم القيامة. إيه هو السبب؟

الزوجة والولد.

بسبب حبك لهم ممكن تعصي ربنا بسببهم أو تترك خير بسببهم.

مثلًا الزوجة تطلب من الزوج شيء، أو الأولاد يطلبوا من أبيهم شيء، يخليه يقع في معصية أو يترك طاعة إرضاء لهم.

فعشان هو بيحبهم ويرضيهم، فَعل فِعل أضر بنفسه به وخسر به يوم القيامة.

مثال: إن الزوجة مثلًا من حبها في زوجها بتقول له: اقعد معنا وما تروحش تحضر الدرس. فما رضاش يزعلها فقعد معها وما راحش الدرس. والمرة الثانية عملت كده، والمرة الثالثة عملت كده، لغاية ما بقاش عنده علم بسبب إن هو كل شوية يرضيها ومش عايزها تزعل عشان هو بيروح الدرس، فبدأ يخسر.

أو بتقول له: ما تنزلش تصلي الفجر في المسجد، أنا بأبقى قاعدة لوحدي وبأخاف، فخليك جنبي وصلي في البيت. تتحرم من الصلاة وأجر الصلاة في المسجد بسبب إن هو مش عايز يزعل زوجته.

أو كان طالع عمرة وهو أول عمرة ليه ولازم يطلع، أو عنده حج ويقدر يحج وما حجش، فأولاده كل شوية يعيطوا له يقولوا له: بابا ما تطلعش الحج، ما تروحش، هتسيبنا لوحدنا، إحنا مش هنعرف نقعد الفترة دي من غيرك، ويعني إحنا ينفع نقضي العيد الكبير من غيرك؟

فكل مرة يصعّبوا عليه، فيقعد ما يروحش يحج وما يروحش العمرة، ويقعد يأخر في العبادة دي. فمع الخوف إن هو يموت قبل ما يدرك العبادة دي.

محتاج يسافر لمصلحة أو لطلب علم مهم أو لعمل خير، لا ما تسافرش خليك جنبنا. ويقعدوا على كده كل شوية بيخلوه يخسر، هم في الحقيقة مش قاصدين إن هو يعمل حاجة غلط، بس هم بسبب الحب خلوه يعمل حاجة غلط.

عشان كده ربنا وصفهم بالعدو، رغم إن هم مش بيظهروا العداوة، يعني هي الزوجة مش بتظهر لك العداوة ولا الأولاد بيظهروا العداوة، بالعكس ده هم بيظهروا المحبة، واللي بيعملوه ده تحت بند: إحنا بنحبك يا بابا. لكن لما كانت النتيجة واحدة، كانت النتيجة اللي وصلوك ليها هي النتيجة اللي بيتمناها العدو.

يعني لو جاء لك الشيطان كان هيقول لك: ما تنزلش تصلي في المسجد، ولو جاء لك الشيطان كان هيقول لك: ما تروحش الحج والعمرة. فالحقيقة هم الزوجة والأولاد فعلوا فعل العدو، وإن كانوا لا يقصدون ذلك. يعني اللي عملوه ده هو اللي لو كان عدو كان هيعمله فيك، بس هم ما يقصدوش ذلك، لكن النتيجة واحدة إن هم عملوا كده.

لذلك الآيات دي أصلًا نزلت في مين؟ نزلت في مجموعة من المهاجرين، وقيل نزلت في عوف بن مالك الأشجعي. كان همَّ أن يهاجر من مكة إلى المدينة بعد ما النبي هاجر إلى المدينة. عوف بن مالك أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة، فزوجته قالت له: اقعد جنبي في مكة ومش هنهاجر دلوقتي. فعشان يرضيها قعد فترة في مكة، وبعد كده هاجر للمدينة. فلما هاجر للمدينة وجد أن الصحابة سبقوه في العلم، واتعلموا من النبي عليه الصلاة والسلام سورًا وأحاديث، وفاته علم كتير، فغضب جدًا وهمَّ أن يعاقب زوجته.

فنزلت هذه الآية: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَـٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ}، وربنا أمره إن هو يسامحها ويعفو عنها: {وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ}.

فسبحان الله، يعني نفس الفكرة. وممكن زوجة بقصد أو بدون قصد، تخليك تقطع الرحم. فتبقى أنت رايح تزور قرايبك في بلد ثانية ولا حاجة، تقول لك: لا ما تروحش، مش مهم تزورهم. فتقعد يا عيني مدة طويلة ما بتوصلهمش، بسبب برضه عشان زوجتي ما تضايقش والكلام ده.

أو ممكن أولادك بعفوية يخلوك تعمل ذنب: يا بابا عايزين نروح السينما. هم صغيرين مثلًا، فأنت ترضيهم تروح، بقى في مناظر وعري وموسيقى وأفكار أحيانًا غلط. طب عملت كده ليه؟ أصل أنا ما رضيتش أزعلهم. ما هو ده فعل العدو. طب ما الشيطان كان عايزك تخش السينما، فخلي بالك.

بنتك مثلًا، ودي بقى مشكلة، تقول لك: يا بابا أنا عايزة أقلع الحجاب في يوم فرحي. يا بنتي ما أنت محجبة وكويسة. معلش يا بابا يوم وبتاع، ما تكسرش فرحتي، وليلة وهتعدي. فتقول لها أنت برضه إيه؟ تريحها. أو عايز أجيب دي جي ورقص في فرحي علشان ده يوم، ما تكسرش فرحتي. يا بنتي إحنا ما بنسمعش أغاني وما لناش فيها والكلام ده. معلش يا بابا يوم عشان صحباتي .

بص بقى: ممكن زوجتك وأولادك يعملوا فيك إيه؟ يعملوا فيك اللي عدوك يتمناه لك. عشان كده ربنا قال إن هم ممكن يعملوا كده، بس زي ما قلنا إن هم غالبًا مش بيعملوا كده بدافع العداوة في الحقيقة، وإنما أحيانًا بيعملوا كده بدافع العشم والحب.

طيب أنا موقفي إيه بقى في الحالة دي؟ إن أنا أكون فاهم. الزوج الرجل ينبغي أن يكون له موقفين:

الموقف الأول زي ما الآية بيَّنت، إن أنا طالما أدركت كده إن أنا ما استجبش، ما استجبش. وما استجبش إزاي؟ ما استجبش لأن مهما أكون بحب أولادي، أو مهما أكون بحب زوجتي، لابد أن يكون في قلبي حب لله أكثر، وحب للنبي عليه الصلاة والسلام أكبر.
وده اللي بيخليني دايمًا أختار ربنا وأختار طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وما أسمعش كلامهم في الحاجات دي، وده من الرحمة بيهم عشان هم ما يأذوش نفسهم باللي هم أمروني بيه ده.
لذلك النبي عليه الصلاة والسلام كان بيقول إيه؟:
«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.
سيدنا عمر قال: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. قال: لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك. قال: الآن يا رسول الله أنت أحب إلي من نفسي».
ففهم سيدنا عمر إن في الحقيقة مش ممكن إنسان ينضبط في سلوكه ومعاملاته، ويقدر يقول للحرام: لأ، مهما كان الداعي للحرام ده حبيب إليه، إلا لو كانت حب الله وحب الرسول عليه الصلاة والسلام أعلى من كل المحبوبات.
لأن في الحقيقة لو أنت تأملت هتجد إن الدنيا دي ممكن تختصر في كلمة واحدة: الدنيا دي هي صراع محبوبات. أنت بتحب المال، بتحب الزوجة، بتحب الولد، بتحب نفسك، بتحب أباك، بتحب أمك، وفي نفس الوقت بتحب ربنا وبتحب الرسول عليه الصلاة والسلام. لو حصل تعارض بين هذه المحبوبات، زوجتك أمرتك بمعصية، أمك أمرتك بمعصية، الفلوس، عشان توصل لها، لازم تعمل حاجة غلط. في نفس الوقت، أنت بتحب ربنا وبتحب الرسول عليه الصلاة والسلام، إيه الاختيار اللي هتختاره؟ أنت هتختار الأحب إليك. لذلك لا يمكن تستقيم لغاية ما يبقى النبي عليه الصلاة والسلام وربنا سبحانه وتعالى قبله أحب إليك من إيه؟ من كل شيء، وإلا لازم الدنيا هتبوظ منك وهتقع في المعاصي.
عشان كده ربنا قال كده في سورة التوبة، قال إيه ربنا؟ ركز في الآية دي: {قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ}(التوبة: 24).
ليه قال "الفاسقين" في الآخر؟ لأن الفاسق هو الخارج عن طاعة الله. ولو أنت الثمان أصناف دول أحب إليك من الله والرسول عليه الصلاة والسلام، أكيد هتخرج عن طاعة الله بشكل ما لما يحصل تعارض بين دول وبين محبة ربنا سبحانه وتعالى.
فلذلك اللي يقدر يخلي حب ربنا في قلبه هو دايمًا الغالب أو الأعلى، ما فيش حاجة من دول هتخليه يعصي ربنا. هيعرف يسايس الزوجة ويعرف يطيب خاطر الأولاد من غير ما يعصي ربنا، ويعرف يفهمهم ويوعيهم. مش هيبقى ضعيف قدام حبه ليهم، فعشان يرضيهم يخسر آخرته أو يعمل معصية أو كده. وده بيحميه من التغابن، لأن ممكن يكون من أسباب التغابن حبك لزوجتك وحبك لأولادك، اللي هو الجزء من الحب المذموم، اللي هو تجاوز حب الله سبحانه وتعالى، أو نقدر نقول المذموم إن أنت ما خليتش حب ربنا هو الأعلى كمان.

تمام، فأكيد احنا ما فيش حد فينا ما بيحبش زوجته، ما بيحبش ولاده، لكن دايمًا لازم يكون حب ربنا هو الأعلى.

ولو حبي لزوجتي وأولادي وصل بيا إن أنا بعمل غلط عشانهم، يبقى في حاجة غلط في هذه المحبة، إنها تجاوزت حب الله سبحانه وتعالى، أو حب ربنا اللي نقص عن الحب الطبيعي للزوجة والأولاد.

وبالتالي، مش معنى إن أنا بحبك إن أنا أستجيب لك في كل مرة. العكس، ده أنا عشان بحب زوجتي وأولادي، بحب لهم الخير وبحب لهم إن ربنا يبقى راضي عنهم، فأنا بقول لهم لأ في حاجات معينة عشان بحبهم. ما تجيش زوجة تقول لي: "لأ، يبقى أنت ما بتحبنيش"، العكس، أنا بعمل كده عشان بحبك.

واللي بيحب حد ما يضرّوش، وده ضابط مهم تعرف بيه مين بيحبك ومين عدوك، وضابط حتى في الصداقة نفسها. صاحبك اللي بيعزم عليك بسيجاره ما بيحبكش، صاحبتك اللي بتخليكي تكلمي ولاد ما بتحبكيش.

الولد اللي عايزيك توقعي في حرام معاه ما بيحبكيش، إنما بيحب نفسه حب أناني، زي حب امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، اللي في ثانية اتقلب لعداوة: {وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ}(يوسف: 32).

فتبين إن هي ما كانتش بتحبه أصلا، إنما هو حب للذات وحب للشهوة وحب للنفس. فاللي بيحبني يساعدني في طاعة ربنا، واللي بيضرني في طريق ربنا، ده ما بيحبنيش.

فبالتالي، أنا بساعد زوجتي، أنا بساعد ولادي، وبالتالي لما يحصل موقف زي ده، إن هم أمروني، ولو عفويًا، ولو بسبب الحب، إن نعمل حاجة بس هي غلط أو بيحرموني من طاعة كبيرة بلا سبب وجيه، فأنا بسايس وأحاول إن أنا أراضيهم وأجبر خاطرهم، وفي نفس الوقت أقول لهم لازم يحصل كده.

لازم نعرف يا جماعة إن أهم حاجة ديننا، احنا جايين هنا نعبد ربنا، ولازم إن احنا نتحمل فيه شيء من التضحيات عشان نطيع ربنا سبحانه وتعالى، وأعوضهم بعد كده بهدايا والكلام ده.

طيب، احنا قلنا ده الموقف الأول: إن أنا مش هستجيب للحاجة دي.

الموقف الثاني، وهو رد فعلي بقى تجاه اللي عملوه ده، ربنا أمرني إن أنا أتجاوز عن اللي حصل ده، قال: {وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ}.

ركز بقى، زي ما قلنا إن غالبًا اللي حصل من الزوجة والأولاد ده بسبب تعلقهم بيك أو حبهم ليك أو سوء تقدير لموقف ما، فكأن ربنا بيقول لك خلاص، ما تعاقبهمش. هو أنا قلت لك آه، ما تستجبلهمش، بس مش معنى كده إنك تنتقم منهم أو تعاقبهم، حتى لو فاتك خير بسببهم، حتى لو اكتشفت إن هم بقى لهم فترة فعلا، يعني بسبب كلامهم وزنهم، أنا اتأذيت في ديني، أحيانًا الزوج بسبب زواجه، وزوجته عندها طلبات كتير وبتلح عليه كتير ودايمًا عايزاه جنبها، اكتشف بعد سنين زواج إن هو بقى له مدة ما طلبش علم، نسي القرآن، قصر في حفظ القرآن، كان متخيل بقى هيتجوز وهيعمل وهيسوي شغلته كتير قوي عن حاجات كتير فبعد، يبقى عايز بقى ينتقم منها.

يعني زي ما عوف بن مالك الأشجعي، هو ده اللي حصل منه بالظبط، كان عايز ينتقم من زوجته لما اتأخر عن الهجرة، ففيه نزلت هذه الآية: {وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ}.

ربنا أمر بالعفو، وده بيدينا قاعدة جميلة في تعامل الزوج في المنزل. أو نقدر نقول إن دي من ملامح القوامة: "ملامح القوامة" مش هي إن أنت بقى بتشخط وبتزعق واللي أنا أقوله يتسمع والكلام ده.
القوامة دي يعني: صفات القائد، والقائد عنده حكمة في التصرف فيمن يعني يديرهم. فأحيانًا بيكون العفو والصفح والمغفرة هو الحل المثالي والتجاوز. الحياة طويلة، احنا عايشين مع بعض كده كده، وما فيش حد هينصلح في يوم وليلة، وما فيش حد هيتعود عليك في يوم وليلة.
فالزوجة دي حياة طويلة جدًا، يعني فوارد جدًا في الحياة الطويلة قوي دي يحصل زلات، ويحصل أخطاء، ويحصل تجاوزات أحيانًا، ويحصل سوء تفاهم وسوء تقدير. مش معقول في كل موقف هتتدخل بعقوبة على طول مرة واحدة، لكن أنت واحدة واحدة بتعفو، بتسامح، بتعلم، بتوجه ثاني وثالث ورابع وخامس. بتدير ناس في بيت وعايز البيت ده يستمر. لو رد فعلك عنيف في كل موقف، البيت مش هيكمل، مش هنعرف نعيش مع بعض. يعني مش هنعرف نبص لبعض تاني بسبب الردود العنيفة دي.
فكأن ربنا بيوجه الزوج، بيقول له: يعني من الحكمة ومن كمال القوامة عندك، إن أنت الكبير، أنت اللي عقلك أرجح، أنت اللي ممكن تستوعب الموقف. خلاص اللي حصل حصل منهم، ولعل اللي حصل منهم ده بسبب تعلقهم بيك، حبهم ليك، يعني سوء تقدير، فتجاوز، علمهم وأدبهم وفهمهم، بس ما تعاقبهمش، اعفو عنهم.
ده كمان ربنا ما أمرش بالعفو بس، خد بالك من الصيغة، ودي رسالة للرجال والأزواج، ولكل من له قيادة على ناسه.
{وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ}، إيه الفرق من الثلاثة؟ وليه ربنا ذكر الثلاثة دول؟ قالوا: العفو هو عدم العقوبة، يعني أنا عفيت عنك، يعني مش هعاقبك، خلاص سامحتك، فلن أعاقبك، تعفو.
طب يعني إيه تصفحوا؟ قالوا: الصفح من صفحة الوجه. صفحة الوجه الإنسان لما يعرض عن حد، يقول لك أعطاه صفحة وجهه، فيقال: صفح عنه. والمقصود بالصفح هو عدم اللوم والعتاب، لأن أنا ممكن أعفو عن حد بس ألومه. أقول له: بص أنا سامحتك، أنا سامحتك مع إنك أذيتني وضربتني وأنت عملت فيا وسويت، وأقعد إيه؟ أنا بلوم، بس أنا مش بعاقب، بس أنا يعني تجاوزت عن العقوبة، بس برضه بلومه. ربنا بيقول لأ، زي ما بعض الناس بيعمل كده مع زوجته، يبقى مسامحها بس يقعد كل شوية يلومها: "أنت عملتي برضه وأنت سويتي وما تنسيش اللي أنت عملتيه"، والكلام ده. ربنا بيقول لأ، أنت ما تعاقبش وكمان ما تلومش.
طب يعني إيه "وتغفروا" بقى؟ وتغفروا، قالوا: المغفرة من "المغفر"، المغفر اللي بيلبسه الراجل في الحرب. وقالوا المغفر ده دوره الستر، بيسترك ويخلي الضربات ما تجيلكش. فقالوا المغفرة من الستر، يعني المقصود وتغفروا يعني تستره.
يعني إيه تستر بقى؟ يعني تستر يعني ما تجيبش سيرة الموضوع ده بعدين، أو تستر، ما تجيبش سيرة الموضوع ده لحد. بعض الناس بيبقى ساعتها ما عاقبهاش ولا عاتبها ساعتها، بس يجي في مشكلة ثانية بعدين، يروح مفكرها بالقديم، أو يجي قدام أهلها يحكي القصة: "عملت وسويت بس أنا سامحتها، وما عاتبتهاش". طب قلت ليه؟ صغرتها قدام الناس ليه؟ خلاص، أنت عفيت وصفحت، استر بقى، اغفر، اغفر وما تحكيش الحكاية دي لحد، لا لصاحب ولا لأهلها ولا لأهلك.

يبقى دي الصورة المثالية: عدم العقوبة، عدم اللوم، مع الستر التام.
لا هقوله دلوقتي ولا أقوله بعدين، ولا أقوله لحد تاني، انتهى الكلام. وده من المروءة.
مش معنى كده إن أنا هشوف الغلط وأعديه، ما أنا هوجه وهنصح، وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأعمل كل حاجة، بس أنا بسايس، بتعامل بالسياسة في البيت، وأعلم إن الأكيد المرأة ليها زلات.
المرأة بيجي لها ظروف، هي عاطفية، ممكن بسبب العاطفة يحصل أمور ما تعجبنيش.
لكن احنا عايشين مع بعض في النهاية، وينبغي للقيم على الأسرة إن هو يتعامل بالحكمة. دايمًا الرفق ما كان في شيء إلا زانه، والله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. والبيوت تدار بهذه الطريقة بالمداراة، والمرأة بتقدر اللي بيقدرها وبيحترمها، وبيقول لها كلام حلو.
خلي بالك، المرأة بتقدر جدًا لما أنت تسامحها، وهي عارفة إن هي غلطانة، وعارفة إن هي كانت تستحق عقوبة، تكتشف إن أنت ما عاقبتهاش وما عاتبتهاش كمان.
المرأة الطيبة بتاخد بالها من الموضوع ده. ممكن واحد يقول لك: ما بيفلحش فيهم، هي ما بتقدرش. ما ده يرجعنا للاختيار.
وده موضوع تاني، يعني احنا لازم يا جماعة أصلاً في الاختيار الأساسي، وإحنا بنختار زوج أو زوجة، نختار الناس ذوي المروءة، اللي عندهم أخلاق، أو اللي احنا بنسميهم بالبلدي: "ولاد الناس"، أو احنا بنقول: اللي عندهم أصول، الناس المأصلة، الناس اللي تعرف العيب، الناس اللي بتقدر، الناس اللي أخلاقها عالية.
ده اللي فعلاً لما تيجي تتجوزها، لما تسامحها، لما لا تعاتبها، وهي تاخد بالها، هتقدر لك الموضوع ده جدًا جدًا، ومش هتنساه لك، وهتلاقيها بتبذل مجهود كبير جدًا بعد كده في إرضائك وأنت مش واخد بالك، عشان هي حاسة إن في جميلة وعايزة تردها لك.
فاختيارنا الكويس للطرف الثاني دايمًا بيفرق معانا في الحياة كلها، وبعد كده بنتعامل بما يرضي الله سبحانه وتعالى.
{وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ}
لاحظ بقى ربنا حببنا في الموضوع ده إزاي؟ ممكن أحيانًا الموضوع ده يبقى تقيل على النفس. ممكن واحد يقول لك: أصل أنا عصبي، أصل أنا بص، يعني كلامك جميل، بس أنا ساعة الغلط ما بستحملش، يعني ألاقي نفسي بقى بضرب وبشتم أو بعاتب، مش عارف أعمل اللي أنت بتقوله ده. يا عم الشيخ، أنت راجل طيب وبتتكلم في مثاليات، وأنا مش قادر أعمل الكلام ده. صحيح، في ناس فعلاً ممكن نفسه تغلبه، والموضوع محتاج مجاهدة كبيرة، بس ربنا ختم لنا الختام ده بحاجة، والله العظيم تخليك نمرة واحد على طول.
قال: فإن الله إيه؟ (غفور رحيم). يا سلام، فهمت حاجة؟ ربنا بيقول لك: زي ما هتعاملهم هعاملك. تحب ربنا يعمل معاك ايه يوم القيامة، مش أنت بتغلط مع ربنا؟ صح، وبتعصي. إيه رأيك يوم القيامة؟ ربنا ما يعفوش عنك يعني يعاقبك ويعذبك ويفضحك، ما يستركش؟ لأ، لأ، لأ. أنا مش عايز كده يا رب. أنا نفسي يوم القيامة ما تعاقبنيش، وما تعاتبنيش، مش هستحمل حتى العتاب، وما تفضحنيش. يعني مش كل الناس تعرف أنا عملت إيه.
طب ما تبدأ بنفسك: هعمل لك كده، بس ابدأ بنفسك. زي ما تحب ربنا يعاملك، عامل الناس.

يعني أنت لا بتعفو ولا بتصفح ولا بتغفر، وعايز ربنا يعمل معاك كده؟ لأ.
"الراحمون يرحمهم الرحمن". قواعد: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".
وبالتالي، الإنسان ممكن يكون شايف موقف فعلاً يستاهل إن اللي قدامه يتعاقب، يبقى ما أنت تستاهل تتعاقب من ربنا. فبفتكر كده، بقول: يا رب أنا هسامح الزوجة المرة دي ومش هعاتبها ومش هتكلم في الموضوع ده تاني، بس يا رب كل ده عندك، يا رب عاملني كده يوم القيامة.
فكل ما بتفتكر الموضوع ده بيخليك تنشط، وده بيحسن علاقتك بالناس كلها. يعني خليك تحسن إلى من أساء إليك، خليك تسامح حد ما يستاهلش إن أنت تسامحه، وهكذا. يعني بعامل ربنا وبتمنى إن ربنا يعاملني كده يوم القيامة.
النبي عليه الصلاة والسلام حكى عن رجل قال: "كان رجل في من كان قبلكم"، في بعض الروايات: "لم يكن له خير"، يعني ما كانش عنده حاجات كويسة كتير بيعملها في حياته، "ولكن كان يداين الناس بيقرض قرض حسن ويبعث عامله عند السداد"، يقول: "من وجدته موسر فخذ منه، ومن وجدته معسر فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عني غدًا".
فلقي الله فقال الله تعالى: (لَهُ نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ)، فتجاوز عنه وأدخله الجنة. يعني يا جماعة، سامحوا، وعدوا، واغفروا، يعني لعل الله يتجاوز عنا غدًا. إحنا محتاجين كل رحمة من ربنا يوم القيامة.
فأنت بترحم الناس وبتعفو، أولى الناس بعفوك: الزوجة والأولاد.
يعني من الأخلاق الرديئة إن أنت تكون كويس مع الناس كلها، وحلو مع الناس، والناس كلها بتقول عليك: "الله، الراجل محترم وبيسامح وبيعدي"، ما تعديش لزوجتك وأولادك أبدًا. عصبيتك كلها بتطلع عليهم، الشتائم كلها بتطلع عليهم. بره الناس تقول عليك كويس، وجوه يقولوا: ما بيستحملش كلمة، ما بيعدلناش موقف. يعني لو واحد لقى الكوباية من هنا هنا، يعمل خناقة عليه. الملح ناقص، يقلب البيت، مع إنه بره الناس بتقول عليه كويس. فدي حاجة مش كويسة خالص فيك.
النبي عليه الصلاة والسلام قال: "خيركم خيركم لأهله".
ثم قال تعالى: {إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ}.
لاحظ في الآية الأولى، ربنا قال: {إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ}، من دي تبعيضية، لأن مش كل الزوجات والأولاد كده. ده بيرجع، ممكن واحدة قدامكم تقول: "أنا ما بأعملش كده، بالعكس، أنا اللي بأقول له صلي، أنا اللي بأقول له صوم، أنا اللي بأنصحه". ده هو اللي مش كويس، وأنا اللي كويسة في البيت.
أنت بتقول إيه يا عم الشيخ؟ أو الأولاد ممكن ولد يسمعني دلوقتي، يقول: "ده أنا الملتزم اللي في البيت، أنا اللي بأقول لهم ما تسمعوش أغاني وأفلام ومسلسلات، وهم اللي.. ".
لأن ربنا قال: إن من.. مش كل الزوجات كده طبعًا، ومش كل الأولاد كده، بل كثير من الزوجات والأولاد هم أصلًا الملتزمين في البيت، وأحيانا الوالد هو اللي مش ملتزم. وهم اللي بيعينوه على الطاعة، هم اللي بيصحوه، يصلي الفجر، هم اللي بيشجعوه يصلي في المسجد، هي اللي بتقول له: يلا نصوم، هو ابنه اللي سبب في هداية البيت كله.
من دي تبعيضية، بس الآية اللي بعديها مقالش من بقى، قال: {إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ}

ما قالش من، لأن هنا المقصود بالفتنة: الاختبار. فطبعًا كل أولادنا اختبار، كل أموالنا اختبار.
المقصود هنا بالفتنة مش حاجة وحشة، المقصود بالفتنة: اختبار. اختبار، ربنا بيختبرك بالأموال وبيختبرك بالأولاد. عشان كده هنا ما قالش من، لأن كل أولادنا فتنة، وكل أموالنا فتنة، يعني ربنا بيختبرنا بهم.
لأن الفتنة ممكن تجيء لك حتى من ولد رضيع، رضيع تفتن به. إزاي تفتن به؟ إن هو لوحده كده، من غير هو ما بيتكلمش، ولا بيكلمك، ولا بيطلب حاجة، أنت نفسك تبتدي تتأثر بسببه، وتبعد عن ربنا بسببه. فيبقى أنت فتنت به، يعني وقعت أو فشلت في الامتحان.
النبي عليه الصلاة والسلام بيقول: «الولد مجبنة، الولد مبخلة، مجهلة».
يعني إيه الكلام ده؟ يعني بيقول: الولد مجبنة ممكن يخليك تجبن عن الجهاد في سبيل الله. خائف أموت، لو مت هيعيشوا إزاي من بعدي، فيخليك ما تروحش تجاهد، مع إنه ممكن رضيع ما قالش حاجة، بس أنت فتنت به.
مبخلة: خليك ما تتصدقش. "لا أولادي أولى، طب ما تطلعش زكاة مالك، لا خلي الفلوس، الفلوس أولى، أشيلها لعيالي، أجيب لهم حاجة". آه، فيبقى خلاك تبخل كمان. تبخل مش بس تبخل عن المستحبات، ممكن تبخل كمان بالواجبات.
مجهلة: خليك تقعد جنبه، ما تروحش تطلب علم. قصرت في حفظ القرآن، قصرت في مجالس العلم من ساعة ما اتجوزت وخلفت، فأولادك هم اللي خلوك بعيد. مجهلة على المدى البعيد، ما بقاش عندك علم.
فتتخيل بقى، فممكن إنسان بسبب أولاده يحصل له فتنة سلبية، وممكن يكون بيختبر فيهم، بس ما بيسقطش، يعني بينجح، يعني هو بيختبر فيهم، بس الحمد لله ما بيقصرش، وبيؤدي حق ربنا. فيعانون، هو اختبار ممكن تنجح فيه، وممكن ما تنجحش فيه، تمام.
والأولاد يا جماعة لهم زينة في العين، تمام. ربنا جعل البنون زينة الحياة الدنيا.
النبي عليه الصلاة والسلام مرة كان واقف على المنبر، دخل الحسن والحسين، كانوا صغيرين كده، وشكلهم حلو، أولاد صغيرين، كانوا لابسين ثياب حمراء، يعثران فيهما، لابسين حاجة طويلة شوية أو كبيرة عليهم، يتكعبلوا فيها، وشكلهم مضحك، وشكلهم أمور وجميل.
النبي عليه الصلاة والسلام نزل من على المنبر، وحملهم وطلع بهم على المنبر، وقال: "لما رأيت هذان لم أصبر"، لم أصبر من جمالهم.
صدق الله تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}.
طب إيه اللي يخليني أنجح في الفتنة دي، ما أسقطش؟ يعني مش بسبب أولادي ولا مالي أعمل حاجة حرام؟ والله عنده أجر عظيم.
الأجر العظيم اللي عند ربنا دائمًا بيضبطني جدًا. طمعي في الأجر اللي عند الله يخليني ما أسقطش في الاختبار. عارف، لو سقطت، هيحصل لي تغابن، هأخسر الأجر العظيم، وأنا ما عنديش استعداد يحصل لي تغابن يوم القيامة.
فأنا دائمًا في اختباراتي مع أولادي بأنجح، في اختباراتي مع أموالي بأنجح، فأتكسب من حلال، بأنفق في حلال، براعي ربنا في كل قرش داخل، وكل قرش طالع، لأن أنا هأتسأل عن من أين اكتسبه،

وفيما أنفقه، وأنا ما عنديش استعداد للتغابن يوم القيامة {وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ} .
ورغم كل دوت، ربنا يقول: (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ)، لأن برده واحد مش هيقدر يعمل كل حاجة، مش هيقدر تعمل كل حاجة في الدين.
{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ}: ما استطعتم {وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ}،
{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ}. إن أكيد هيحصل تقصير، وأكيد مش كل حاجة هأقدر أعملها. بأبقى أنا نيتي، مثلًا: نفسي أعمل كل حاجة في الدين، بس اللي تقدر عليه اعمله، يعني اعمل الواجبات، وما تقدر عليه من المستحبات.
زي ما النبي قال: «ما أمرتكم به من أمر فأتوا منه ما استطعتم».
لكن في نفس الوقت قال: «وما نهيتكم عنه فاجتنبوه».
ليه ما قالش: وما نهيتكم عنه ما استطعتم. برده؟ لأن النهي هو ترك، يعني الترك ده بيسموه فعل عدمي. يعني أنا ما بأعملش حاجة. أنا أقول لك: ما تزنيش، هتعمل إيه؟ ولا حاجة. أقول لك: ما تشربش الخمر، هتعمل إيه؟ ما فيش حاجة أعملها، أنا مش هأشرب الخمر. فالترك لا يكلف مجهود، ولا طاقة، ولا وقت، ولا مال.
وبالتالي، تقدر دائمًا تترك. لكن لما أقول لك: اعمل، روح حج، صلِ كثير، صم كثير، تصدق، في حدود في الآخر، في الاخر في قدرة، هعجز بعدها.
الفعل معلق على الاستطاعة، لكن الترك مش هيعلق على الاستطاعة، لأن الترك أصلًا مش بيبذل فيه مجهود، ولا مال، ولا كده.
لكن يظل إن الفعل برده معلق على الاستطاعة، فالإنسان بيجتهد في طاعة الله بقدر ما يستطيع.
{وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ} يعني حاول، يعني تجيب آخرك.
طب في وسط كل ده، أنا أكيد هأغلط. ما أنا بأقول: أنا عملت اللي استطعتي، بس أنا في الحقيقة ما عملتش اللي في استطاعتي قوي، كان في أكثر من كده. وأنا عارف إن أنا قصرت. حاولت ألتزم باللي اتقال في السورة دي، حاولت أعفو وأصفح وأغفر، مرة ما مسكتش نفسي، وغلطت، يعني وزعقت جامد وشتمت وبتاع. أعمل إيه بقى؟
ربنا بيقول لنا حل جميل قوي، قال: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ}. خلاص، قال: {وَأَنفِقُواْ}.
إيه ده؟ إيه أنفقوا دي؟ قال لك: هي دي اللي بتجبر أي حاجة، {وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ}.
ورد في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وأرضاه، قال: "فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".
يعني أنا بيحصل في وسط كل ده تقصير أكيد.
ممكن سمعت كلام ولادي في حاجة مش كويسة، ممكن أذيتهم مرة يعني زعقت لهم بطريقة ما كانتش صح، بيحصل. طب نعمل إيه؟ أكثر من الصدقات.
الصدقة دي يا جماعة واضح جدًا من سياق الآيات اللي أخذناها إن الصدقة دي حاجة كبيرة قوي عند ربنا. في سورة المنافقون لقينا:

{وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ}[المنافقون: 10].

اشمعنى الصدقة؟ الموضوع كبير. الصدقة دي حاجة كبيرة قوي عند ربنا، وبالتالي الإنسان بيحرص إن الصدقة دي تكون فعل دائم له.

"والصدقة تطفئ غضب الرب" كما في الحديث.

من السبعة اللي ربنا يظلهم: "رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار». يعني الصدقة دي هتحميك من إن أنت تخش النار بسبب التقصير اللي ممكن يحصل من النساء، والكلام ده ويكفرن العشير والقصة دي.

فاللي عايز أقوله، يعني مسألة الصدقة دي مسألة مهمة جدًا، فتنزع من القلب كمان حب الدنيا، بتنزع من القلب التعلق بالدنيا، بتنزع من القلب أمراض كثير قوي. لما تطلع الصدقة، أنت بتطلع أمراض كثير من قلبك، وده بيحميك من التغابن.

لما تطلع الصدقة، أنت عملت أحسن استثمار للمال. تخيل، أنت مثلًا قابلت ربنا وأنت كان عندك فلوس كثير قوي أو فلوس كثير، وما تصدقتش، يعني ده تغابن، هتقول ما تصدقش ليه؟ يعني أنا كنت سايب لأولادي ما يكفيهم وزيادة، طب ما من الزيادة دي كنت أتصدق، ولا أعمل حاجة لآخرتي. طب ما هو ده تغابن.

ماشي، يا عم، سيب لأولادك، وسيب لزوجتك، والكلام ده، بس لسه في فائض، ما تتصدق.

تصدق كل شهر، ولو حاجة بسيطة، ربنا يبارك في باقي المال: "مَا نَقَصَ مَالُ مِن صَدَقَةٍ".

{وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ}. عشان كده ربنا يقول: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}.

الشح، الشح ده اللي هو إيه؟ قالوا: إن الشح هو البخل بما في يدك، وكمان الطمع فيما في أيدي الآخرين. يعني الشح: حاجة أعلى من البخل، البخل إن أنت تبخل بما في يدك، يعني أنت مش عايز تعطي بما في يدك.

قالوا بقى: الشح أسوأ، الشح إن أنت تبخل بما في يدك، وتريد ما في أيدي الآخرين. والشح ده هو اللي بيخلي الإنسان يقطع الرحم، الشح ده هو اللي بيوصل الإنسان لعقوق الوالدين، بيخليه يرتكب الرذائل، بيخليه يسرق، بيخليه يغش، بيخليه يرتشي.

عشان كده: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}.

طب الشح ده أنا أحاربه إزاي؟ إزاي المرض ده أتغلب عليه؟ بالصدقة. كل ما بتنجح في الصدقة، وكل ما تتصدق كثير، مرض البخل والشح ده بيضعف، بيضعف، بيضعف، لغاية ما يطلع منك، وتزهد في الدنيا. ساعتها ربنا بيعافيك من أمراض كثير قوي.

فالصدقة دي بتحميك من أمراض كثيرة جدًا، وبالتالي الأمراض دي لما بتطلع، ده بيأثر بقى في حاجات ثانية.

فلما أزهد في الدنيا، مش هأخاصم رحمي على الدنيا، مش هأخسر واحد عشان الدنيا، مش هأسرق، مش هأرتشي، مش هأغش، مش هأخدع. أصل أنا كده كده أصلًا بأتصدق، يعني فالصدقة طلعت الأمراض دي كلها، اللي هي أصلًا بتسبب المعاصي دي.

لذلك: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}.
ثم بعد ذلك ربنا حببك في الصدقة أكثر، قال: {إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ}.
أهو يغفر لكم، أهي، بس وصفها بالقرض دائمًا. فكرة القرض تقول لك: القرض ده كلمة مطمئنة ليه؟ قرض يعني راجع، وكأن ربنا وصف الصدقة بالقرض، بيبعث لك رسالة ضمنية: هو راجع لك كده، كده، راجع لك، ده أنا سميته قرض، يعني هيرجع لك، وهيرجع لك أضعاف مضاعفة، تمام.
{إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} يعني من كسب طيب، طبعًا لازم مال طيب.
{يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ} وفي الحديث قال: "ما من مؤمن يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبًا، إلا أخذها الله بيمينه فنماها له، وربّاها له كما يربي أحدكم فلوه"، يعني الحصان الصغير، "حتى تصير مثل الجبل يوم القيامة".
عشان كده قال: {يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}.
يُضَاعِفْهُ لَكُم: يضاعف الصدقة عنده، ويربيها يوم القيامة، بتقعد تكبر تكبر عند ربنا، وأنت ما عملتش حاجة، بس هو ربنا بيضاعفها كده، إكرامًا ليك، وكمان يسامحك على حاجات غلط عاملها، ويغفر لكم.
قلنا أثر الصدقة في المغفرة: {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} عشان كده وصف نفسه بالشكور هنا.
قالوا: الشكور هو الذي يعطي الكثير على القليل، الشكور هو الذي يعطي الكثير من الأجر على القليل من العمل. يقول لك: شكر، شكر يعني أداك كثير قوي، قصاد عمل قليل قوي.
هذا هو الشكور، الحليم لم يعجل بالعقوبة. يعني لما يعطيك، يعطيك فورًا. لما يعاقب، بيأخر العقوبة جدًا، لغاية ما تتصدق، ولا تتوب، ولا حاجة، وبعد كده يسامحك. فهو حليم سبحانه وتعالى، لا يعجل بالعقوبة.
ففي الخطأ، يأخر العقوبة جدًا، وفي الخير يعجل لك الأجر والثواب.
الحمد لله، الواحد بيحب ربنا قوي والله. {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}، يعطي كثير قوي على حاجة قليلة، وفي العقوبة يأخرها جدًا، شكور حليم.
{عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ}، سبحانه وتعالى، {ٱلْعَزِيزُ} الذي لا يُغَالِب ولا يُغْلَب أحد، {ٱلْحَكِيمُ} في كل شرعه، وفي كل أمره، وفيما قضى لعباده، وفيما أوقع على عباده من الأقدار، حتى المصائب له حكمة فيها سبحانه وتعالى.
{عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}.
قد إيه كانت سورة جميلة، وقد إيه فهمنا معاني كثير قوي قد تسبب لنا التغابن يوم القيامة.
نسأل الله أن يتقبل منكم صالح الأعمال، وأن يجعلنا يوم القيامة من الفائزين، ولا يجعلنا من أهل التغابن.
نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الفردوس الأعلى، وأن يحبب إلينا الإيمان والقرآن، وأن يرزقنا الصبر، وأن يعيننا على طاعته.
جزاكم الله خيرًا.
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
السلام عليكم ورحمة الله.

مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الرابعة عشر

طلاق من نوع خاص
سورة الطلاق (1)

علاء حامد
Ala Hamd

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد: أهلاً ومرحبًا بكم في لقاء يتجدد مع هذه المدرسة الطيبة المباركة، مدرسة جزء قد سمع.

بفضل الله سبحانه وتعالى انتهينا المرة الماضية من سورة التغابن، وأظن خلاص يعني استمتعنا بسورة التغابن، و رغم أن هي تبدو في الظاهر سورة في الحفظ صعبة شوية، لكن بفضل الله ثم التدبر والفهم أعتقد الموضوع بقى يسير جدًا.

عايز أبشركم بقى إن إحنا معانا النهاردة السورة الأصعب على الإطلاق بالنسبة للناس، وأكتر سورة بيحصل مهابة للي بيحفظها فضلًا عن فهمها، وهي سورة الطلاق. أنا أعتقد سورة الطلاق بالنسبة للناس بتبقى غامضة شوية، وغامضة كتير يعني، وفي مشكلة كبيرة عند الناس في حفظ السورة دي بالذات، واللي حفظها عنده مشكلة كبيرة في مراجعتها، وحاسس إنها دايمًا بتلغبطه، وحاسس إنه مش قادر يستوعبها ومش قادر يفهمها والكلام ده، وحاسس إنها تقيلة، كلها أحكام وكده.

طيب أنا أقول لكم وعد، ونشوف هيحصل الكلام ده ولا لأ. أنا أعدكم بإذن الله سبحانه وتعالى بعد اللقائين اللي هناخدهم في سورة الطلاق أن أنت ستجد أولًا السورة ستيسر جدًا، هتلاقيك بتحفظها بسهولة جدًا وتحبها جدًا، وممكن تكون أكتر سورة تترك فيك أثر طيب في جزء قد سمع.

الحاجة التانية اللي هتستغربوها في السورة دي إن سأثبت لك أن هذه السورة كلها رقائق، وكلها تزكية، وكلها بتخاطب القلب والروح والنفس، مش الصورة الذهنية اللي عندك: الطلاق يبقى هي بتتكلم في أحكام الطلاق، فالموضوع كله إيه؟ جاء يعني أحكام كده. لا لا، بالعكس، ستجد فيها كمية رقائق وتزكية وتربية وأحوال قلوب وتعرّف على الله، عجب عجب عجب في السورة دي بالذات، خلاف تمامًا التصور اللي أنت كنت بتتوقعه.

مستعدين نشوفوا السورة وجمالها ومفاجأتها والتربية اللي هناخدها فيها؟ يلا بينا.

كالعادة هنقرأ الجزء اللي هناخده النهاردة، وبقراءة حفص عن عاصم هنقرأ بمد المنفصل. وتوعدوني إن شاء الله إن أنتم تحفظوها.

النهاردة هناخده كم آية؟ هي السورة كلها على بعض 12 آية، بس الآيات الأولى طويلة شوية، فإحنا هناخد النهاردة تلات آيات فقط، تخيلوا، تلات آيات فقط، اللي هي أغلب الصفحة الأولى يعني، مش هنكمل الصفحة الأولى قوي، هناخد أغلب الصفحة الأولى بس هي سبحان الله تلات آيات، سناخد فيهم أكتر من ساعة لعظم ما فيها من الكلام والأحكام.

يلا نقرأ، وبعد كده نستعين بالله ونتوكل عليه، وطبعًا ك العادة ننتوي نية صالحة طيبة في أول مجلس العلم، رجاء أن ربنا يفتح علينا ويشرح صدرنا وييسر القول على ألسنتنا وينفعنا ويرزقنا الهداية، وننتوي العمل بالعلم قبل أن نتعلم.

يلا بينا:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرٗا (1)

فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا (2) وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا} (3)

آيات عظيمة من هذه السورة الطيبة المباركة، سورة الطلاق. هيا بنا ننطلق في فهم وتدبر هذه السورة مستعينين بالله سبحانه وتعالى.

أولًا: السورة مدنية بلا خلاف. سورة الطلاق سورة مدنية بالإجماع.

تدور السورة حول الآتي:

أولًا: تأتي السورة في أولها تتكلم عن أحكام متعلقة بالطلاق وما يترتب عليه.

وتأتي أيضا في بدايات السورة تتكلم عن عاقبة من استقام والتزم بأحكام الطلاق، ووعد الله تعالى له أن يجعل له مخرجًا، وأن يرزقه من حيث لا يحتسب، من باب التحفيز للالتزام بأحكام الطلاق، اللي عادة بتكون ثقيلة على النفس.

وبعد كده اتكلمت على أحكام متعلقة بالعدة، وكيف تعتد المرأة وتحسب عدتها إزاي. طب لو هي امرأة مش بتحيض، زي الكبيرة في السن أوي أو الصغيرة اللي لم تحض بعد بتحسب عدتها إزاي؟

وبعد كده اتكلمت على أحكام متعلقة بالسكنى للمرأة، ومتعلقة بأحكام الإنفاق على المرأة الحامل، والإنفاق على المرأة المرضعة.

وبعد كده انتقلت إلى بيان ضرورة طاعة الله وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام.

لأن موضوع الطلاق برضه ثقيل على النفس، أحكامه يعني. فبيَّنت ذلك، قال تعالى:

{وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ۝ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرٗا}.

وبعد كده دعت إلى طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وذكرت المنة بإرسال الرسول عليه الصلاة والسلام:

{رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ}.

ثم بشَّر سبحانه وتعالى:

{وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ }،

مبيِّنًا أن ده أحسن رزق يؤتاه الإنسان:

{قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقٗا}.

هذا إجمالًا موضوع سورة الطلاق.

يلا بنا نبدأ بأول مقطع من السورة، ربنا بيقول للنبي عليه الصلاة والسلام:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}.

يبقى الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام. طيب هنا في حاجة أول حاجة بنلاحظها في مطلع السورة إن ربنا بدأ بالنداء للنبي عليه الصلاة والسلام. طبعًا ده فيه توقير للنبي عليه الصلاة والسلام. لا نجد في القرآن أبدًا: يا محمد، يعني سبحان الله.

هنا يظهر الفارق بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين غيره من الأنبياء والرسل.
فإن الله سبحانه وتعالى كان ينادي جميع الأنبياء والرسل بأسمائهم: يا موسى، يا نوح، يا إبراهيم، يا عيسى، دائمًا يناديهم بأسمائهم، إلا النبي عليه الصلاة والسلام. فهذه السورة بتبيّن قدر النبي عليه الصلاة والسلام عند الله، وهذا النداء بلقب النبوة بيبيّن اختلاف النبي عليه الصلاة والسلام عن غيره من الرسل عند الله تعالى، وأن شأنه أعلى من جميع المرسلين، وأن الله خصَّه دونًا عن سائر المرسلين أنه ما خاطبه أبدًا إلا بلقب النبوة أو الرسالة، فما قال أبدًا: يا محمد في القرآن.
الشاهد يعني أن ده بيبيّن لنا قدر النبي عند الله. طبعًا السورة دي بتمشي في نفس المسار اللي شفناه في جزء قد سمع في بيان قدر المرأة عند الله تعالى، وكرامة المرأة عند الله تعالى، وعلو حقوق المرأة، لأنها ضعيفة عند الله تعالى.
والنبي عليه الصلاة والسلام معلوم أنه قبل أن يموت كان يوصي بالمرأة، قال:
«اتقوا الله في النساء».
وكان يوصي بما ملكت أيمانكم، وقال:
«إني أُحَرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة».
طيب نرجع تاني للسياق:
{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ}.
هنا ممكن حاجة تلفت انتباهك: وربنا يقول يا أيها النبي، المفروض يقول: إذا طلقت. هو ده الكلام للنبي ولا المؤمنين؟ طب لو طلقتم يبقى يقول: يا أيها الذين آمنوا إذا طلقتم، أو يا أيها المؤمنون إذا طلقتم، أو يا أيها النبي إذا طلقت.
فليه ربنا قال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ}؟
هنا العلماء بيقولوا إن ده له معانٍ. أحد المعاني: بيان أن الأمر للنبي عليه الصلاة والسلام هو أمر لسائر المؤمنين، وهذه من الأدلة اللي بيستدل بها الأصوليون على أن كل أمر أمر الله به النبي صلى الله عليه وسلم هو بالتبعية أمر للمؤمنين، إلا إذا دل دليل على أن الأمر ده خاص فقط بالنبي عليه الصلاة والسلام، زي ما في سورة الأحزاب:
{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ}(الأحزاب: 50)
يعني الزيادة عن أربع أزواج كان هذا خاصًّا بالنبي عليه الصلاة والسلام، ويقول:
{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ}(الأحزاب: 50).
وديه المسألة اللي هي إنه ممكن النبي يتزوج بدون ولي، بدون مهر، بدون شهود، بمجرد أن امرأة تهب له نفسها فيوافق يحصل الزواج، وهذا من تيسير أمور النبي عليه الصلاة والسلام عند الله، وهذا كان خاصًّا بالنبي عليه الصلاة والسلام فقط.
الشاهد يعني أن في أحكام ممكن تكون متعلقة بالنبي عليه الصلاة والسلام بس، لكن ما يثبتش ذلك إلا بدليل. طب ما فيش دليل وربنا بيأمر النبي عليه الصلاة والسلام بأمر ما؟ يبقى ده أمر لسائر المؤمنين. مش لازم نقول: لا، هو بيقول للنبي، ما قلناش، طالما قيل للنبي فبالتبعية الكلام ده لينا. إيه الدليل؟

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ}

المعنى التاني اللي بيتكلم فيه أهل العلم: بيقولوا إن ربنا بدأ بخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام. ليه بقى؟ لأن الأمر القادم ثقيل على النفوس. طبعًا معلوم إن لما يحصل طلاق بيبقى فيه نزاع، فيه مشكلة، فيه يعني عدم تفاهم بين الطرفين. فالتزام الإنسان بالتقوى وأحكام الله سبحانه وتعالى في حالة الطلاق مش سهلة، محتاج ناس بقى يعني عالية قوي، أو نشد عليهم بقى جامد في الموضوع. فكأن ربنا بيخاطب النبي بالأحكام دي علشان يعلي مستوى الخطاب، وعلشان يعظم الأمر بتوجيهه للنبي عليه الصلاة والسلام، وبالتالي من دون النبي عليه الصلاة والسلام يهتم أوي للي جاي ده، علشان يتقال: ده النبي يتقال له كده، يبقى ركّز بقى؛ لأن واضح إن الموضوع كبير. فلأنه سبحانه وتعالى أراد رفع شأن الأمر فخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم.

وده يرجعنا تاني إن المرأة تتشرف بذلك، لما ربنا أراد إن هو ينبه أهل الإيمان على أحكام متعلقة بالنساء، خاصة المرأة المطلقة، خاطب النبي صلى الله عليه وسلم. هذا فيه تشريف كبير للمرأة؛ إنها تجد إن الخطاب كان يُخاطَب به النبي عليه الصلاة والسلام مراعاةً لحال المرأة المطلقة، ومراعاةً للحزم مع الرجال في تنفيذ ما سيأتي من أحكام؛ لأنها عادةً بتكون، زي ما قولنا، ثقيلة على النفوس.

وده ينقلنا لتدبر كده عجيب، يعني حاجة ممكن ما فيش حد بيننا خد باله منها كتير: إن السورة دي صفحتين بس. أزعم إن دي أكتر سورة في القرآن في صفحتين جه فيها الأمر بالتقوى. حد أخذ باله من الموضع ده؟ بل لو أقول لك الصفحة الأولى، خلينا في الصفحة الأولى بس، فيها أربع مرات كلام على التقوى، أربع مرات الكلام على التقوى في صفحة واحدة.

لاحظوا، هيأتي معنا:

1- {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ}.

2- {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا}.

3- {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا}.

4- {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا}.

أربع مرات يتكلم على التقوى في صفحة واحدة. ليه؟ لأن الكلام على الطلاق، ومش أي حد بيتقي ربنا في الطلاق. وطبعًا الواقع بيشهد بذلك، وإحنا بنشوف مآسي، مش بقول بقى من ناس مش ملتزمة، بل من ناس ملتزمة في الظاهر. هو المفروض إن هما يعني ناس صالحين في الظاهر، لكن ساعة الطلاق فعلًا المعادن بتظهر، وفعلًا بيبان معدن التقوى في الطلاق.

إن الناس أغلبها في الفرح عادي تتقي الله؛ فساعة الجواز بيدوروا بقى على الأحكام الشرعية: نعمل إيه يا شيخنا في الزواج، وسنن الزواج، وهات لنا المشايخ، وعايزين نعمل خير، وعايز أدبح، وعايز أعزم الناس، يعمل كل حاجة كويسة. ما إحنا فرحانين. إنما التقوى في ماخالف الهوى، وليس في ما وافق الهوى.

طبعًا أنت أصلًا كده كده عايز تتجوز، لكن أنت مطلّق وتقيل على نفسك أوي تؤدي الحقوق إلى أهلها. أنتِ مطلَّقة وعايزة تنتقمي من اللي طلقك، لكن في حقوق وفي واجبات لازم نلتزم بيها. هنا التقوى بتبان.

علشان كده ربنا سبحانه وتعالى عمل حاجتين:

أولًا: خاطب النبي عليه الصلاة والسلام بالأحكام اللي جاية عشان كله يخاف، وكله يعمل حساب الموضوع اللي جاي كبير. النساء والرجال انتبهوا، اللي جاي كلام كبير، تمام، فخاطب النبي عليه الصلاة والسلام.

ثانيًا: ذكر التقوى كتير جدًا في نفس الصفحة دي، عشان ينتبه الناس إن الأحكام اللي جاية لن يفعلها إلا أهل التقوى، وعلشان يشجعك على التقوى. بص بقى يقول لكم: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا} ، {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا} .

أنا قاعد أحفزك؛ لأن ربنا يعلم إن الموضوع ثقيل على النفوس، فالموضوع يحتاج إلى تحفيز، والتحفيز ده في باب التقوى؛ لأن مش هيلتزم بالأحكام دي إلا التقي بس، أي حد عنده نقص في التقوى هيبان على طول ساعة الطلاق.

وده بيبين لنا ناس كتير حوالينا فعلًا واضح إنهم لا يتقون الله سبحانه وتعالى، سواء رجال أو نساء طبعًا، في مسألة الطلاق؛ عشان ما نحملش الأمر على الرجال فقط برضه. في رجل عايز يطلق شرعي، والمرأة بقى بتنتقم. هنشوف صور معينة، وهنقول، وهنشوف قد إيه فعلًا مَحِل التقوى في الطلاق، مش في الزواج، وإن مربط الفرس اللي بيبين فعلًا حال الإنسان بينه وبين الله هو في الطلاق، وبيبين معدن الناس في ذلك.

طيب، يبقى إحنا عرفنا ليه الكلام كان مع النبي عليه الصلاة والسلام بشكل مباشر كده:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ}.

نعمل إيه يا رب؟

{فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}.

يعني إيه بقى: {فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}؟

لعدتهن دي برضه ما تتفهمش ده، نفهمها بقى: فطلقوهن لعدتهن يعني طلقوهن وهن مستقبلات العدة.

فطلقوهن لعدتهن أي وهن مستقبلات العدة، يعني طلقها في الوقت اللي هي تقدر فيه تعد العدة بتاعتها.

هي المرأة العدة بتاعتها بتتحسب بإيه؟ الراجح — والله تعالى أعلم — أن العدة بتتعد بالحيضات:

{وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ}.

يعني ثلاث حيضات، والله تعالى أعلم، على الراجح من أقوال أهل العلم.

يبقى المرأة لما بتيجي تحسب عدتها بعد الطلاق بتحسبها إزاي؟ بعد ثلاث حيضات، انتهت الحيضة الثالثة بانت من زوجها تماما. في الفترة دي هي زوجة لسه زوجة، بعد ما تنتهي الثلاث حيضات خلاص تنفصل تمامًا عن زوجها، بانت منه بينونة تامة.

طيب، فأنا لما أقول لك: طلقها وهي مستقبلة العدة، يعني هتبدأ تعد، يبقى أنا فين دلوقتي؟ أنا في الطهر؛ لأن اللي جاي الحيض، فهبدأ أعد.

يبقى معنى الآية: ما تطلقش زوجتك في الحيض؛ لأن أنت لو طلقتها في الحيض يبقى هي مش مستقبلة للعدة؛ لأن اللي جاي إيه؟ لأن الحيضة مش هيتحسب، اللي جاي طهر، وبرضه مش هيتحسب، هتستنى بقى الحيضة اللي بعد الطهر ده عشان تبتدي تحسب.

يبقى أنت طولت عليها العدة وأذيتها.
فلما تُطلَّق الزوجة وهي حائض لا يجوز، يحرم أن يطلق الرجل زوجته في حيض؛ ليه؟ لأنه مخالف للأمر. ربنا قال: {فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}، يعني إيه لِعِدَّتِهِنَّ؟ يعني وهن مستقبلات العدة، يعني وهي داخلة، يعني طلقها في وقت يكون المرحلة الجاية ستبدأ في عد العدة بتاعتها.
وإحنا قلنا العدة بتتعد إزاي؟ بالحيضات. يبقى أنا عشان أقول أطلقها في وقت المرحلة الجاية تبتدي تعد العدة، يبقى أنا بطلقها بالفعل في طهر، فتبقى هي داخلة بقى على حيضة، تبقى دي: واحد، اتنين، تلاتة، خلاص.
لكن لو أنا طلقتها في حيض يبقى مش مستقبلة العدة كده؛ لأن اللي جاي طهر، والطهر ما بيتحسبش، إنما القروء بتتحسب بالحيضات. يبقى هتعدى الطهر ده كمان وتبتدي العد من أول حيضة، حيضة بعد الحيضة دي تبتدي: واحد، اتنين، تلاتة. يبقى العدة طالت عليها، وحصل إيذاء للمرأة.
شوفوا بقى ربنا بيأمر بأمر عشان المرأة ما تتأذاش بإطالة العدة. ما أرحم الله سبحانه وتعالى بعباده وعلمه بعباده. المرأة قد تحتاج إلى زوج آخر بعد انتهاء العدة، فليه نطول عليها العدة؟ من حقها تتزوج إذا بانت من زوجها تمامًا. فهي من حقها إنها تتزوج، فلماذا يُؤخر عليها حقها؟ وليه تضرها بأنك تطلقها في الحيض؟ يبقى: {فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}.
يبقى الحكم الأول اللي فهمناه من الآية دي إنه لا يجوز للإنسان أن يطلق زوجته وهي حائض. خلينا نقف مع ده شوية.
إحنا قلنا أحد الحكم في عدم جواز تطليق الإنسان زوجته وهي حائض: ألا تطول العدة عليها.
في حكمة تانية، وهي إن ربنا منع من ذلك لأن أصلًا في فترة الحيض المشاكل بتكثر أحيانًا بين الزوج والزوجة. ليه؟
أحيانًا الزوجة بتتغير في فترة الحيض، وده ما بيفهموش الرجال.
المرأة بيبقى عندها الدورة يعني، فده أحيانًا بيعمل لها مغص، بيسبب لها اضطراب شوية في الهرمونات، فبتبقى مش في المود — زي ما بيقولوا كده — مش في أحسن حال، فبتبقى متوترة، تبقى عصبية. فضلًا إنها بقى ما بتصليش في الفترة دي، فيعني بيجتمع عليها أسباب ممكن تخليها مش أحسن حاجة.
فممكن تبقى عصبية شوية في الفترة دي، ممكن خلقها ضيق شوية، ممكن تقول كلام يعني ما بتقولوش في العادي، ممكن ما تستحملش حاجة كانت تستحملها في الطبيعي. فالرجل مش مستوعب، فيلاقيها بتعامله مثلًا معاملة مش زي ما كانت بتعامله قبل كده، أو ردت عليه مرة، أو قالت له: أنا مش قادرة أعمل، أو قالت له: أنت مش حاسس بيا، أنا عندي مغص ومش قادرة أقوم. فالراجل مش فاهم، يعني، فتعصب عليها، تعصبوا على بعض، راح مطلقها. فربنا بيمنع أصلًا الطلاق في الحيض.
طب أنا عايز أطلقها أعمل إيه؟ استنى الطهر، وبعد كده أطلقها.
فضلًا عن حكمة تانية: إن في الفترة دي — غير بقى اللي قلته — إن مفيش أصلًا جماع، يعني الراجل ممنوع من جماع المرأة.

ممكن يباشرها، ممكن يداعبها، ممكن يقبلها، دي مش مشكلة، لكن الجماع — الجماع اللي هو الفرج في الفرج — ده ممنوع فترة الحيض.
وبالتالي كمان الحاجة اللي بتلطّف الجو بين الزوجين وبتبقى حل لبعض المشاكل وبتخفف الجو شوية مش موجودة. فاجتمع كمان درجة من التوتر بين الطرفين أو عند المرأة مع مفيش حتى فرصة إن يحصل جماع، فالراجل بيبقى نفسه في المرأة وعارف إنه ممنوع منها، فهو نفسه كمان بيبقى متضايق ومتوتر.
فتخيل بقى اجتمع الطرفين دول، فوارد جدًا يحصل مع أقل مشكلة أكبر رد فعل، فيما عدا ذلك ممكن تلاقي الأمر أهون. في الطهر المرأة بتبقى أهدى وأحسن وأروق. في الطهر الرجل ممكن يعني مثلًا هيحصل جماع بالليل ولا بتاع، فيعدي مشاكل علشان العلاقة والكلام ده، أو حتى لو زعلوا الصبح يتصلحوا بالليل، يعني لو فيه بينهم علاقة ولا حاجة.
فيه حل. الطهر فيه حلول كتير. فربنا منعًا للآثار السلبية للحيض دي اللي ممكن تؤثر على علاقة الزوجين قال له: ما تطلقش في الحيض خالص.
طيب أنا عايز أطلق، أعمل إيه؟ استنى الطهر وطلق. وطبيعي طبعًا، على ما بييجي الطهر بقى بعد 5 أو 6 أو 7 أيام يكون هدِيَت. وطبعًا أول ما الطهر بييجي بقى الراجل أصلًا مشتاق لزوجته، فيروح بقى ممكن راغب فيها، فيحصل جماع ولا حاجة، فينسى ويهدأ وموضوع يعدي وخلاص.
شوف بقى حكمة الشرع في إن ما ينفعش تطلق في الحيض. غالبًا مش هتطلق. ممكن ساعتها تقول: طب أنا بقى عارف إن ما ينفعش أطلق. طب لما ييجي الطهر هطلق. ييجي ساعة الطهر يكون ناسي، اتكلمنا مع بعض، هزرنا، بتاع، حصلت علاقة، خلص الموضوع.
شوف حكمة ربنا في إن ما ينفعش أطلق أصلًا في الحيض.
وفي نساء ما شاء الله يعني، عشان برضه ما نتكلمش على جميع النساء. في نساء في الحيض زي الطهر، اللهم بارك، تعرف إن هي مهما حصل هي عارفة إن هي وارد تتغير في الفترة دي، فبتقول: زوجي مالوش ذنب في اللي بيحصل فيَّ، فأنا مش هطلع عليه الحاجة دي. علشان كده إحنا بنخاطب الطرفين بقى.
يعني دي من الحاجات الجميلة اللي بنتعلمها في السورة الكريمة دي: إن في رسالة للطرفين.
أيتها المرأة الطيبة، إذا جاء الحيض وحصل لك ظروف، وإحنا مراعين ظروفك وكل حاجة، بس رجاءً حاولي تتحكمي في التغيرات دي، وحاولي الزوج ما يحسش بالتغيرات دي؛ لأنه فعلًا ممكن ما يقدرش الموضوع ده، فما تحملهوش ما لا يدركه. نحاول يعني.
ورسالة إلى الزوج: أيها الزوج الكريم الطيب، زوجتك في فترة الحيض مش هي زوجتك في فترة الطهر، فلازم تدرك أن في تبعات لهذه الفترة، وأن هي مش هتبقى أحسن حاجة، وأن هي تبقى متعصبة شوية، متوترة شوية، فرجاءً يعني تعاون معها، خفف عنها الأحمال شوية، استحملها شوية، عدي حاجات بتحصل في الفترة دي، وما تاخدش أي قرار أبدًا في فترة الحيض، وحافظ على بيتك.
طيب، يبقى الطلاق الأول اللي حرام: إن يطلقها في الحيض.
في طلاق تاني برضه حرام: "أن يطلقها في طهر جامعها فيه".
تاني: إن يطلقها في طهر، ولكن الطهر ده جامعها فيه.

فلو كان في فترة الطهر حصل جماع بين الزوجين، يبقى حرام يطلقها في الطهر ده، وهييجي بعدها الحيض، حرام يطلقها في الحيض.
لو عايز بقى تطلق، تطلقها في الطهر اللي بعديه، اللي أنت ما جمعتهاش فيه. قبل ما تجامعها تكون طلقتها. لو جامعتها ما ينفعش برضه تطلقها في الطهر ده.
تخيلوا الأحكام دي، في رجالة متعرفش حاجة عن الأحكام دي، بل فيه نساء متعرفش حاجة عن الأحكام دي برضه.
طب ليه ما طلقهاش في الطهر اللي جامعتها فيه؟ لسبب وجيه: إن لو أنت الطهر ده جامعتها فيه، مش ممكن يكون حصل حمل؟ ممكن.
طيب، المرأة دلوقتي هتعتد بإيه؟
لأن المرأة الحامل، زي ما نشوف المرة الجاية، بتعتد بوضع الحمل.
لو هي حامل، عدتها حتى لو أطلقت وهي حامل، العدة بتاعتها وضع الحمل.
طيب لو هي مش حامل؟
يبقى عدتها 3 قروء، 3 حيضات.
طب أنت دلوقتي جامعتها لسه في الطهر ده، يعني لسه مش باين الحمل هيبان ولا لأ. دلوقتي روحت طلقتها، هي تعتد بإيه دلوقت؟ تعتد بالحيضات؟ طب افرض الحيضات اتأخرت عليها، فهي مش عارفة: اتأخرت ده طبيعي ولا أنا حامل؟ يحصل اضطراب للمرأة ولغبطة، هي مش عارفة إلى الآن، لغاية ما يثبت حملها، مش عارفة هي تعتد بإيه.
فلذلك نهى الشرع أن يطلق الرجل امرأته في طهر جامعها فيه، وهذا عليه إجماع العلماء، وهجيب لكم الدليل دلوقتي بس كمان شوية لما أجيب لكم حديث ابن عمر.
يبقى إذًا الطلاق الوحيد المسموح به: إن هو يطلقها في طهر لم يجامعها فيه.
فعندنا حاجة اسمها الطلاق السني والطلاق البدعي.
الطلاق السني: أن يطلق رجل زوجته في طهر لم يجامعها فيه.
طيب إيه الطلاق البدعي اللي هو الحرام يعني؟ أن يطلقها في حيض، أو يطلقها في طهر جامعها فيه.
تمام، وفيه أنواع طلاق تانية خارج الموضوع ده: إذا طلق الرجل امرأة لم يدخل بها أصلًا، يطلقها في أي وقت، مش فارق؛ لأنها ملهاش عدة أصلًا.
تمام، أو يطلق امرأة لا تحيض، زي الصغيرة أو اليائسة من المحيض، برضه دي بيطلقها في أي وقت؛ لأن هي كده كده مش بتحيض.
فالاتنين: المرأة اللي غير مدخول بها ممكن يطلقها في أي وقت، حتى في فترة الحيض بتاعتها؛ لأنه كده كده هي ملهاش عدة، تنفصل فورًا عنه.
أو المرأة اللي مش بتحيض ينفع يطلقها في أي وقت؛ لأن هي برضه كده كده مش بتحيض.
ولكن المرأة بقى اللي بتحيض، هي دي اللي بنتكلم في الطلاق السني والطلاق البدعي.
وده اللي هينقلنا للمسألة اللي بعد كده:
طب لو هو طلقها في الحيض، أو في الطهر اللي هو جامعها فيه، هل الطلاق ده يقع ولا ما يقعش؟
إحنا قلنا إنه حرام، بس حرام يقع ولا ما يقعش؟

فيه خلاف من أهل العلم في المسألة دي. بعض أهل العلم قال: ما يقعش. قالوا ليه؟ قالوا إن هو بدعة، إن ده طلاق بدعي، مخالف للدين مخالف للشرع. وفي الحديث: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد". إذن الطلاق ده مردود، إذن الطلاق ده لا يقع. الكلام ده كلام وجيه، لكن القول الثاني أقوى؛ لأن القول الثاني معه دليل أقوى.

القول الثاني بيقول: لا، الطلاق ده رغم إنه حرام بس بيقع. طب ليه يقع؟ إيه الدليل عندكم إنه بيقع؟ قالوا: حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب. ورد أنه طلق امرأته في حيض، حصل فعلًا، واترفع الأمر للنبي عليه الصلاة والسلام. ومين اللي سأل؟ عمر سأل، طبعًا عبد الله بن عمر، يعني طلب من والده يسأل. فسأل عمر بنفسه النبي عليه الصلاة والسلام، قال له: ابني عمل الآتي، طلق امرأته وهي حائض، يعمل إيه؟

فقال عليه الصلاة والسلام، ركزوا بقى في النص ده، قال:

"مره فليراجعها، ثم ليتركها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن يطلق لها النساء".

فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن يطلق لها النساء.

تاني: النبي عليه الصلاة والسلام قال له إيه؟ قال له: "مره فليراجعها". يعني إيه فليراجعها؟ يعني يرجعها. ومعنى إن هو يرجعها إن هي إيه؟ إن هي أطلقت، أن الطلقة وقعت، وده اللي استدل به العلماء إن الطلقة وقعت؛ لأنه قال له: "مره فليراجعها". وطالما قال له: "مره فليراجعها"، هو حسب الطلقة دي، لو هي ما أطلقتش. إيه معنى يراجعها وهي لسه زوجة؟ أو لو هي لسه ما أطلقتش، قوله: "مره فليراجعها" دل على أن الطلاق وقع بالفعل.

يبقى دي أول حكم فهمناه من الحديث ده: "مره فليراجعها". هذا يدل على أن الراجح أن الطلاق في الحيض، أو في الطهر الذي جامعها فيه، تقع، ويأثم المطلق.

طبعًا اللي طلق في الحيض ده بيتعاقب. بيتعاقب بإيه بقى؟ بالآتي:

أولًا: لابد أن يرجعها، يجب عليه إن هو يرجع زوجته، والطلقة اتحسبت.

هيرجعها، هيعمل إيه بقى؟ طب أنا عايز أطلقها. هيقول له: لا، استنى بقى. هيقول له: خلاص يبقى طلقها في الطهر اللي جاي؟ لا، هتتعاقب على اللي عملته. قال له إيه؟ قال له: "ثم ليتركها حتى تطهر". طيب أطلقها؟ لا. "ثم تحيض، ثم تطهر".

يبقى إذًا بيعاقب اللي طلق في الحيض إن هو ملوش كمان إن يطلق في الطهر اللي بعد الحيض ده على طول. لو مصمم على الطلاق يبقى هيستنى طهر، ثم حيض، ثم طهر. في الطهر التاني ده من حقه، عايز بقى يطلق يطلق، ولو طلق هتبقى التانية.

قال له بعد الطهر التاني ده: "ثم إن شاء أمسك بعده، وإن شاء طلق قبل أن يمس". خلينا نقف مع كلمة "قبل أن يمس"، لأن هي دي الدليل اللي قلت لكم هقوله لكم، الدليل على إنه: "لا يجوز للإنسان أن يطلق امرأة في طهر جامعها فيه".

عشان كده قال له إيه؟ قال له: لما ييجي الطهر التاني، إن شاء أمسك، خلاص يسيبها زوجة عادي، وإن شاء طلق قبل أن يمس. معنى الكلام إنه لو جامعها في الطهر التاني ده، ما ينفعش إن هو يطلقها، وهيستنى الطهر اللي بعده، تمام؟

عشان كده قال: فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن يطلق لها النساء، اللي هي: {وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ}. يبقى فهمنا وعرفنا كمان بالمرة الدليل على الموضوع إن هو ما ينفعش يطلقها في طهر جامعها فيه.
طيب، طبعًا الكلام ده لو الطلقة دي الأولى أو التانية. طب لو افرض بقى طلق الطلقة التالتة في حيض؟ لا، خلاص، وأصلًا كده كده الطلقة التالتة هي تنفصل فورًا عن زوجها، وبالتالي ما فيش "فليراجعها"، لأنه ما أصلًا ملوش التالتة. هو عمل حرام، بس خلاص الطلقة الثالثة انحسبت، وانفصلوا تمامًا، وملوش أصلًا إنه هو يراجعها.
لكن عايزك تتأمل في حكمة الشرع. خد بالك، اللي إحنا قلناه ده قد يبدو لك عقوبة للمطلق، بس هو جواه رحمة، حتى العقوبة فيها رحمة. ليه؟ لأنه قال لك: وكأن اللي طلق في الحيض ده عنده سرعة رد فعل شوية، أو اندفاع شوية. دليل إنه طلق في الحيض، ما صبرش لغاية الطهر. يبقى الشخص اللي عنده اندفاع شوية، عصبية شوية، محتاج وقت أطول من غيره.
فإحنا بنضطره لوقت أطول، وكأن ربنا يريد انه يهدى، فيقول له: لا، ما تستناش الطهر اللي بعديه، ممكن يفضل عصبي للطهر اللي بعديه ويطلق وهو متعصب، لا يهدأ سريعًا. فيقول: لا، طهر، ثم حيض، ثم طهر. خلاص، بقى لما ييجي الطهر اللي بعدها، كده مهما كانت المشكلة هتكون هديت.
يبقى تأمل في حكمة الشرع في إجبار الزوج وتضييق الخناق عليه في وقت الطلاق. روعة. بقولك السورة دي ممتعة.
بيضيق عليه في وقت الطلاق. بيخليه مش لاقي فرصة يطلق. لازم طهر ما جمعاش فيه، وأصلًا نادرًا جدًا لما واحد زوج يوصل لمرحلة طهر مع زوجته بعد اشتياقه لها فترة الحيض، وما يكونش جامعها فيه.
فاللي هو مش هتلاقي يعني... يعني لا الحيض. طب والطهر؟ من أول يوم في الطهر جامعتها فيه، خلاص معلش بقى استنى اللي بعديه. على ما ييجي اللي بعديه تكون نسيت. فضيق عليه قوي المساحات اللي بيطلق فيها.
وعطاه فرصة طويلة إنه يهدى، وإن هم يتعاملوا مع بعض. وهي كمان الزوجة لو عارفة إن هو كان هيطلقها هتصلح على طول. لو قال لها: بص، أنا والله هطلقك، بس عشان ما ينفعش أطلقك في الحيض، أنا هستنى الطهر لما ييجي ومش عارف إيه، طبعًا هي هتتدارك برضه أمورها وتصالحه.
المهم نلحق الكلمة قبل ما تتقال. فاهمين الفكرة؟
فسبحان الله، يعني حكمة عظيمة جدًا. تخيلوا كم حالات الطلاق اللي ممكن ما تحصلش لو بس التزمنا بمطلع الآية دي. مش بقول الآية دي، مطلع الآية دي بس.
90% من حالات الطلاق مش هتحصل.
طب هل ممكن يطلق بعد كل ده؟ وارد. بس لو طلق بقى بعد كل ده، يبقى فعلًا ده قرار عقلاني، مش عاطفي. فهمتم؟ لأن أنا مش ممكن أفضل أصبر كل الفترة دي وبرضه أطلق، إلا لو القرار ده فعلًا عقلاني، وهو فعلًا الحل المثالي، والحياة فعلًا مستحيلة. لأن لو قرار عاطفي، لازم المدة هتغيره. لكن لو المدة الطويلة ده ما غيرتش القرار، يبقى هو ما كانش قرار عاطفي.

واحنا ما عندناش مشكلة إنك تطلق، بس يكون قرار عقلاني. زي قرار الزواج. طلاق زي الزواج. قرار بتاخده بعقل وحكمة، بتراجع نفسك، تستشير، بتسخير ربنا، بتفكر كويس، بتحسب حساباتك، وبعد كده بكل هدوء بتاخد قرارك. ده الطلاق اللي احنا بنفهمه.

إنما اللي بيحصل في الأفلام والمسلسلات والواقع ده، ده طلاق غريب. إن رد الفعل السريع ده، اللي بعديه الشخص بيندم، وفي نفس اليوم بيروح يسأل الشيخ: "ارجع زوجتي إزاي؟" ده تصرف غبي. آسف، بيهدم البيوت. انت عايز تطلق؟ ما تطلقش دلوقتي. فكر بالراحة حتى لو هي عصبتك، اقعد مع نفسك يوم،اتنين، تلاتة، واستشير، واستخير، واحسب حساباتك، وشوف هتعمل إيه بعد الطلاق. لقيته هو ده أنسب حل يا سيدي، والحياة مستحيلة؟ طلق، مش مشكلة، بس 90٪ مش هتطلق لو مشيت بالترتيب ده.

يا جماعة، القاعدة الأساسية للطلاق: ما ينفعش يكون رد فعل. الطلاق فعل زي الزواج كده. ينفع واحد كان فرحان شوية فراح تزوج أول واحدة قابلها؟ تقول لي: "هو في حد يعمل كده؟" الزواج عايز تفكير.

نفس الفكرة. انت تعصبت شوية، رحت طلقت مراتك، ده نفس الكلام. يعني نفس الفكرة.

بقول لك: واحد دلوقتي، مرة واحدة لقى نفسه فرحان، أول واحدة قابلها تزوجها. هو في كده؟ تقول لي: "ده مجنون ده ولا إيه؟" هو معنى أنه فرحان يروح يتزوج أول واحدة، نفس الفكرة.

انت معجبكش؟ دي طبعا انت طلقت لما كنت غضبان، يبقى ساعة الغضب، احنا ما نطلقش أصلا. "لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان"، صح؟ "لا تغضب". يبقى الواجب على الإنسان عند الغضب من قواعد استقرار البيوت: لا ردود أفعال عند الغضب.

تاني، وده الخطاب لرجل وامرأة من قواعد استقرار البيوت: لا ردود أفعال عند الغضب، ممنوع أي قرار عند الغضب. اغضب واهدأ، وخد القرار اللي انت عايزه، بس ما تخدش قرار عند الغضب.

طيب، وده يدل على أهمية سؤال أهل العلم قبل الطلاق. نادر جدًا أن تجد حد بيجي يسألك قبل الطلاق، بس يقول لك: "أنا عايز أطلق مراتي، إيه اللي أنا هعمله، ده صح ولا غلط؟" وعادة بيسألك بعدها. وعادة بيكون بوظ الدنيا تمامًا. ودور له انت بقى على مخرج، وعايزك تطلعني منها، أعمل لك إيه؟ انت ورطت نفسك. جاي دلوقتي تسألني: عايز الشيوخ يطلعوك؟ اللي بيسأل بيسأل قبل، مش بعد.

انت مش عارف دلوقتي الطلاق بتاعك ده سني ولا بدعي، مش عارف إيه نتائجه أو عواقبه، طلقت ليه؟ مش تسأل الأول، اروح أسأل الشيخ، واخد رأيه واستشيره، واعرف الأحكام المترتبة على الطلاق ده، وبعد كده طلق. ما مفيش أي حاجة كده.

وبقى في حاجة تانية: إن هو يطلق وبعد كده يدور على المفتي اللي يفتيه على مزاجه، اللي هو التساهل في اختيار المفتي، عارف فيه مفتي معين بيقول لك دايما: "إيه؟ روح خد مراتك، روح حط فلوس في الصندوق، وروح"، آه تمام، لا، مفيش حاجة حصلت. لأ، حتى لما بتستفتي، تستفتي من تثق في دينه، ده مسألة فروج واعراض، تثق في دينه. اللي يقولون لك: "تقبلوا، هذا شرع الله"، والكلام منتهي.

وبعد كده ربنا قال: {فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}. شوف، كل الكلام ده بيتكلم في الجملة دي.

قال: {وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ}. يعني ايه {وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ}؟ احصوا العدة يحسبوها صح. العدة تتحسب ازاي؟ تتحسب بالحيضات.

طيب، يا أيتها المرأة، عارفة حيضاتك؟ عارفة تحسبيها ازاي؟ عارفة علامة الحيض؟ عارفة علامة الطهر؟ عارفة انت مميزة ولا معتادة، ولا ظروفك إيه؟ في بعض النساء ما تعرفش تحسب الحيضة بتاعتها، أو ما عندهاش علم بباب الحيض. لو نيجي نشرح باب الحيض. بعض الرجال يقول لك: "أنا هعمل إيه بباب الحيض؟" ده ربنا قال: {وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ}.

انت لازم تتعلمه، عشان تعرف زوجتك تحسب صح ولا لا. لأن ده مترتب عليها أحكام متعلقة بيك. هي كده، امتى هتبقى مش زوجتك؟ لأن فيه فترة، هي هتفضل معاك في الفترة دي، خلص العدة، لازم تتفرق. امتى بقى تنتهي؟ اللي هي حاجة متأثرة بيك انت، يبقى لازم الرجل يتعلم أحكام الحيض عشان يعرف يحصي عدة زوجته، ويعرف العلامات، ويتابعها، ويتأكد إنها بتنفذ صح، وهي طبعا ياء مخاطبة من باب أولى بالموضوع ده.

هذا في وجوب طلب هذا العلم على الرجال والنساء.

{وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ} تقولك: ما تخدعيش في العدة، احصوا العدة تقولك: اتقوا الله في العدة. لإن بعض النساء بعد الطلاق تكدب في العدة، فهي عايزة تنجز، عايزة تتزوج واحد، فتقول لهم: "أنا خلاص خلصت الثلاث حيضات"، وهي ما خلصتش. ما هو مين هيحاسبها تمام؟ أو تبقى حامل وتقول أنا: "مش حامل"، عشان عارفة إن لو قالت حامل، العدة تطول قوي. تمام؟ فتقول لهم: "أنا مش حامل وخلصت الثلاث حيضات".

ربنا بيقول في سورة البقرة:

{وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ}.

ثم قال تعالى: {وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ}. يا الله، أول بقى أمر بالتقوى اهو: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ}. بص، أصلا جايه أعلى درجة من الصيغة، لم يقل "اتقوا الله"، ولا قال "اتقوا ربكم"، لأ، أعلى صيغة، خد بالك، تحذير شديد من الله: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ}، مبتحصلش كتير دي، مبتتقالش بالصيغة دي كتير. اعرف خطورة الموضوع، اللي بيطلعوا وبيتسالوا في الأحكام وبيضربوا بعض وبيسرقوا بعض، {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ}.

طيب، بعد كده ربنا قال لنا إيه؟ قال لنا نصيحة تكتب بماء الذهب: {لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ}. يعني إيه؟ لا تخرجنهن من بيوتهن يعني ما تطلعهاش من البيت، ما تطلعش، المرأة بتعتد عدة الطلاق في بيت الزوج، لأنها زوجة، لا يجوز تخرج من بيت الزوجية. يعني تاني، المرأة في الفترة بعد الطلاق لغاية ما تنتهي العدة بتاعتها، اللي هي ثلاث حيضات زي ما قلنا، لا يجوز. ولو هي حامل، العدة بتاعتها إلى انتهاء الحمل، ولو هي ما بتحيضش ولا بتحمل، العدة بتاعتها ثلاث شهور، زي ما نشوف المرة الجاية.

طيب، في الفترة دي، اللي هي فترة العدة، يجب على المرأة أن تمكث في بيت الزوجية، لا يجوز أن تخرج من هذا البيت. مينفعش بقى جوزها طلقها، تروح تقعد عند أهلها، لا يجوز، أو أهلها ييجوا ياخدوها، يقول: "لا تعالي اقعدي عندنا"، لا يجوز، حرام، العدة تكون في بيت الزوجية إلى أن تنتهي العدة ساعتها بقى يفارقوا، ويشوف كل واحد هيروح فين.

فلو هو البيت أصلا بيتها، يبقى خلاص هو بيتها كده كده، لكن لو هو مش بيتها، ليه ربنا قال {بيوتهن}؟ العلماء بيقولوا: "نسب البيت إليهن لأنهن المنتفعات به". لأن في الحقيقة، أنت لو تأملت، زوجتك هي اللي منتفعة بالبيت، دي مملكتها. المرأة غالبا بتبقى ربة منزل، تقول لك: "دي مملكتي، البيت ده مملكتي". ازاي تطلعوني منه وأنا لسه زوجة؟ ده بيتي، دي مملكتي، ما أطلعش منه طالما أنا لسه زوجة.

تمام، المرأة بتبقى عارفة كل شبر في البيت، ده أنت مش عارف هدومك فين. يعني أنا أزعم أن كل الرجال اللي بيتفرجوا عليا دلوقتي، والزوجات عارفين، انت ممكن مش عارف شرابك فين، هي اللي بتجبولك كل مرة، وهي اللي عارفة مكانه، وهي اللي عارفة فين هدومك الشتوي وهدومك الصيفي. فهو بيتهم، يعني سبحان الله، وكأنه برضه في نوع من ترقيق القلوب للرجل، أن ما تطردهاش، مش من حقك، ده بيتها، هو ايو مش ملكها بس ده مملكتها.

ازاي تطلع من مملكتها بدون أن يأذن لك الله بذلك؟ ما ينفعش، لا أنت تتعصب وتقول لها: "تطلع من البيت"، تقول لها: "اطلعي اقعدى عند أهلك"، ولا هي تمشي. عشان كده قال لها: {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ}.

لا، أنت تطلعها، ولا هي تطلع، ولا أهلها ياخدوها، ولا تسيبوا بعض.

طب ليه؟ احنا متخنقين، وقال لك الحكمة برضه، إذا رجعنا تاني للحكمة، شوف ربنا سبحان الله، شوف حرص الله أو إرادة الله في بقاء البيوت، عمل كل الأحكام دي عشان يضيق علي المطلق بعد ما طلق، عمل له حكم تاني.

طب انت طلقت خلاص، طب تعالى بقى زوجتك هتفضل زوجتك لغاية ما العدة تخلص، وتفضل قدامك وما ينفعش تطلع من البيت. طب ليه؟ رجاءًا أن انتو ترجعوا لبعض.

ما لو فضلت قاعدة في البيت، هتقعد ثلاث شهور مثلا في المتوسط يعني، مش معقول يعني، هيقعدوا الثلاث شهور يعني، أكيد هيحصل بينهم مجاملة، كلمة حلوة، أكلة حلوة، يعني موقف يفكروا تاني، يقعد يبص لها كده، يقول: "يعني أنا تسرعت"، هي برضه تصالحه أي حاجة، يعني ما، أكيد هم عارفين أن خلاص هنتفرق، الفترة هتخلص، هنتفرق، بيحصل مراجعة.

لكن لو احنا بعدنا عن بعض، اه، يحصل تسخين، طالما هي مش قدامي، أنا بقعد أغلي، هو مش قدامها، هي بتغلي، وأهلها يسخنوها عليه، وأهله يسخنوه عليها، ويدخل ناس في النص، صح، ونصايح غلط.

ودايما يا جماعة بنقول قاعدة في المشاكل دي: خدها قاعدة، "في المشاكل اللي بين الزوجين، ما تتدخلش بسرعة". ليه؟ لأن عادةً بين الزوجين من الكيمياء والتفاهم ما لا يفهمه أحد، فتبقى انت شايف مشكلة مشتعلة نار نار، وبيقول لك: "تعالى اتدخل"، أنا عادة في المشاكل دي بقول لهم: "طب أجيلكم بعد بكرة، أحاول أسيب وقت"، غالبا بعد بكرة بيكونوا تصالحوا.

مع أن المشكلة اللي يسمع يقول: "دي ملهاش حل"، بس أنا بقى فاهم، بين الزوجين كيميا معينة، يعني هي عارفة سكته، وهو عارف سكتها. هو شايل لها جمايل، وهي شايلة له جمايل. وهي سامحته قبل كده، وفكرة له حاجة، وهو سامحها قبل كده، هما بيعرفوا يصفوها، ملكش دعوة، انت اطلع منها.

عشان كده لما زوج طلق زوجته، يعني بص، وصلنا لمرحلة صعبة جدا. ما يجيش واحد يقول: "لا، الصح ناخدها عندنا"، لا سبهم، اسبهم! ده طلقها. أيوه، سبها، هيرجعوا لبعض، 90٪ هيرجعوا لبعض.

هتقول لي: ده ضاربين بعض بالجزم، ده شتمها وشتمته، ملكش دعوة. مستحيل يرجعوا؟ بالنسبة لك انت الموقف ده مستحيل يعدي. بس بالنسبة لهم، هو هيعدي. هيعدي ازاي؟! ما تسألش، هتلاقيهم بعد أسبوع، بيقولوا احنا تصالحنا وانا رجعتها.

شوف حكمة ربنا: تفضل في بيتها. طيب هي بتفضل في بيتها بأنهي صفة؟ صفة زوجة عادية جدًا. يعني إيه زوجة عادية؟ يعني كل حاجة تنفع: تلبس عادي، تكشف عورتها عادي قدام زوجها، عادي جدًا، يقبلها، يجامعها، كل حاجة عادي.

وهنتكلم كمان شوية في اختلاف العلماء في مسألة الجماع هنا، هل تعتبر رجوع ولا لا؟ لو هو جامعها، تعتبر دي راجعه ولا لا؟ بس هو عموماً ليه كل حاجة مع زوجته.

وده أكيد من حكمة الشرع، لأنه أكيد مش هيقعد كل الفترة دي مش هيشتهيها مثلا، فهايشتهيها، فيضطر يصالحها، الموضوع يخلص يروح مرجعها ويجامعها، وتخلص.

بس هو من حقه كل شيء مع زوجته في الفترة دي، لأن هي ما زالت زوجة. وعشان كده: {لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ}. بل المرأة في الفترة دي فعلا لا تخرج، ما تخرجش أصلًا إلا لحاجة، يعني لو في حاجة مهمة تخرج. ما فيش حاجة مهمة، تفضل في بيتها. ولو خرجت لحاجة، يجب تبات في بيت الزوجية.

عشان كده ربنا قال بعد كده: {لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا}. بعض المفسرين يقولون: "الرجعة". لا تدري، يبقى هي المدة دي اللي هترجعهم لبعض. لا تدري، ما تعرفش البيوت أسرارها إيه لا تدري، ما تعرفش بينهم إيه، سيبهم، هيرجعوا لبعض. {لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا}، يعني الرجعة.

لذلك، لا تقيم المشاكل بمنظورك الشخصي، سيبهم. لو حتى دخلت للصلح، تقول كلام كده عام، وتفكرهم بالخير اللي بينهم، والفضل اللي بينهم، وتنصحهم يقعدوا مع بعض شوية وسيبهم برضه هم يتصالحوا.

والآية دي بتقول لك: لا داعي لتدخل الأهل، الأهل ما يدخلوش من نفسهم، لو طلبناهم بس، دي مسألة مهمة. {فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ}(النساء: 35)، لو طلبناهم يدخلو، أما طلبوهمش، سيبوا الناس، سيبوهم.

طلقها وهي في بيته، وهي زوجته خلاص، سيبوهم. عايز تعمل نصيحة، عندك نصيحة حلوة، كلمة حلوة قولها: معندكش كلمة حلوة، متدخلش.

بعد كدا ربنا قال: {وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ}. إيه؟ إلا، هو ممكن يخرجوا؟ آه، {إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ}. يعني إيه؟ بيقولك؛ لو أصلا المشكلة اللي بين الزوجين بسبب فاحشة.

يعني إيه كلمة فاحشة؟ الفاحشة هي الذنب العظيم، وليس المقصود هنا الزنا بس، بل الزنا وغيره من الحاجات التي تستفحش. فلو كانت أصلا مطلقة بسبب زنا مثلا، على سبيل المثال، طبعا، إزاي يقعد مع واحدة كده؟ لا يتحمل أبدا أن يقعد معها. ففي الحالة دي، ممكن يطلعها برّا البيت في فترة العدة، ما يقعدش معها.

من حقه أن هو يمشيها برّا البيت، عايز يسيبها يسيبها بس من حقه يخرجها، لان في حالة الزنا، إزاي يتحمل يبص لها أصلا؟
أو كان مشكلتها مش الزنا، اكتشف أن هي بتخونه مع رجال. مش لازم تكون بتزني، بس بتمشي معاهم، وبتبعت لهم، وبتبعت صور لرجال، زي ما نشوف للأسف دلوقتي، نساء وصلت مراحل صعبة جدًا، تتعرى وتبعت صور لرجال، وتاخد على كده فلوس، وتقابل رجال، وتروح نوادي، وتركب عربيات.
عارف أن زوجته بتعمل كده، طلقها، دي فاحشة مبينة، من حقه أن هو يكرّشها من البيت الفترة دي.
أو العلماء قالوا: من الفاحشة المبينة أن تكون سليطة اللسان، أن هو مطلعها عشان بتشتمه، بتشتم أهله، يقعد معاها إزاي؟ دي من حقه يطلعها برّه، أو تضربه. فمن حقه برضه أن هو يمشيها برّه البيت. فدي أنواع من الفاحشة المبينة اللي من حقه أن هو يطلعها برّه البيت:
{إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ}.
ثم قال تعالى: {وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ} الله أكبر، وتلك حدود الله كلام كبير.
{وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ}. يقول لك: هي دي الحرية الشخصية بتاعتنا. مفهوم الحرية عند المؤمن: الحرية تنتهي عندما تبدأ حدود الله. وده غير المفهوم الخطأ، مش "أنت حر ما لم تضر"، أكيد أنا مش هضر أحد، بس يجب أن يكون مفهومنا مختلف، "أنت حر ما لم تتعدَّ حدود الله"، دي أحسن.
{وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ}.
{لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا}. الله أكبر، هذه آية عظيمة، تعتبر بالنسبة لي، من أرجى آيات القرآن، ومن أجمل آيات القرآن اللي بحبها واتعلق بيها.
لأن دي بوابة الأمل، أنا بسميها: بوابة الأمل، لأن ربنا قال لك: "لا تدري"، وده جميل، لأن احنا غالبًا عند الأزمات بتبقى: أنا مش عارف يحصل إيه بكرة، وخايف، ومضطرب. فالآية بتقول لك: متقلقش، ثق في الله، حقق التقوى، بس بشرط أن تكون عملت اللي قلناه: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ}، ما ده الشرط. فلو عملت ده خلاص، ابشر، سيحدث الله أمرًا يرضيك. إيه هو؟ ما تسألش.
{لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا}، ومن ذلك الرجعة.
بص بقي التأملات في الآية دي: تأملات جميلة جدااا.
قالوا في الآية دي إن لا يوجد شخص مشتت البال مثل المطلق أو المطلقة. بعد الطلاق بيبقى مشتت جدًا، هيعمل إيه؟ المستقبل، هو خلاص الطلاق حصل، ومش قادرين نعيش مع بعض. طيب وبعدين؟ والأولاد والقصة والحكاية؟ بيبقى مشتت البال.
قالوا فهدى الله باله بتلك الآية: يا الله هدى الله باله بتلك الآية.
وقالوا أيضًا: هذه الآية تحطم اليأس وتفتح باب الرجاء والأمل، إذا صح العمل. لأن الرجاء الصحيح يكون معه عمل.
{لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا}، وعد الله من طلقوا طلاقًا صحيحًا والتزموا فيه بتقوى الله تعالى أن يكرمهم، وأن يجعل لهم فرجًا ومخرجًا.
فقال: {لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا}.

وقال في نفس السورة: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}.
{وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ}.
وقال في نفس السورة: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا}.
وفي سورة النساء قال: {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ}(النساء: 130).
لكن كل ده مشروط بالتقوى في الطلاق. من طلق طلاقًا تقياً نالته كل الوعود دي، فإن الله سبحانه وتعالى ييسر له زوجة أخرى، أو ييسر لها زوج آخر، أو ييسر لها رزقًا، ييسر لها من يكفل أولادها، ييسر لها تربية صالحة لأولادها، حتى لو لم تتزوج، يهديهم، يرضيها بهم، يعني يكفيها رزق، يكفيه هم، سيجعل الله فرجًا ومخرجًا. فهذه الآية التي تطفئ لهيب الفراق، الفراق بيكون له لهيب. فكلما رددها المطلقون، هدأت لهيب الفراق.
"لا تَدْرِي"، يمكن ربنا صرف عنك شر، يمكن فعلاً ده كان أحسن الحلول، فعلاً الطلاق، واللي جاي كان أسوأ من كده بكتير، مين يدري؟
فلا تفكر في كيفية الفرج، إذا أراد الله أمرًا، هيأ أسبابَه.
إذا رأيت الأمور بعد سعيك تسير خلاف مرادك، فتعلق بهذه الآية:
{لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا}.
كتير مننا بياخد بأسباب حاجة معينة ولا يصل إليها، ذاكر، مجتش الكلية اللي هو عايزها، اجتهد في شغل وما وصلش للمنزلة اللي هو عايزها. خلاص، انت عملت اللي عليك صح؟ فوض بقى:
{لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا}.
يمكن الكلية اللي تروحها أحسن، يمكن دي اللي هتوصلك لرزق أفضل. ثق بالله سبحانه وتعالى.
ودليل كده: تذكر كم مرة أحدث لك أمرًا، تذكر كم مرة بالفعل أحدث لك أمرًا، فرج لك كربة بعدما ضاقت الدنيا وضاق الأمر.
وتأكد أن هذا الألم ليس النهاية، فما زال في الغيب آمال مبهجة.
فهذه الآية بلسم لكل مبتلى، امسح بها دمعة عينك واطمئن، لا عسر يدوم. سبحان الله.
ثم قال سبحانه وتعالى: {فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ}.
يعني إيه {بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ}، العلماء بيقولوا بالإجماع: إذا بلغن يعني قاربنا البلوغ، الأجل اللي هو نهاية العدة.
هو أكيد، الزوج عشان يرجع زوجته، لازم يكون العدة ما خلصتش. فأكيد مش معنى الآية دي: إذا بلغنا، يعني وصلوا لنهاية الأجل، إلا لو وصلت أصلاً مالوش أن يرجعها.
{إِذَا بَلَغۡنَ} يعني قاربنا البلوغ، إذا اقتربت من بلوغ نهاية العدة، من حقك لسه ترجعها. طب بلغت يعني وصلت أصلاً؟ ما ينفعش ترجعها.
ف "بلغن أجلهن" تأتي في القرآن على معنين: إما "قاربنا" أو "وصلنا بالفعل".
يعني مثلا في سورة النساء وفي سورة البقرة: {وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ}(البقرة: 232).
هنا معناها: وصلت.
بدليل أنه بيقول للولي: لو جالك زوجها يطلبها رجعها له، دليل أن العدة خلصت.

ف {بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} في البقرة معناها وصلت لنهاية العدة، لكن هنا مش معناها وصلت، معناها اقتربت من الوصول، بدليل أنه بيقول له: أمسكهن. وده لا يكون إلا داخل العدة.
قال: {أَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} يبقى أنا عندي اختيارين: إما ترجعها، والرجوع ده يبقى إزاي؟ الرجوع: إرجاع الزوجة بإيه؟ يكون بأي لفظ يدل على الرجوع، يقول: رددتك، رجعتك، راجعتك، بأي لفظ يدل أن هو رجعها.
وهنا ده بيودينا للمسألة اللي اتكلمنا فيها: هل حاجة زي الجماع تعتبر رجوع ولا لأ؟
عند الأحناف، أبو حنيفة يعني. الجماع، بل عنده المس بشهوة والمداعبة تعتبر رجوع حتى لو لم يتلفظ بالرجوع. لأنه هو يكون عمل كده في زوجته، يبدأ ده دليل على أنه هو عايزها. طالما عايزها يبقى اعتبرها رجعت.
لكن عند الجمهور: الشافعية والمالكية، وقول عند الحنابلة: لا، الجماع في حد ذاته ما يعتبرش رجوع إلا لو نوى بيه الرجوع، يعني بيشترطوا حتة زيادة: أنه ينتوى بهذا الجماع أنها رجعت، فلو نوى بهذا الجماع إنها رجعت، تبقى رجعت.
حتى لو لم يتلفظ بلفظ "رجعتك أو ورددتك والكلام ده"، وهذا الأحوط. يعني إن إحنا بنقول لك: إن تجامعها في الفترة دي، فإذا نويت بهذا الجماع إعادة الزوجة أو رجوع الزوجة، يبقى رجعت.
خلاص، ده الأحوط.
طيب، لو أنا هرجعها، ربنا بيقول لك: لو هترجعها، ترجعها بمعروف. يعني إيه ترجعها بمعروف، ترجعها عشان تكرمها، مش ترجعها عشان تهينها. واحد يقول لك: طيب أنا هرجعها عشان أذيها بقى، وبعد كده أطلقها تاني وتقعد لآخر العدة، أروح مرجعها وبعد كده أطْلِقها تاني. ويقعد بقى يلعب بالطلاق.
ربنا حذر من كده في سورة البقرة: {وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا۟}(البقرة: 231).
ربنا بيحذر جدًا أن انت تتلاعب بصلاحياتك، ودي قاعدة مهمة: أن الرجل لا يجوز أن يتلاعب بالصلاحيات اللي ربنا أدهاله زي القوامة، وزي صلاحيات الطلاق، دي ربنا جعلها عشان تستقيم الحياة، وعشان يعني يحمينا من أضرار معينة، وعشان يضبط الأمور الزوجية، مش عشان نتلاعب بيها.
فلو أنا استعملت رخص ربنا في التلاعب، قد إيه ربنا هيغضب عليك، وده بيطلعك برا التقوى خالص، وبالتالي كل الوعود اللي جاية مش ليك، يبقى هتتعثر أمورك، يبقى الرزق هيقل، يبقى ربنا مش هيكرمك في اللي جاي، مش هيدبر لك أمورك، مش هيكون حسبك. انسى بقى. خلي بالك، متلعبش بأحكام الزواج.
{أَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}، خلاص، يبقى ده الإمساك بمعروف، أو {فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}، أو المفارقة بمعروف. يعني يسيب العدة تكمل وخلاص، تنتهي العدة، المرأة تفارقه.
طيب، المفارقة بمعروف إزاي؟ مفارقة بمعروف يعني خلاص، ننفصل زي ما الناس المحترمة بتقول: "زي ما دخلنا بالمعروف، نخرج بالمعروف".
زي ما تزوجنا وأدينا حقوق الزواج، الشبكة والمهر، وكل حاجة كانت تمام، وإحنا طالعين نخرج بمعروف،

يعني لا نشتم بعض، ولا نضرب بعض، ولا نهين بعض، ولا أروح أفضحها، ولا هي تروح تفضحني، ولا أقول عيوبها، ولا تقول عيوبي. ممكن عيوبها دي حد غيري يقبلها، وممكن عيوبي واحدة تانية تقبلها، فليه نفسد على بعض الزواج القادم؟

فضلًا، أننا نظلم فنقول كلام ما حصلش، وعايز أنتقم من الطرف التاني فاقول: عملت وسوت ومحصلش، أو هي تقول: ده هو فيه كذا وفيه كذا، وهو مفهوش. ده كدا وصلنا للبهتان، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إن من أَرْبَى الرِّبَى استطالت المرء في عرض أخيه».

وفي الحديث: «مَنْ قَالَ فِي أَخِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ».

يعني عذاب معين في النار لمن يكذب على أي حد. فما بالك بقى، زوجة كدبت في حاجة في زوجها عشان تنتقم منه، أو العكس.

ومن ذلك أن الرجل يؤدي المؤخر بكل هدوء، ويرجع للمرأة حقوقها، لو كان لها حقوق في البيت، لو كان في حاجات زي العفش بتاعها، أو الأدوات بتاعتها، أو ليها كذا وكذا في البيت، أو ليها شبكتها، ترجعها لها، ما تبقاش أنت مستولي عليها.

كذلك المرأة العكس، لو خدت حقوقها، القايمة اللي بنكتبها في مصر دي، أحيانًا بعض الناس بيكتبوها، ممكن ناس تكتبها لإثبات الحقوق فقط دي ناس محترمة وفي ناس مش محترمة، بتكتبها عشان تأذي بيها، ولما يحصل طلاق ياخدوا العفش ويخبوه، ويرفعوا على الزوج محضر تبديد عفش، أو يرفعوا عليه محضر أنه ما سددش اللي عليه، أو يتبلوا عليه، يكتبوا حاجات زيادة ما كانتش في المهر أصلاً، وبيزودوا في الذهب، بعد كده يروحوا يسجنوه بالورقة دي، دي ناس مش محترمة، ناس ربنا ينتقم منها.

فالطرفين بنخاطب الطرفين، مش معنى أننا طلقنا نعمل كدا، ما نخرج بالمعروف يا جماعة. ليه بنوصل لكده؟ عارفين ليه؟ عشان مش بنتقي ربنا. بنقول: ما فيش مشكلة في إثبات الحقوق، لكن ما نستغلهاش استغلال سيء.

كذلك كل الصلاحيات نفس الكلام: للزوجين اللي ربنا عطاه صلاحيات، استعملها غلط، فلينتظر وعيد الله سبحانه وتعالى، ويتحرم من كل مزايا التقوى.

فلذلك سبحان الله، ربنا ذكر فعلاً التقوى في الصفحة دي أربع مرات عشان كده، وفي السورة ذكرها خمس مرات، عشان قلما نجد حد يتقي الله في الطلاق بكل هدوء.

ظهر بقي حالات نادرة، يقول لك: ده فيه اتنين اتطلقوا، وبذكرها بخير، وهي بتذكره بخير، ورجع لها حاجتها، يا دي دي معجزة فعلاً، بقت معجزة في الزمن ده. ده المفروض نذكر بعض بخير بعد الطلاق.

ربنا قال: {وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ}[البقرة: 237].

ده كمان ربنا شرع: أن المطلق مش يدي الحقوق بس، يدي الحق معاه حاجة اسمها المتعة.

إيه المتعة دي؟ المتعة دي فلوس زائدة، يعطيها الرجل للمرأة جبر لخاطرها، علشان كسرة الطلاق مش حلوة، خاصة على المرأة. فالطلاق مش بيعيب الرجل في العادة، إنما ممكن يعيب المرأة أحيانًا، فبتبقى مكسورة.

رغم أنّه بيكون كم من مطلقات مفهومش عيب أصلاً يعني لكن الظروف حصلت كده، محصلش توافق،

وبتروح لغيره وبتبقى من أحسن ما يكون. ده يعني دعوة أنّ إحنا ما نبصش للمطلقة نظرة سلبية ممكن يكون حصل عدم توافق بين الطرفين، مش لعيب قادح، لكن عدم توافق طباع مختلفة، بتروح لغيره، متفقة معاه في الطباع، يلاقيها أحسن واحدة في الدنيا. فالمرأة المطلقة ليست معيبة. لذلك قال: {فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ}.

ده الطبيعي، سبحان الله يعني {أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ}. ثم قال سبحانه وتعالى: {أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ}

{وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ} يعني يستحب في الطلاق والرجعة أن يبقى فيه شهود عليها. يعني لو طلق واحد زوجته، يقول لشهود: "يا جماعة، أنا طلقت زوجتي"، عشان الحقوق متضعش. ولو رجعها، يشهد ذوي عدل. ذوي عدل يعني رجال طبعا، لأن الإشهاد في الطلاق والرجعة إنما هو للرجال فقط دون النساء.

طيب، السؤال الأول: هل الإشهاد ده واجب ولا مستحب؟ الراجح أنه مستحب. يعني كده كده، وحتى عند من يقول إن الإشهاد واجب، عمومًا: اللي قال الإشهاد واجب، أو اللي قال الإشهاد مستحب، بيقولوا كده وكده الطلاق والرجعة تصح بدون الإشهاد. يعني لو ما أشهدش، تصح الطلاق ويصح الرجعة، لكن عند بعض العلماء لو ما أشهدش يبقى فعل مكروه، وعند بعض العلماء لو ما أشهدش يبقى فعل حرام ويأثم.

بس عند الاتنين إن الطلاق وقع، والرجعة وقعت، فمش معلقة على أن هو أشهد أو ما أشهدش.

طب ليه بنشهد؟ عشان عدد الطلقات. ممكن واحد يطلق زوجته وبعد كده، طلقها تاني وبعد كده طلقها ثالث. فالزوجة تقول: "طلقني ثلاث مرات"، ويقول: "لا، أنا طلقتها مرة". مين يحكم بينهم؟ مين يثبت؟ عشان كده بنشهد علي الطلقة. ويفضل لما يحصل طلقة نكتبها في ظهر قسيمة الزواج، ونمضي شهود كمان عليها، علشان ما تضعش الحقوق، ولأن في ناس بتنسى كمان، مش فاكر هو طلقها كم مرة. متخيلين

في ناس بتنكر، تقول: "زوجي طلقني ثلاث مرات"، وأنا مش زوجته، أنا حرام أعيش معاه، ويقول: "لا، أنا لم أطلقها". تبقى هي مش عارفة تعمل إيه، عايشة في حرام، مش عارفة تطلع إزاي. يبقى لازم إن إحنا كل طلقة نشهد، والمرأة تخبر، لو طلقت تخبر، أه، رجال عدول من أهلها، عمومًا رجال عدول، تقول: "زوجي طلقني"، ولو رجعها يشهدوا.

ممكن بقى سبب تاني، مشكلة تانية تحصل. افترض إنه طلقها ورجعها، قال للناس إنه طلقها وما قالش إنه رجعها، وبعد كده مات. مات مثلاً بعد ما طلقها بستة شهور، الناس معرفتش إنه رجعها. ولم ترث منه هي تقول: "يا جماعة، أنا زوجته رجعني". إيش عرفنا إنه رجعك؟ ما قالش: "والله رجعني". طيب، مشكلة بقى، هنديها الميراث ولا مش هنديها؟ فدي مشكلة.

فلذلك، يعني إيه؟ عمران بن حسين سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلقها ولا على رجعتها، فقال: طلقت لغير سنة وراجعها بغير سنة، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها، ولا تعد.

ثم قال تعالى: {وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ} الله أكبر. {وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ} يعني الشهداء يتقوا الله ويشهدوا بالحق، يشهدوا بالحق ويكون هذا لله، مش لمصلحة دنيوية. أقيموا الشهادة لله.

بذلك ما بين الزوجين لما يحصل مشكلة، الناس لما تدخل تدخل لله، ولما فعلاً عايزين ينصحوا، ينصحوا لله، مش تيجي واحدة مثلاً عندها مشكلة مع زوجها، وعايزاكِ تتطلقي، فبتديك نصائح عشان تتطلقي أصلاً، أو تروح لواحد صاحبك أصلاً ما بيحبش النساء، وهو أصلاً مش طايقهم، بتاخد منه نصايح، هو لا ينصحك لله هو بينصحك علشان عايزك تبقى جنبه. نختار الناصح، نختار الشهداء، نختار اللي يتعامل معنا لله في الفترة دي، لإن إحنا بنبقى محتاجين حد يساعدنا، حد يقف جنبنا، مش حد يعني يبقى له نية كمان سيئة، وإحنا مش واخدين بالنا، فيبقى فرقنا وقع ما بيننا ونكتشف بعد كده انه حاسد كان عايز يشوفنا كدا، أو هي عايزاني اطلق زي ما هي طلقت. فيجب على الجميع أن يتعامل لله.

قال تعالى: {ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ} يعني اللي مش هيؤدي الحقوق دي إلا المؤمن بالله واليوم الآخر. وده دليل على أثر الإيمان باليوم الآخر في سلوك الإنسان.

لذلك ربنا يقول: {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ} (البقرة: 228).

وقول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

إذا الإيمان بالدار الآخرة له أثر في السلوك.

ربنا قال: {وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ}(المطففين: 1:6).

فلذلك من الحلول المهمة في البيوت أن الزوجين يشتغلوا على نفسهم في الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالله.

يبقى لازم في بيتنا، وهذه مشكلة البيوت: البيوت مش عمرانه بالطاعة، في طاعة، في قيام ليل، في تدبر القرآن، في سماع المواعظ، في سماع دروس عن الدار الآخرة، في سماع دروس عن الله والأسماء الحسنى. كل ما يقوى إيماننا، ده يخلي حياتنا أجمل، حتى لو اتطلقنا، هيكون طلاق جميل.

ثم قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا}

خمس جمل يكتبوا بماء الذهب:

{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا}

{وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}

{وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ}

{إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ}

{قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا}

ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن أكبر آية في القرآن فرجًا هذه الآية: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا}.

عكرمه يقول: "من طلق كما أمره الله جعل الله له مخرجًا".

يبقى أنا لما أتقي الله في الطلاق، يكون ليا الوعد ده، ربنا يجعله مخرجًا. يعني ربنا يرزقها بزوج آخر، أو يرزقه بزوجه آخرى، أو يرزقها بمن يكفل أولادها، يرزقها بحياة أفضل بعد الزواج، يجعل لها مخرجًا من همومها، من التعب النفسي، من الألم النفسي اللي حصل بسبب الفراق.

ولكن، هذا الوعد معلق على شرط: الوعد: {يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا}
الشرط: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ}
فإذا لم تحقق الشرط، فلا تسأل عن الوعد. متقولش: "يا رب فرج همي" وأنت لم تتق الله، اتقيه أولًا، يجعل لك مخرج.
بعض الناس مثلًا يبحث عن عمل يروح يشتغل شغل حرام ويقولك هشتغل لغاية ما أجد شغل حلال. لا أنت لازم تتقي الله أولًا ليجعل الله لك مخرجًا، تقول للحرام لا ساعتها هتلاقي الحلال مش تقول لربنا يارب اجعل لي مخرج الأول وبعد كدا اتقيك! هذا هو الاختبار والابتلاء.
لذلك قالوا: "من يتق الله في الرخاء يجعل له مخرجًا في الشدة".
فهذه الآية تعطيك مفتاح النجاة من كروبات الدنيا والآخرة. "تقوى الله سبحانه وتعالى"
لذلك العلماء يقولون: " أن الأمر متناسب طرديًا فكلما زادت التقوى زاد نصيبك من المخرج والرزق، كلما قلت التقوى قل نصيبك من المخرج والرزق".
إحنا قولنا ايه؟ وعد معلق على شرط زودت الشرط يزيد الوعد، قللت الشرط يقل الوعد.
عايز زيادة في الفرج والرزق زود في التقوى، عايز تقلل قلل. الموضوع راجع لك.
ولذلك قيل: "مهما ضاقت بك الأمور، فلا تتنازل عن التقوى فإن نجاتك معلقة بها". بعض الناس لما تضيق الأمور يروح للحرام علطول. مثلًا: "أتأخر زواجي، أبدأ أتبرج، لكي يأتي عريس كويس، لا تتنازلي عن التقوى، الأمور ضيقة عليا ماديًا فأقبل أي عمل حرام، لا تتنازل عن التقوى. لأن نجاتك معلقة بالتقوى.
ابن عباس رضي الله عنه قال: "لو أطبقت السماء على الأرض لجعل الله للمتقين فتحات يخرجون منها، ألا ترون قول الله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا}؟ سبحان الله.
وأحيانًا يبتليك الله بتيسير الحرام ليرى ماذا أنت صانع. فإذا تساهلت وروحت للحرام، يمنع عنك الفرج والرزق. وإذا اتقيت ربنا وقلت: "لا" للحرام، رغم وفرته والعروض المغرية، تحل أمورك فورًا، فيبتليك ليرى ماذا تصنع.
زي كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبته. كان ممكن يخرج بسهولة جدا من الموضوع بأن يكذب كما كذب المنافقون، لكن قال: "لا، عزمت على الصدق"، وعارف أن الصدق سيسبب له العقوبة. لكنه صدق، وتُعاقب، وربنا جعل له مخرجًا رهيبًا، ونزلت فيه آيات في سورة التوبة، لأنه صدق مع الله سبحانه وتعالى، وكان الحرام قدامه وسهل، لكنه اختار التقوى، فجعل الله له مخرجًا.
كلما رفعت لله تقوى، أنزل عليك رزقَ. والرزق مش بس فلوس، الرزق راحة بال، الرزق جنة، الرزق سعادة في الدنيا، الرزق ولد طيب، الرزق زوج صالح وزوجة صالحة، الرزق بركة في الحياة، الرزق ولد مطيع، الرزق سكينة في القلب.
لا يلزم أن يكون الرزق دايمًا فلوس. كما قال الشاعر: "يا شاكيا هم الحياة وضيقها، أبشر فربك قد أبان المنهج من يتقِ الرحمن جل جلاله يجعل له من كل ضيق مخرجًا".
قال: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا، وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}.
لا تقلق في حالة الطلاق، الطرفين بيكونوا خايفين: "نرزق منين؟ أكل عيشنا والولاد وأصرف على الولاد منين؟" اتقِ الله، يرزقك من حيث لا تحتسب.

بص يقول لك: "إذا لم تنجح خطتك فلا تتنازل عن التقوى. سيأتيك رزقك من جهة لا تخطر ببالك".
يقعد يخطط لحاجة وماشي في الحلال، ومخطط برضو موصلش. يضطرب. يجيله الشيطان يزين له الحرام. متقلقش، كمل. كمل. مش لازم تجي لك في الحتة اللي أنت رايح لها، بس هي هتجيلك من حيث لا تحتسب. زي ما السيدة هاجر اتقت ربنا وقعدت تدور على الماء على الصفا والمروة، وما لقتش الماء في الآخر في المسعى، راح الماء جالها تحت رجل إسماعيل عليه السلام بضربة من جناح جبريل عليه السلام. بس هي عملت اللي يرضي ربنا، وربنا جعل لها المخرج في حتة تانية خالص.
ممكن الكلية اللي مش عجبتك دي هي سبب هدايتك. ممكن الزوج اللي طلقك ده كان هيحصل مشكلة كبيرة، وربنا هيُعوّضك أحسن منه، الولد اللي ربتوه ومات كان ممكن يرهق أبويه طغيانًا وكفرا، وربنا رحمك بموت هذا الولد. بعض البنات تتساهل في العلاقات عشان بتدور على زوج، نقول لها: متقلقيش، الزمي التقوى، سيأتيك الرزق من حيث لا تحتسب. بعض الشباب بيغش في الامتحانات، نقول له: ما تغششش، يقول: طب هجيب درجة أقل، متقلقش، هل الدرجة الأقل تساوي عدم رزق؟! أنت اتقيت ربنا، حتى لو جبت درجة أقل احتسب، {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}.
الرزق مش هو الخطوة الجاية، الرزق في حياتك كلها، الخير والبركة.
ممكن اللي غش دا يجيله وظيفة أحسن منك، لكن يجيله ولد يرهقه، ممكن أنت خدت وظيفة أقل، بس ربنا يبارك لك في زوجة وفي ولد. متغششش، لا تتنازل عن دينك أبدًا، مهما ضاقت بك الأمور.
أحد السلف يقول: "إني لأعلم معصيتي، في خلق دابتي وامرأتي." لما الدنيا بتتكعبل معايا بعرف أني عامل حاجة غلط، أصلح أموري مع ربنا، كل أموري تتصلح،
{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}.
بص الشاعر بيقول في كلمات جميلة، وكأنه بيرسم لنا لوحة، بيعبر بيها عن تدبر قوله تعالى:
{وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}، فيقول في الأبيات الشهيرة:
"فكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الزكي، وكم يسرا أتى من بعد عسر ففرج كربة القلب الشجي، وكم أمر تساء به صباحًا فتأتيك المسرة بالعشي".
إذا ضاقت بك الأحوال يومًا، فثق بالله الواحد الفرد العلي، ولا تجزع إذا ما نابك خطب، فكم لله من لطف خفي، الله أكبر.
ثم قال تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ}
فهو حسبه، يقول لك: توكل على الله، لأن الزوجين طبعا يكون متفرقين، فالموضوع يحتاج توكل في الرزق، توكل في المستقبل. فمن جعل أمله بالناس خاب وخسر، ومن سلم أمره لله فاز وربح.
إذا ضعفت الأسباب حواليك، أسباب الرزق، أسباب كل شيء، فلا تجزع.
إذا اعتمدت على الله ستصل إلى غايتك. الأسباب عند النبي ﷺ: خد بأسباب الهجرة والاختفاء، ودخل الغار، لقى المشركين واقفين على باب الغار، وقال: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين؟ الله ثالثهما". لا تحزن، إن الله معنا.
سيدنا موسى وقف قدام البحر، كل الأسباب قال انقطعت، حتى قال أصحاب موسى: "إنا لمدركون." قال: "كلا، كلا، ليه؟ إن معي ربي سيهدين."

لما توكلوا على الله اتحلت فورا. قال: {وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ}.
هو كافِه سبحانه وتعالى. لذلك قالوا لم يذكر الله لك ثواب التوكل، ما قالش: ومن يتق الله يعطيه كذا أو يعمله كذا، قال شيء أعلى بكثير. فلم يقل ثواب المتوكلين، بل جعل نفسه كافيًا لصاحب التوكل، فهو حسبه.
ثم قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ}، يعني ما أراد الله سيكون، لا يمنعه أحد، ولا يستطيع أحد أن يمنع قدر الله سبحانه وتعالى، وما أراده سيكون وسيحصل.
فإذا أراد ربنا أن البيت ده يتصلح، هيتصلح، وإذا أراد أن الطلاق يتم، سيتم. إحنا نعمل اللي علينا، في الآخر نتوكل على الله سبحانه وتعالى، {إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ}. وكأنه بيقول لك: رزقك ربنا هيبعته لك، فلا تحتال، متعملش حرام، بيتك هيقوم بالتقوى، والرجعة ستتم بالتقوى، فلا تحتال. لا تحتال لتصل إلى رزقك، لا تطلب رزقك بالحرام، فما أراده الله سيكون. فاعمل الحلال، كده كده رزقك ثابت، لا يزيد بالمعصية ولن ينقص بالطاعة. هو هو، لكن لما تعمل معصية تتحرم البركة، لما تعمل الطاعة بتطلب البركة، {إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ}، سبحان الله.
ثم قال تعالى: {قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا}
وهذا يرد على السؤال: واحد يقول لك: "طب أنا اتقيت ربنا بس ما فيش، مش لاقي." وكأن النفوس دايمًا لما بتتوعد بالوعد ده، بتستعجله.
يقول لك: "طب ما أنا اتقيت ربنا فين؟" فيقول لك: لا، هذا الموضوع مش لازم يحصل بسرعة، وممكن يحصل بعدين.
سيدنا يوسف اتقى ربنا، الفرج جاله امتى؟ بعد سنين طويلة. سيدنا يعقوب اتقى ربنا، الفرج جاله امتى؟ بعد سنين طويلة.
النبي ﷺ اتقى ربنا، أول انتصار ليه على المشركين بعد سنين طويلة.
سيدنا موسى طلع من مصر بسبب أنه حصل قتل خطأ لمصري، وقعد عشر سنين في أهل مدين ورجع، وربنا بيقول له: {ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ}.
كل الوقت ده كان محسوب، وكل الوقت ده كان له حكمة، وكل الوقت ده كان له غاية. والتفريج والفرجة والفرج تأخر، كل ده حكم. ممكن موضوع يتأخر عليك عشان ربنا له حكمة، وسيأتيك في الوقت الذي أراده الله وحدده. فلا تتدخل في التدبير، انت ليك تتوكل، اعمل اللي عليك وتوكل، لا تتدخل في التدبير.
مشكلتنا إن إحنا نتدخل في التدبير. فنقول: المفروض طيب ما أنا المفروض، طب هو ما حصلش ليه؟ طب يحصل امتى؟ لا، دي مش بتاعتك بقى. ممكن ربنا يأخر عنك حاجة لمصلحة.
"{وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا}"
ممكن ربنا يأخر عليك الحاجة عشان أنت لسه مش مهيأ لها، مش مستعد لها. ولما توصل لمرحلة معينة، سيعطيك على أكمل الوجوه.
{قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا}

بتبعث لك رسالة: كل شيء ليه نهاية، أحزانك ليها نهاية، وما فيش ألم بيستمر، وما فيش عسر بيستمر. وحتى لا حزن يدوم، ولا ألم لا ينتهي. وده بيأتيك بعد الطلاق كأنه بيواسي كل مطلق، مهما كانت الأحزان، مهما كانت الآلام.

كل شيء له قدر وله نهاية. وفي نفس الوقت، بنقول على الناحية التانية: لا سعادة دائمة، حتى السعادة ليها نهاية في الدنيا، وبعدها بيجي ألم، ثم ينتهي، ثم سعادة، ثم ألم. هكذا هي الحياة: لا سعادة تدوم، ولا ألم يدوم.

لكن هذه الآية فيها علاج نفسي: الآية كلها من أول {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا}، علاج نفسي للتوتر والتوقع، أكتر آلام الناس من شيل هم النتائج، وشيل الهم من المستقبل اللي مش في إيديهم، وشيل هم بكرة اللي مش بتاعهم.

أنت ابن النهاردة: اعمل على نفسك وخلاص، واتق الله وخلاص. اعمل اللي عليك مع تقوى الله، واعتمد على هذه الآيات:

{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}

{وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ}

{إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ}

{قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا}

شوفت بقى الآيات دي جميلة ازاي؟ يا رب نحفظها، ونستمتع بيها، ونصلي بيها، ونعيش بيها، ونعرف إن أجمل سورة هتمر عليكم هي سورة الطلاق. نكمل المرة الجاية بإذن الله تعالى.

جزاكم الله خيرًا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

الخامسة عشر

بيوت تقية | سورة الطلاق (2)

علاء حامد
Alaa Hamed

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.
أما بعد، أهلًا ومرحبًا بكم أيها الكرام في لقاءٍ جديد، ومدارسة جزء قد سمع.
المرة الماضية بدأنا في السورة العظيمة، سورة الطلاق، وأخذنا ثلاث آيات تقريبًا، ووقفنا مع أحكامٍ خطيرةٍ وعظيمة، رأينا فيها رحمة الله سبحانه وتعالى بالزوجين حتى بعد الطلاق، ولطف الله تعالى بالمرأة، وعنايته بحقوق هذه المرأة.
والنهاردة هنشوف كثيرًا من هذه الأحكام؛ لنتأكد أن جزء قد سمع فيه عناية خاصة بالمرأة، كما رأينا في عدة سور، منها المجادلة، ومنها سورة الممتحنة، وبين أيدينا الآن الطلاق، وكما سيأتي في سورة التحريم. فالحمد لله رب العالمين.
نقول: أين دعاة حقوق المرأة؟! من جزء قد سمع ليروا ماذا أعطى الله تعالى، وكيف أكرم المرأة أيَّما إكرام!
ليعلم الناس أن الخير كل الخير للنساء في شرع الله تعالى، وفي أحكام الله سبحانه وتعالى، فلا تنخدعوا بهذه الدعاوى الظلامية التي تريد أن تُخرجكم من النور إلى الظلمات.
في هذه الأنوار، لكن للأسف، يحصل تشتيت وتشويش على الأحكام، يجعلنا لا نفهم الفهم الصحيح.
فخلونا نقف مع الآيات النهاردة ونفهم، ونرى مزيدًا من الحقوق، ومزيدًا من الأحكام الرائعة.
سورة الطلاق التي تعتبرونها سورة — كما قلنا — صعبة في الحفظ، ومش مفهومة غالبًا، أوعدكم النهاردة، بعد ما نخلص السورة إن شاء الله هتتحول إلى سورة من أمتع سور القرآن بالنسبة لكم، ومن أسهل سور القرآن، وإن شاء الله تترك فيكم أثرًا إيجابيًا، وتبقى الصلاة بها جميلة جدًا بعد ما تحفظوها إن شاء الله.
وإحنا اتفقنا إننا بنحفظ السور، فيلا بينا نستعين بالله ونتوكل عليه، ونقرأ ما تيسر من هذه السورة المباركة، ونستعين بالله، وننوي نية طيبة في أول مجلس العلم، ونسأل الله التوفيق في التدبر والتأمل.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:
{وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَـٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا (4) ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا (5) أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَـٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ (6) لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا (7) وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَـٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَـٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا (8) فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا (9) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا (10) رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَـٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا (11) ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَـٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا} (12)

هذه السورة الطيبة المباركة، سورة الطلاق.
وقفنا بعد ما ربنا تكلم على المطلقة وعدة المطلقة، فكان الكلام على المرأة التي تعتد بالحيض، كل كلام السورة كان على المرأة التي تعتد بالحيض.
لما نزلت الآيات السابقة، سأل الصحابة النبي ﷺ — كما ورد عن أُبَيّ بن كعب — أنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام، قال يا رسول الله: فما شأن الكبيرة، والصغيرة، والمرأة الحامل؟ يعني ما عدتها؟
احنا عرفنا إن عدة المرأة التي تحيض ثلاثة قروء، خلاص. طيب، الكبيرة التي يئست من المحيض — يعني لم تعد تحيض — والصغيرة التي لم تحض بعد، والحامل؛ عدتهم إيه؟
فنزلت هذه الآيات توضح الأنواع الثلاثة دول، فقال تعالى:
{وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَـٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ}
طيب، وضحت الآية، إحنا عندنا ثلاث أصناف:
أولًا: المرأة الكبيرة التي يئست من المحيض، والمرأة إذا كبرت في السن خلاص لا تحيض، لا حيض ولا حمل ولا الكلام ده، وبالتالي مش بتحيض.
طيب، لو طُلِّقت المرأة دي، كيف تعتد؟ تعتد إزاي؟ العدة بتاعتها ثلاثة أشهر، ثلاثة أشهر.
طيب، فقال تعالى: {وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ} ، خلينا الأول نقول: يعني إيه إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ؟
تحتمل أحد المعاني:
المعنى الأول: إن ارتبتم في عدة هذه الأصناف، لأن أصلًا السؤال كان فيه ريبة: دلوقتي الثلاث أصناف دول من النساء إيه عدتهم؟ فربنا بيقول: إن ارتبتم، يعني إن كنتم في ريب واضطراب في الحكم على هذه الأصناف من النساء، فهذا بيان الله تعالى؛ أن الكبيرة والصغيرة تعتد ثلاثة أشهر، والحامل بوضع الحمل. هذا هو الاحتمال الأول في معنى {إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ}.
المعنى الثاني: إن ارتبتم يعني: إن ارتبتم هل يئست من المحيض أم لم تيأس؟ أو هل حاضت أم لم تحض؟
بمعنى: لو أن امرأة كانت يئست من المحيض بسبب أنها كبرت، خلاص، ثم طُلِّقت، بعد ما طُلِّقت نزل عليها دم، مش عارفة هو دم في غير سن الحيض، فهي الآن مرتابة: مش عارفة ده حيض رجع لها ولا ده دم فساد نازل عليها، فصارت مضطربة، ارتابت.
فربنا بيقول: إذا حصلت الريبة، نحسم المسألة: هم ثلاثة أشهر وينتهي الكلام.
أو العكس: امرأة كانت تحيض، فلما طُلِّقت توقف عنها الحيض، هي كانت كبيرة بس مش كبيرة قوي، فتوقف عنها الحيض بعد ما طُلِّقت مباشرة، مش عارفة تعمل إيه: هل الحيض انقطع؟ هل يئست من المحيض؟ فصارت في ريبة، ف الآية تقول، نحسم المسألة، إذا ارتابت صارت الآن في اضطراب، مش عارفة هي الآن بتحيض ولا مش بتحيض، نحسم المسألة تبقى ثلاثة أشهر.
أو بنت صغيرة لسه لم تبلغ بعد، ونزل عليها دم، بس لسه صغيرة، مش عارفين نعرف: هل ده دم حيض ولا لا؟ هل هي الآن بدأت في المحيض ولا لا؟ يبقى نحسم: تبقى عدتها ثلاثة أشهر.
فده معنى قوله تعالى: إن ارتبتم، يعني الأحكام تُبنى على اليقين، ما ينفعش هي أصبحت مطلقة،

ولازم تنهي عدتها، ولازم يبقى في وضوح في المسألة دي، ما يبقاش الموضوع مبني على شكوك، فنحسم بثلاثة أشهر.

طيب، نرجع تاني للأصناف الثلاثة:

أولًا: الكبيرة اللي يئست من المحيض، دي العدة بتاعتها — قلنا — ثلاثة أشهر هجرية، تقعد ثلاثة أشهر هجرية، وبعد كده خلاص العدة تنتهي، وتبين من زوجها.

طيب، ربنا بيقول: {وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ}، إيه {وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ} دول؟ الصغيرة، صغيرة.

هي اتجوزت إزاي؟ آه، عادي اتجوزت. هو ينفع واحدة لم تبلغ تتزوج؟ ينفع، وهذا دليل واضح من القرآن على جواز الزواج من المرأة قبل البلوغ. ربنا بيقول: دي اتجوزت واطلقت كمان، يعني هي تزوجت وطلقت ولسه ما حاضتش.

ربنا بيقول: دي هتعمل إيه؟ هتعتد ثلاثة أشهر.

تقول لي: طب إزاي تزوجت دون البلوغ؟

عندنا في الشريعة: المرأة تتزوج حين تطيق الزواج، ولا يلزم أن يكون حين البلوغ، يعني مش شرط إنها تكون بلغت، إنما يكفي أن تطيق الزواج، تكون مستعدة جسديًا، نفسيًا للزواج، مؤهلة للزواج جسديًا، خلاص، يعني تتحمل العلاقة، جسدها يتحمل العلاقة، لا يكون في أي ضرر عليها.

في بعض البيئات — زي ما كان بيحصل في قريش، وفي أفريقيا، والأماكن الحارة — البنت ممكن يكون عندها عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة، لسه ما بلغتش، لكن — اللهم بارك — امرأة مكتملة، لا يوجد أي شيء يمنعها من الزواج.

فمثل هذه المرأة لها أن تتزوج، طبعًا نقصد بالزواج هنا الدخول، وإلا فالعقد ينفع يكون قبل كده كمان.

لذلك النبي ﷺ عقد على السيدة عائشة وهي عندها ست سنوات، ثم دخل بها وهي عندها تسع سنوات. طب ليه تأخر الدخول؟ لأن ما ينفعش يدخل بها في السن ده أصلًا؛ لأنها لا تتحمل ذلك، لكن لما بقت عندها تسع سنوات، في البيئة الحارة دي، بلغت مبلغ النساء، يعني صارت امرأة، امرأة مكتملة، بلغت مبلغ النساء، خلاص، بقت عروسة، تسع سنوات بقت عروسة كبيرة، شكلها شكل عروسة — زي ما بيقولوا — فدخل بها ﷺ، سواء حاضت أو لم تحض، مش ده المؤثر دلوقتي، فده فيه جواز ذلك.

طب المرأة دلوقتي إزاي يُعقد عليها قبل أن تكون فاهمة أو واعية، ست سنوات أو كده؟ نقول: الشرع سمح بده للولي أن يزوجها، وطبعًا ده مبني على أن الولاية دي تكليف، والولاية دي أمانة، الأب ده أمين على بنته.

فقد يجد الأب — مثلًا — زوجًا مثاليًا، هو نفسه يتمناه لبنته، لكن بنته ما زالت صغيرة، هل له أن يُدرك الزوج ده ويزوِّجه للبنت وهي ما زالت صغيرة؟ له ذلك، ينفع، ينفع يجعل هذا الرجل يتزوج بنته، لكن بعقد فقط، ولا يدخل بها إلا إذا أطاقت الدخول.

طيب المرأة دي ما اختارتش كده، ما وافقتش؟ طب أفرض مش عايزاه؟ الشريعة تسمح لهذه المرأة أن تفسخ العقد لما تكبر وتعي، لو رفضت الزوج ده، من حقها أنها تفسخ العقد.

فالشريعة توسَّطت بين حق الولي ورؤيته لمصلحة البنت، وبين رأي البنت فيما يناسبها، وغالبًا لو

كان الولي بيتقي الله سبحانه وتعالى، فعادةً بتتفق نظرة الولي مع مصلحة البنت.
وده كان بيحصل كتير جدًا على فكرة، يمكن إحنا عشان في الزمن المعاصر مش مدركين الكلام ده، طبعًا في زماننا دلوقتي و في بعض بلادنا البنت عشان تبقى فعلًا عروسة بتكون عدَّت البلوغ كمان، يعني ممكن إحنا مش متصورين شوية، لكن في بعض البيئات، وفي بعض الأماكن، ده متصور وبيحصل، وما زال يحصل إلى الآن على فكرة.
بس عايزين نوصل إن ده مش حرام بس مش أكتر، أما إن إحنا نقول: اعمل كده أو ما تعملش، ما بقولكش اعمل كده، أكيد ما فيش حد هيزوِّج بنته إلا إذا كانت مهيأة ومستعدة يعني في نظره.
لكن هل ده ممكن يحصل: إن هو يجد فرصة لبنته رائعة للزواج فيزوِّجها، وبعد ما تتمكن، تبقى عندها قدرة على الدخول، يأذن لها بذلك؟ ممكن، نقول: هذا مشروع.
مش بنقول: اعمل كده، ضروري، لكن هذا مشروع، والآية دلَّت عليه، دلَّت على إن فيه واحدة كمان تزوجت وطُلقت وهي لسه دون البلوغ، هتعتد إزاي بقى دي؟ هتعتد ثلاثة أشهر.
طيب، بعد كده: {وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}.
العدة بتاعة المرأة الحامل إيه؟ عدة المرأة الحامل بوضع الحمل.
واحد طلَّق مراته وهي حامل، ينفع يطلقها وهي حامل؟ ينفع، إحنا قلنا: ما فيش مشكلة الطلاق وهي حامل، ما ينفعش يطلقها في حيض ولا في طهر جامعها فيه، لكن ثبت حملها، وتأكدنا من الحمل، عادي ينفع يطلقها في الحمل.
تبقى العدة إيه؟ العدة بوضع الحمل، خلاص، يبقى إذا وضعت الحمل انتهت العدة، سواء بقى وضع الحمل ده بعد يوم، أو بعد ثمانية أشهر مثلًا، هو بوضع الحمل.
إن شاء الله بكرة، لو طلَّق النهارده، ولدت بكرة، انتهت العدة.
ينفع بقى بعد كده إنها تتزوج؟ يعني أي زوج آخر؟ وهو نفسه لو حب إنه يتزوجها تاني، قد انتهت العدة، ومالوش إنه يرجعها إلا جوه العدة، هيضطر يعقد عليها عقدًا جديدًا.
حصلت مسألة في عهد الصحابة: سؤال جه لابن عباس أن امرأة حامل، مات زوجها، فسُئل عن العدة بتاعتها، ليه بقى؟ لأن إحنا عندنا عدة المرأة التي مات عنها زوجها:
{وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ} ... قد إيه؟ {أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}[البقرة: 234]
يبقى المرأة اللي مات عنها زوجها، العدة بتاعتها أربعة أشهر وعشرة أيام.
طيب، والآيات دي بتقول: {وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}
ابن عباس اتسأل: المرأة حامل، جوزها مات، تعتد بوضع الحمل ولا بالأربعة أشهر وعشرة؟ فأفتى، قال: آخر الأجلين، دي فتوى ابن عباس، آخر الأجلين يعني تشوف الأبعد.
يعني مثلًا: هي دلوقتي حامل في الشهر الثاني، يبقى أنهي أبعد؟ الأربعة أشهر وعشرة، ولا وضع الحمل؟ لا، وضع الحمل أبعد، يبقى تعتد بوضع الحمل.
لا، دي حامل في الشهر الثامن، لا، يبقى تعتد بأربعة أشهر وعشرة، لأن دول الأبعد، فده فتوى ابن عباس.
خالف ابن عباس كثير من الصحابة، كأبي هريرة وابن مسعود، خالفوه،

وقالوا له: لا، المرأة الحامل تعتد دائمًا بوضع الحمل، المرأة الحامل عدتها دائمًا وضع الحمل، والدليل معاهم في الحقيقة:

إنه وردت حادثة — لعل ابن عباس لم يكن يعلم بها — أن امرأة تُدعى:

سُبَيْعَة بنت الحارث الأسلمية، مات زوجها، فوضعت بعد موته بأربعين يومًا، بعد أربعين يومًا فقط وضعت، فبدأت تتزين للخطَّاب، وبدأت تقبل اللي يجي يخطبها، فالناس أنكروا عليها.

فذهبت للنبي ﷺ وسألته عن ذلك: هل لها أن تتزوج؟ قالت له: أنا وضعت الحمل خلاص، هل ينفع إن الخطاب يأتوني، وأن أتزوج؟

فأذن لها النبي ﷺ بالزواج، فلما انتهى النفاس بتاعها تزوجت رضي الله عنها وأرضاها.

هذا الحديث يحسم المسألة، يبقى إذًا خلاصة المسألة:

المرأة الحامل عدتها — في جميع الأحوال — وضع الحمل.

فلو امرأة مات عنها زوجها، ولدت تاني يوم، خلصت العدة بالنسبة لها.

ولو طُلِّقت، ووضعت الحمل تاني يوم، خلصت العدة برضه.

والعكس: لو هي حامل في الشهر الأول، ومات عنها زوجها، لازم تولد عشان تنتهي العدة بتاعتها، وكذلك في الطلاق.

فدائمًا المرأة الحامل عدتها إيه؟

في جميع الأحوال بوضع الحمل.

قال تعالى: {وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ}، ثم قال سبحانه وتعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا}.

يا سلام، يا سلام، للمرة التالتة أهي تُذكر التقوى في نفس الصفحة، وده اللي أكدنا عليه: إن ربنا بيربط تاني بالتقوى.

ليه ذُكرت هنا التقوى؟ وذُكر اليسر؟ لأن الحامل بالذات محدش يعرف هي حامل ولا لأ إلا هي، فممكن المرأة — عشان تستعجل العدة — تكذب، تقول: أنا مش حامل، فكده تقول: أنا خلصت العدة، وبعد كده يتبيَّن إنها حامل.

ربنا قال: {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ}[البقرة: 228].

فالمرأة لا يجوز لها أن تكتم الحمل، عشان كده ربنا ربط ده بالتقوى، إن هي لازم تكون تقية، لأن دلوقتي هي مصدر المعلومة دي.

وربط لها ذلك بالتيسير، وكأن الحامل — أي واحدة حامل — بتبقى عايزة ربنا ييسر لها الحمل، ربنا ييسر الولادة، ربنا ييسر ويطلع الولد جميلًا وسليمًا، ما فيهوش عيب ولا مشكلة طبية.

فكأن المعنى هنا: اتقي ربنا، هييسر لك أمورك، مش هتتقي ربنا، مش هييسر لك أمورك.

وكأن سلامة أولادنا وصحتنا، وولادتك، والطلق، والولادة، والنفاس، والرضاعة، دي منظومة واحدة، منظومة واحدة، التقوى مؤثرة على كل شيء: على حياتنا العادية، على حملك ورضاعك ووضعك.

سبحان الله، {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا}، بص: أمره دي عامة جدًا.

وبعد كده نطلع بقى من المفهوم المرتبط بالآية للمفهوم الأوسع:

من يتقِ الله عمومًا يجعل له من أمره يسرًا.
قال تعالى: {وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ} [الأعراف: 96].
سبحان الله، {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا}.
فنقول: يا من تعثرت أموره، وزاحمته الهموم، هذا هو المخرج بين يديك: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا}.
وزي ما قلنا في الآية: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا}، إن ده وعد معلَّق على شرط، فمتسألش ربنا على الوعد قبل ما تحقق الشرط.
{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ} الأول، {يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا}.
بعض الناس يقول لك: لأ، يا رب اجعل لي مخرج الأول، وبعد كده أتقيك!
لأ، ألاقي الشغل الحلال الأول، وبعد كده أسيب الشغل الحرام!
لأ، لما أتجوز أبقى ألبس الحجاب، وأبقى ألبس النقاب!
لأ، أنت كده عكست الآية.
لما ربنا ييسر لي أموري أبقى أصلي؟!
لأ، كده عكسنا الآية.
لما ربنا ييسر لي أموري أبقى أرجع وأتوب؟!
ما هو طول ما هي متكعبلة كده أنا مش قادر أرجع!
لأ، ما هو ده الاختبار: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا}.
لازم تقدم الشرط، هو ده الابتلاء، ننفذ الشرط، وبعد كده يجي لنا الوعد فورًا، وقَدْر الوعد بقدر ما حققت من الشرط.
يعني لو أنت اتقيت ربنا بنسبة معينة، يجي لك تيسير بنفس النسبة، اتقيت بنسبة أعلى، يبقى نصيبك من التيسير أعلى.
كل ما تتقي أكثر، كل ما يبقى نصيبك من الوعود دي — المخرج، والتيسير، وتكفير السيئات — أكبر.
الآية بتقول لك: كل الأمور صعبة إذا لم يُيسِّرها الله تعالى، وكل الدروب مغلقة إذا لم يفتحها الله عز وجل.
الآية بتقول لك: علاقتك بالله تحدد مسارات حياتك، مسارات التوفيق، مسارات النجاح في الحياة، لها ارتباط بعلاقتك بالله سبحانه وتعالى.
ثم قال تعالى: {ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ}، آه، بص بقى، عشان ممكن النفوس تقول: طب إيه؟ طب ليه؟
الراجل بيبص لحقوقه، والمرأة بتبص لحقوقها، ومحدش بيبص للموازنة اللي ربنا وازنها: ده له حقوق وعليه واجبات، ودي لها حقوق وعليها واجبات، بس للأسف الأنفس فيها شح، ساعة المشكلة خاصة الطلاق كل واحد بيبص للي له، ويقول: طب ليه ربنا ياخذ مني؟ طب ليه ربنا قال اعملي كذا؟ طب ليه ربنا ألزمني بكذا؟
ربنا بيحيل إليه وبيقول لك: {ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ}، ده ليك أنت، ربنا مش مستفيد حاجة، مش بياخذ حاجة من جيبك ينتفع بها.

قال تعالى: {لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ}[الحج: 37].
فتأكد إن حكم ربنا أحسن من أي حاجة، وتأكد إن التزامك بحكم ربنا أكيد أحسن من اللي في بالك دلوقتي.
ما تخليش الشيطان يوسوس لك، ولا يلعب بك، ولا يحسسك إن ربنا كده ظلمك، طب أنا، طب ليه ربنا ما ادّانيش كذا؟ طب ليه هياخذ مني كذا؟
هو أعلم بخلقه سبحانه وتعالى، هو أرحم بك منك، أرحم من الأم بولدها، أرحم بك من الأم بولدها.
قال: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ}، بص بقى الجمال: {يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا}.
تحفيز جامد جدًا، يعني بس كل اللي فات ده كان مصالح فيها الدنيا شوية: مخرج، رزق، وكأن النفوس أصلًا جُبلت على حب الدنيا قوي، فربنا عجَّل لك الوعود الدنيوية الأول، فقال لك: {يَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}، {يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرًا}.
وبعد كده قال لك بقى: {يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا}، يعني ده الأجر الأخروي.
{يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ}، كلنا بنغلط، وأكيد بقى على ما طلَّقنا ممكن غلطنا في بعض، وممكن حصلت مشاكل، ممكن أحد ظلم شوية، يقول لك: يعني لو اتقيت ربنا يسامح، يعني يحصل عفو عن كل ده.
ونرجع تاني لقاعدة عامة: من يتقِ الله عمومًا يُكَفِّر عنه سيئاته، ومين فينا معندوش سيئات محتاجة تكفير؟
وكمان: {وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا}، يعني يعطيه أجرًا كبيرًا جدًا على العمل اليسير، فالله شكور، يعطي الكثير على القليل.
فتأمل في صفحة واحدة من القرآن: أربع وعود على التقوى:
{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا}،
{وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}،
{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا}.،
{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا}.
الوعود أربعة، والشرط واحد: حصول التقوى، سبحان الله!
فتأمل — رحمه الله تعالى — في هذه المنظومة العجيبة المتكاملة لحقوق المرأة ولسلامة البيوت.
كم تحتاج الأمم والأفراد إلى شرع الله تعالى؟!
للأسف، اللي أفسد الدنيا دي هو الخروج عن شرع الله تعالى، وكم جنت علينا القوانين الوضعية من مصائب!
منذ أن استعملوا الناس القوانين الوضعية، والدنيا إلى فساد: الجريمة زادت، المشاكل الزوجية زادت، حالات الطلاق زادت، خراب البيوت زاد، تشرد الأولاد زاد.
استفدنا إيه من القوانين الوضعية؟! قيِّم كده القوانين الوضعية على مدار 30 أو 40 سنة فاتوا، وقول لي: إيه اللي قل من الجرائم والمشاكل والمحاكم؟ الدنيا بتزيد بس.
عشان تعرف فعلًا إن التزام شرع الله هو الحل الوحيد: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرًا}، حتى على مستوى الأمم، ربنا ييسر أحوال الأمم لو التزمت بشرع الله تعالى.
ثم قال تعالى آمرًا الرجال: الراجل اللي طلَّق دلوقتي خلاص، المرأة دي هتروح فين؟ قال له:

هتقعد في البيت، ما هو ربنا قال في أول السورة: {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ}.
فالله تعالى يأمر: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ}، يعني بقدر الاستطاعة وبقدر الطاقة.
{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم}، يعني في المسكن الذي حصلت فيه المفارقة، البيت اللي حصلت فيه المفارقة تسكن فيه المطلقة إلى أن تنتهي العدة.
ويجب عليه السكنى، ويجب عليه النفقة، لهذه المطلقة، فيجب على الزوج أن يوفر مسكنًا للزوجة في فترة العدة بعد الطلاق، وهذا المسكن مما يقدر عليه:
{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ}، يعني بقدر القدرة.
طبعًا الكلام هنا على المطلقة الرجعية.
أما المطلقة غير الرجعية، فليس لها نفقة وليس لها سكنى.
مطلقة رجعية يعني إيه؟ يعني إحنا بنتكلم في الطلقة الأولى أو الطلقة الثانية، لأن دي اللي ينفع ترجع تبقى زوجة تاني، لو رجعها ترجع.
فدي يلزمه إنها تفضل في مسكن الزوجية: {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ}.
فلا يجوز أن تخرج، حتى العلماء يقولوا: لا تخرج ولا بإذن الزوج حتى، يعني لو هو أذن إنها تخرج، لا يجوز، لأن هنا ربنا قعدها مش بإذن الزوج، قعدها بأمره هو.
ربنا اللي قال: هي تقعد، هي هنا مش قاعدة عشان الزوج عايزها تقعد، هي بتقعد في البيت ده لأن ده أمر الله، فهنا الزوج مالوش تدخل في دي، لابد أن تبقى في بيتها، ولا تخرج منه — زي ما قلنا المرة اللي فاتت — إلا لحاجة، تمام، طول فترة العدة.
ده أمر من ربنا، رجاءً إن البيت ده يترمم تاني، ويرجع تاني، وترجع المياه لمجاريها.
عشان كده أمر ربنا أجمل بكتير من أي عقل ممكن يقول لك: يبعدوا عن بعض لأنهم مش طايقين بعض دلوقتي، سيبوهم شوية، الدنيا هتتحل، ما تتدخلوش بس، {وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ}.
ف{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ} بقدر الاستطاعة، قلنا ده في المطلقة الرجعية.
طيب، هنشوف بقى حالتين تانيين:
المطلقة غير الرجعية زي مين؟ زي واحدة طُلِّقت قبل الدخول، ما دخلش بها أصلًا، فدي بتنفصل عنه مباشرة.
قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا}[الأحزاب: 49].
فدي ليس لها سكنى، وليس لها نفقة، مفيش عدة أصلًا، طُلِّقت بعد العقد وقبل الدخول.
الاحتمال الثاني: أن تكون الطلقة الثالثة، في حالة الطلقة الثالثة دي بانت منه فورًا، خلاص بقت أجنبية عنه، مش زوجة زي المطلقة في الأولى والثانية فدي خلاص انفصلت تمامًا عنه.
فدي في فترة العدة — هي لها عدة كده كده — يعني المطلقة غير الرجعية لها عدة برضه، مش زي غير المدخول بها، غير المدخول بها دي مالهاش عدة أصلًا.
لكن دي لها عدة، بس عدة مش في بيت الزوجية، المطلقة طلاق بائن — الطلقة الثالثة — هي لها عدة، بس العدة دي هتعتد في غير بيت الزوج، لأنها بقت أجنبية عنه بمجرد الطلقة الثالثة.
طب هل أثناء العدة بقى — ده السؤال — هل لها نفقة أو سكنى؟

إحنا قلنا: مالهاش سكنى كده كده، ولا حتى نفقة، وحكم بذلك النبي ﷺ، حديث صحيح صريح.
جاءت إليه فاطمة بنت قيس الفهرية، طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص، وكانت الطلقة الثالثة، فاشتكت إلى النبي ﷺ أنه لا يرسل لها نفقة.
فقال عليه الصلاة والسلام: «ليس لكِ عليه نفقة ولا سكنى».
وفي رواية: «انظري يا بنت آل قيس، إنما النفقة والسكنى على الزوج ما كانت له على زوجته رجعة، فإن لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى».
فأمرها النبي ﷺ أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم؛ لأنه أعمى لا يراها.
لكن في حالة المطلقة طبعًا غير الرجعية، يعني ليس لها طبعًا لا نفقة ولا سكنى، وهي انفصلت تمامًا، فلها حقوقها كلها، ليها المؤخر، ليها مهرها بالكامل، ليها الشبكة لو في شبكة أو كده، ويُستحب ولا يجب أن يعطيها متعة، يعني مالًا زائدًا مراعاةً للعشرة وجبرًا لخاطرها، والكلام ده.
واضحة كده؟ يبقى دي المطلقة غير الرجعية.
أما الرجعية، فهي كده كده هتقعد في بيت الزوجية لغاية ما تنتهي العدة، بعد انتهاء العدة بقى يحصل إيه؟ المطلقة الرجعية، لو خلصت العدة، خلاص بقي هتنفصل، ساعتها تطلع بره البيت، وتروح بقى لبيت أهلها أو كده، إلا بقى في حال إن في أولاد وفي حضانة، ده موضوع تاني.
لو في بينهم أولاد، وإن المرأة دي هي اللي هتحضن الأولاد، يبقى طبعًا بيوفر لها ويوفر للأولاد مسكن، ويجب عليه إنه ينفق على أولاده نفقة كاملة: أكل، وشرب، وتعليم، ودواء، نفقة تليق بهم بما يرضي الله.
ممكن يكون حكم المحاكم قديم بيطلع أرقام هزيلة الإنسان يتقي الله في ذلك، دول أولادك في النهاية، تنفق نفقة تليق بمستواهم اللي كانوا عايشين فيه قبل كده، واللي يناسب لمستواك، لأن ربنا بيقول: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ}.
مش بقى أنت مثلًا مرتبك 10 وتروح مديهم 2، إزاي؟ أو 1، بعد ما كنت بتصرف عليهم في بيتك 7!
الإنسان يتقي الله.
{لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}، خلي بالك.
المهم، ده موضوع تاني بقى: إن هي انفصلت تمامًا، بس معاها أولاد وهي الحاضنة دلوقتي، فخلاص، الأولاد الصغار مثلًا هيكونوا في حضانة الأم، فبالتالي أكيد هيوفر لهم مسكن، ده موضوع تاني متعلق بالحضانة.
خلينا نكمل الآية:
{وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ}.
يعني إيه الكلام ده؟ يعني ربنا بيقول لك: أنا أديتك الصلاحيات دي مش عشان تستعملها وتؤذي بها، بمعنى: أنا قلت لك إن هي يجب إنها تفضل في بيت الزوجية، مش عشان تأذيها، مش عشان تذلها، مش عشان تضربها، لا، {وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ}.
ما هو بقى هو عارف إن هي بمجرد ما تنتهي العدة دي، هيدفع المؤخر كامل، هيديها مهرها كامل، ويُستحب كمان المتعة، الشبكة والكلام ده، فيقعد في الفترة دي يضايقها، ويؤذيها، ويذلها عشان يجبرها تتنازل عن بعض الحقوق، ويهددها، يقول لها: لو ما تنازلتيش هعذبك.

إزاي؟ على آخر العدة هرجعك، وبعد كده أطلقك تاني، وتقعدي عدة تانية، وآخر العدة هرجعك، وبعد كده أطلقك، وتقعدي عدة كمان، خليكي بقى لما تتجوزي تاني كمان سنة! إلا لو تنازلتي عن حقوقك.

فتضطر طبعًا تتنازل له عشان تخلص منه.

ربنا بيقول: {وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ}.

دي المآسي اللي بتحصل في الطلاق، ده الواقع، فضلًا إنه يكون أصلًا من قبل كده عايز يطلقها، بس هو عارف لو طلقها يبقى عليه حقوق، فيقول لك: أنا أزهقها لغاية ما هي تطلب الخلع، فلو هي طلبت الخلع يقول لها: خلاص، تفتدي نفسك بقى، ما أنتِ اللي طالبة، أنا ما طلبتش، أنا مش عايز.

فطبعًا هي خلاص مش قادرة، هو عذبها لغاية ما هي طلبت تنفصل منه، وهي ما كانتش عايزة تنفصل من البداية، بس هو اللي ألزمها بكده، وقال لها خلاص، تفتدي نفسك بقى، وتتنازلي لي، والكلام ده.

{وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّ}.

والعكس بيحصل، مآسي بقى: الراجل طلَّق عادي، وراجل محترم، وما فيش أي مشاكل، وقال: هسدد الحقوق تمام، جاءت المرأة بقى بعد الطلاق — طبعًا كانوا مثلًا كاتبين قايمة — فراحت لمحامي، وقال لها: أنا هعمل لك حوار بيه، وهناخد العفش ونخبيه، ونعمل له محضر تبديد، ونسجنه!

هو عمل إيه؟ هي كرهاه مثلًا لأي سبب، وهو الراجل ما عملش حاجة، طلَّق وهيدي الحقوق، إيه المشكلة؟ لأ، أنا بقى هسجنه، أنا هعذبه!

أو مثلًا عندها أولاد، والراجل حاضنها في بيت، وبينفق كمان، تقول له: مش هتشوف ولادك إلا بحكم محكمة، وقابلني برضه لو شوفتهم، حتى لو بحكم محكمة، وتقعد تذله عشان يشوف ولاده.

تخيلوا؟ تلاقي الراجل يشوف ولاده ساعة في الأسبوع، يشوفهم في مكان عام، وفي شرطة واقفة!

إيه ده؟ ليه يعني؟ ليه كل ده؟

ربنا يقول: {وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ}[البقرة: 237]، فالظلم متبادل للطرفين، عندنا مآسي.

الآيات فعلًا كان لازم تتكلم عن التقوى، نادر اللي بيتقي الله في الطلاق.

فين المرأة أو الراجل اللي طلقوا طلاقًا عاديًا، هادئًا جدًا؟ راجل أدَّى الحقوق كاملة، والمرأة تسامحت، وهو تسامح، وهو كرَّمها وهي كرَّمته، وتنازلوا لبعض، ووعدوا بعض إن يكون بينهم تواصل محترم عشان الأولاد.

ولو عايز تيجي تشوف ولادك في أي وقت، تعالى، ويقابلوك في أي مكان، مفيش مشكلة، وأنا هنزل أسيب البيت، أروح الشغل، ممكن تيجي عايز تقعد معاهم شوية بكل هدوء، ولا أي حاجة. اتصل بهم زي ما أنت عايز، ويا أولاد كلموا بابا زي ما أنتم عايزين، وهدايا متبادلة، وإنفاق، وكرم، وهدوء، الموضوع بسيط يعني.

ليه؟ ليه؟ ليه ده بالنسبة لنا إيه؟ إيه ده؟ أنت معندكش كرامة ولا إيه؟ ليه يعني؟ بالعكس، هو ده الصورة البديهية، يعني ليه الموضوع بيقلب بمآسي؟ عشان مفيش تقوى.

{وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّ}.

طيب، ربنا بيقول: {وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ}، ده طبيعي.

هي هنا، قوله تعالى: {وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ}، بتتكلم عن مين؟

بتتكلم عن المطلقة غير الرجعية، يعني واحدة طُلّقت الطلقة الثالثة وهي حامل.
لأن لو هي أصلًا رجعية، يبقى الكلام تحصيل حاصل، ما هو كده كده الرجعية أصلًا قاعدة معاك في البيت، وأنت كده كده بتنفق عليها.
فربنا بيوصي بإيه؟ لأ، هو بيوصي بالطلقة غير الرجعية، وأولات الأحمال اللي هي طُلّقت طلاقًا بائنًا، بينونة كبرى، يعني الطلقة الثالثة، بس هي حامل.
إحنا قلنا: الطلقة الثالثة اللي هي مش حامل، لا نفقة ولا سكنى، لا، دي بقى في حالة الطلقة الثالثة دي، دي لها نفقة وسكنى، لأنها حامل.
{فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ}.
بعد ما تضع الحمل بقى، هنشوف: في حضانة ولا ما فيش حضانة؟ هل هتكمل في السكنى، ولا الأب هياخد الأولاد ويبقى هو الحاضن لهم، والمرأة خلاص ترجع لأهلها؟ حسب الحضانة هيكون موضوع السكنى بعد وضع الحمل.
لكن أثناء الحمل لها نفقة كاملة، ولها سكنى، سكنى تليق بها، طبعًا هيجيب لها مسكن تاني، لأنها كده كده أصلًا مش زوجة له، فهيجيب لها مسكن يليق بها، سواء إيجار أو تمليك.
ولو اتفقوا إن لها مسكن تاني، وراضية تقعد فيه، خلاص، مش مشكلة، أو عايزة تقعد في بيت أهلها وينفق عليها، برضه ما فيش مشكلة، ده مسائل يصطلحوا عليها، والحقوق دي فيها تنازل كده كده، لكن اللي لها: إن يوفر لها سكنى لغاية ما تضع الحمل.
بعد الحمل هنشوف بقى الحضانة، وهيترتب عليها حكم: هل لها سكنى تاني ولا لا؟
{فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ}.
طيب:{فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ}، آه، بعد الوضع بقى، هترضع، يقول لك: ده الرضاعة دي لها أجر.
{فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}.
يا الله! ده إحنا في حقوق مش حاسين بها، المرأة اللي بترضع دي المفروض لها أجر.
يعني يقول لك: أجر إيه؟ أجر لو أنت كنت جبت مرضعة لابنك ده أو لبنتك، كانت هتاخد كام في الوسط اللي أنت عايش فيه؟ هتاخد قد كده، يجب إنك أنت تعطيها أجر الرضاعة، لأنه ما يلزموش إنه ينفق عليها خلاص، هي دلوقتي مش زوجته، هو بينفق على ابنه، ينفق على الولد، طب الزوجة دي بتاخد إيه؟
هي نفسها ما لهاش نفقة، لكن هي لها دلوقتي أجر الرضاعة، وبعض العلماء بيقول: لها أجر زائد، أجر الحضانة، لكن المهم المتفق عليه: أجر الرضاعة.
فتاخد أجر الرضاعة، لو جبنا مرضعة كانت هتاخد كام؟
{فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ}.
ده بيخلينا نشعر بقيمة الزوجة، يعني الزوجة كل عمل بتعمله لو فكَّيناه هيطلع رقم كبير قوي.
يعني لو المرأة اللي بتطبخ، وتغسل، وتكنس، وترضع، وتربي، وتشيل وتحط، لو فكَّينا الأعمال دي لخادمات، كانت المرأة دي المفروض تاخد كام؟
فليراعِ الأزواج زوجاتهم يا جماعة، يعني هم لو حاسبونا على كل عمل بيعملوه، يعني هياخدوا أكثر من مرتبنا كله!

فالشاهد — يعني — إن على الأقل التقدير، الزوجة والله أحيانًا ما بتبقاش عايزة من زوجها غير كلمة: شكرًا، يقول لك: حتى شكرًا ما بيقولهاش!

صح؟ حتى الكلمة الحلوة، مش عايزة منه حاجة، يعني لما يشوف حاجة يقول: الله ينور، يعني يطيب نفسي بكلمة كويسة، ده بيسمني وأنا شايلة وعاملة له، ومرضعاله عياله، ومربياهم طول النهار، أنا واقفة على خدمته، حتى الكلمة الحلوة ما بيقولهاش!

يعني مش كده!

والله لو اتفكَّت الأعمال دي — في بعض البيئات — الأغنياء ما شاء الله عندهم خدم بيعملوا كل الحاجات دي، يعني في بعض البيئات ما فيش المرأة لا بترضع، ولا بتكنس، ولا بتطبخ، ولا تعمل حاجة، بتجيب مثلًا ثلاث أو أربع خادمات بياخدوا رقم مرعب!

فاعرفوا قيمة المرأة الطيبة اللي بتعمل كل حاجة دي، فدي امرأة تستحق التقدير والإكرام.

يعني شوف، دي لو مطلقة وبترضع، هتديها أجرة على الرضاعة، ما بالك بقى لو زوجتك؟ المفروض تكرمها إزاي!

الشاهد يعني قال: {فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}.

ثم قال تعالى: {وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ}.

يعني إيه الكلام ده؟ {وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ}، يعني تشاوروا بينكم: إيه اللي هيحصل بعد كده؟ والولد ده مين اللي هياخده؟ هو الأصل لو هو صغير، حضانته عند الأم.

إلا أن تتنازل عن الحضانة، لما يبقى عنده سبع سنوات، يقول لك: يُخيَّر يكمل مع الأب ولا يكمل مع الأم.

لكن عمومًا مصلحة العلاقة دي هتروح فين بعد كده؟ {وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ}، دي من الحاجات اللي إحنا ما بنعملش بها خلاص، اللي هو إيه؟ الإحسان بقى.

المعروف يا جماعة إن إحنا نراعي اللي كان ما بيننا، الأولاد دول هيتربوا إزاي؟ إيه طبيعة العلاقة ما بيننا هتبقى إزاي بعد كده؟ انفصلنا خلاص، بس مصلحة الأولاد: هنشوفهم إزاي؟ هنربيهم إزاي؟ هنراعيهم إزاي؟

في تواصل عادي جدًا بيننا من أجل مصلحة الأولاد، {وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ}، تمام.

هل هي هترضع؟ هتكمل في الرضاعة ولا مش عايزة؟ ممكن المرأة تقول: خلاص أنا مش قادرة أرضع، أو هي نفسيًا خلاص بعد الطلاق مش طايقة ترضع، فتقول له: أنا مش هرضع.

حتى هي مش عايزة كده بدون سبب، ربنا قال:

{وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ}.

خلاص، ما يلزمهاش بقى، هي لا يجب عليها إنها ترضع في الحالة دي، لأنها مطلقة، فلا يلزمها الرضاعة، لأن الولد ده المفروض نفقته كلها على الأب، حتى الرضاعة.

فهي تُعرض عليها الرضاعة بأجر، قالت: لا، أنا مش عايزة، ولا عايزة الأجر، ولا عايزة الرضاعة، حقها، تخيلوا! شوف ربنا جعل لها حق في حاجة زي كده.

فيلزم الزوج ساعتها إنه يجيب مرضعة ويدفع لها أجر الرضاعة: {فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ}.

سبحان الله! بعض العلماء يعلق على الآية دي، يقول: الله أرحم بالولد من أمه، رفضت الأم الرضاعة، فأمر الله أن يُؤتى للولد بمرضعة

وقوله تعالى: {وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّ}، يقول لك: إذا كان هذا الأمر للناس اللي جوه البيت، فكيف بمن هم خارج البيت؟ لا تتدخلوا، لا تفسدوا البيوت، لا تكونوا نارًا تُشعل ما بين الزوجين، عندك كلمة حلوة قولها، ما عندكش كلمة حلوة ما تتدخلش.

انظروا إلى هذه الحقوق الراقية، أين من يتهمون الإسلام بظلم المرأة؟

{وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ}، لا تجعلوا الأولاد حلبة صراع، إنما الواجب أن ننظر إلى مصلحة الأولاد، لا أن نستغل الأولاد كوسيلة انتقام.

{وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ}.

ثم قال تعالى: {لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ}، طب إيه النفقة بقى؟ مقدارها إيه؟ حسب السعة والضيق، ربنا موسع عليك توسع على أولادك، توسع في النفقة، مضيق عليك؟ خلاص بقدر السعة والضيق.

للأسف، أحيانًا الناس ما بتشوفش الآية دي غير في الضيق بس، يعني لو حاله ضيق يقول لك: أنا أعمل إيه؟ حالي ضيق، {لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ}.

طب أنت بقى حالك واسع؟ لا، ما بيبصش للآية دي! يبقى يجب العكس برضه: ربنا موسع عليك، يبقى توسع على أولادك وزوجتك.

ولا أنت ما بتشوفهاش غير في الضيق بس؟!

{لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ}، إذا كان عندك سعة، وسِّع على الناس، وسِّع على كل اللي حواليك، لو أمورك ضيقة خلاص، ربنا بيعفو عنك.

فما فيش رقم معين للنفقة والسكنى، إنما كل شيء من وجدكم: {ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ}.

وبعد كده بيقول: {وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ}، يعمل إيه يا رب؟ {فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ}، يعني بقدر ما تيسر، {وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ} يعني ضُيِّق عليه، حاله على قده، يعني، {فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ}.

وبعد كده ربنا حط القاعدة العظيمة، قال: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ}.

يعني لا يوجد تكليف إلا في حدود المقدور، القاعدة الأصولية بتقول: لا تكليف بغير مقدور، حاجة خرجت عن قدرتك، اعرف إنك غير مكلَّف بها.

بس ممكن تبص للآية دي بمنظور تاني: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ}، أو: لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

لها نظرة تانية: إن طالما ربنا كلَّفك بحاجة، يبقى هي في وسعك.

مثلًا: ربنا أمرنا نصلي الفجر في الوقت ده، ما فيش حد يقول: لا، أصل أنا ما بعرفش أصحى في الوقت ده، لا، طالما ربنا كلَّفنا به، يبقى هو في وسعنا كلنا.

واحدة تقول لك: لا، أصل أنا ما بستريحش في الحجاب، ظروفي أنا لوحدي، لا، طالما ربنا أمر النساء بالحجاب، يبقى كلهم يقدروا على الحجاب.

لا، أصل أنا ما بعرفش أصلي كل صلاة في وقتها، بجمع بالليل! لا، طالما ربنا أمرنا كده، يبقى هي في وسعنا.

فبص لها من نظرة تانية: إن الحاجات اللي ربنا أمرنا بها، ما تقولش: أنا ما أقدرش، لا، ما هو ربنا أمرك، طالما أمرك يبقى هو في وسعك.

لا، أصل أنا ما أقدرش أبطل السجاير، أصل أنا ما أقدرش أبطل الموسيقى والغُنا، لا، طالما ربنا أمر، يبقى هو في وسعنا، بس أنت اللي ضعيف، الإيمان ضعيف، عايز تقوّي إيمانك، فما تتحججش إن أنا ما أقدرش.

{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ}، لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

لكن فعلًا، إذا خرج عن المقدور، وصار الإنسان عاجزًا فعلًا بالحكم الشرعي، يبقى ده له حل، يبقى له مخرج تاني.

{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ}.

وبعد كده ربنا وعد الوعد العظيم ، قال: {سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا}. الله الله الله على الآية دي وجمالها. هذه من أرجى آيات القرآن ومن أجمل آيات القرآن، لأن الآية جاءت عامة:

{سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا}. لذلك قالوا: لو اجتمع عليك يأس العالم لبددته تلك الآية:

{سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا}. لو اجتمع عليك يأس العالم لبددته تلك الآية.

وقد قال الله: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}[الشرح: 5،6].

فقالوا: لن يغلب عسر يسرين. ربنا ذكر اليسر مرتين وذكر العسر مرة، لأن العسر في نفس الآية: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}. العسر اللي في أول آية، هو اللي العسر في ثاني آية لأنه ذكره بالألف واللام، لكن يسرا ذكرت نكرة، فدل أن الأول غير الثاني: "إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ" "الْعُسْرِ" اللي هو الواحد ده، "يُسْرًا"، "يُسْرًا" ما إن مع العسر اللي هو نفسه: يُسْرًا، يُسْرًا ثاني.

فقالوا: لن يغلب عسر يسرين. وتأمل في السين، ما قالش: "سوف يجعل الله بعد عسر يسرا"، لكن قال: "سيجعل"، لأن "سيجعل" تدل على أن أسرع في الحصول. فلأن الفرج أقرب مما تتخيل، ولأن زوال الهم أقرب مما تتخيل، ربنا خلاها سين بس ولم يقل: "سوف يجعل الله بعد عسر يسرا".

لا تستسلم للأفكار السلبية ولا لوساوس الشيطان. فَوَعْدُ الله أحق بالتصديق.

عامر بن عبد قيس كان يقول: أربع آيات من كتاب الله، إذا ذكرتهن لا أبالي على ما أصبحت وعلى ما أمسيت:

قوله تعالى: {مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ}[فاطر: 2].

وقوله تعالى: {وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ}[يونس: 107].

وقوله تعالى: {سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا}[الطلاق: 7].

وقوله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا}[هود: 6].

واحنا في حياتنا كم رأينا هذا الوعد؟ كم تعثرت ثم تيسرت؟ كم ضاقت ثم فرجت؟ فلك في هذه الحوادث السابقة عبرة في الحوادث التالية:

دائمًا لا تستقيم الأمور على حال واحد. {سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا}

وأخذناها المرة اللي فاتت في قوله تعالى: {قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا}،

الحزن ليه نهاية، والسعادة ليها نهاية.

دائمًا أنت في تقلبات. طب ليه الدنيا بتتقلب بين عسر ويسر؟ لنُعلم ونشعر بنعمة الله تعالى.

فلو دامت على اليسر لم يكن اليسر نعمة، مش هتحس به. فلا بد من فترات العسر حتى تعلم قيمة اليسر.

لابد من المرض لتدرك قيمة الصحة، لابد من الفقر لتدرك قيمة الغنى.
فلو استمر بك العافية تطغى: {كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ}[العلق: 6،7]. سبحان الله .
فقال تعالى: {سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا}. ده لمين؟ ده اللي اتقى ربنا.
نفس الكلام ده اللي التزم بكل اللي فات، ربنا هييسر لك أمورك، والنفقة دي ربنا هيعوضك فيها، {إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ}[الأنفال :70]، وأنتِ ربنا هيكرِمك في ابنك، هيكرِمك في زوج آخر. بس نعمل الصح، ما ننتقمش من الطرف الآخر بترك التقوى. ما حدش بيخسر غير اللي ترك التقوى.
تعالى بقى شوف أقول لك: هيخسر إزاي؟ {سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا}. جه بعديها ايه؟ ركز كده في الآيات:
قال تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرٗا}.
إيه ده؟ هو احنا دخلنا في موضوع ثاني؟ لا، ما دخلناش في موضوع ثاني. احنا في نفس الموضوع. ركز، هو ايه اللي جه ده؟ اللي جه ده ربنا بيضرب مثل بالأمم، بيقول لك ده لو أمة، قرية عتت عن أمر ربها، ربنا يعذبها. أمال مطلقة عتت عن أمر ربها، هيعمل فيها ايه؟ أمال رجل مطلق عتت عن أمر ربه، هيعمل فيه ايه؟
وكأن الله بيقول لك: أنا قدرتي أهلك أمم لو عتت عن أمر ربها وأعذبها عذابًا شديدًا. وكأنه بيضرب لك مثال كبير عشان أنت يا صغير تخاف. أمال أنا بقى لو عصيت ربنا، هيعمل فيا ايه؟ ده أهلك أمم.
وكأن دي رسالة برضه مناسبة للطلاق، لأن أغلب الناس عتوا عن أمر ربهم في الطلاق. تيجي تقول له ربنا بيقول كده، يقول لك: بص، بقول لك ايه؟ ماليش دعوة بشرع ربنا، أنا هجيب حقي، أنا هتصرف، مش هيشوف عياله!
ما هي دي "عتت عن أمر ربها"؟ المرأة اللي بتقول لك مش هيشوف عياله، دي عتت عن أمر ربها ورسله.
اللي بيقول لك: مش هاديها نفقة، هو آخرها الملاليم اللي هبعتهم لها وتبقى تقابلني أصلا لو وصلوا لها. ما هو ده عتت عن أمر ربها ورسله. طب أنا هاخد العفش وأبدده وأرفع عليه قضية بالقايمة، دي عتت عن أمر ربها ورسله. تبقى تشوف بقى المؤخر مين اللي هيجيبه لها؟ ما هو ده عتت عن أمر ربها ورسله.
عيشوا بقى تحدى ربنا، تحدى ربنا اللي أهلك قرى، أنت ولا حاجة.
لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر من عصيت. عشان كده في آخر السورة دي يقول الله تعالى:
{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا}.
خاف ربنا اللي خلق السبع سماوات، مش هيقدر عليك:
{قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ}.
خاف ربنا في الطلاق قبل الجواز، خافِ ربنا في حقوق الرجل اللي طلقك.
خافوا ربنا يا إخوانا في حقوق الطلاق، ربنا بيقول لك: قرية أهلكتها، أمال هيعمل ايه في اللي عتَ عن أمره؟

مش لن ييسر له أموره ولا يشوف خيرًا في حياته.
بص، الآيات بتقول ايه؟ وكأيٍّ مش بيقول لك قرية واحدة، كأيٍّ من قرية يعني ده كثير جدًا حصل كثير، أنت ولا حاجة في الزمان، أنت واحد من اللي هيهلكوا. {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}، تجاوزت أمر ربها، رفضت أمر ربها. {وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا}.
يا الله على الرعب، يا الله بص بقى الكلام، كل نهاية السورة بيعقب على الأحكام دي، بس بطريقة رائعة، راقية جدًا: {فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا}، {وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا} مؤلم رهيب، {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا}.
خد بالك من كلمة "وبال" و"عاقبة". {وَبَالَ أَمْرِهَا} يعني اللي عملته، {وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا} ليه؟ كلمة "عاقبة" جات هنا لأن دائمًا، اللي بيفتري ده في الطلاق بيفكر في ايه؟ مش واخد باله من العاقبة، هو بيبص للمكسب القريب فيقول لك: أنا هاخد حقها ومش هاديها لها، هو كسب، كسبت أنت كده فرحان؟ العاقبة بقى، ربنا لا يوفقك في حياة ولا زواج ولا عمل، ولا يكرمك في دنيا ولا آخرة، ولا ييسر لك أمورك.
تندم بقى على مدار السنين عشان الملاليم اللي أخذتها في الأول وتغرّيت بها. أنتِ بقى مش هتوري له عياله، وهذله، هجرّجره في المحاكم.
فرحتي شوية؟ انتقمنا واتبسطنا وذلينا الراجل شوية، ماشي؟ {عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا}. هتشوفي بقى في الزمن، ابنك ده بكرة يذلك، هيجي لك الزوج الثاني، بقى يمرمطك. ليه يا جماعة؟ ليه نتحدى ربنا؟ فما تفرحش بالمكسب القريب، العبرة بمن يضحك أخيرًا. فلا نكن كالمنافقين.
ربنا قال: {فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}[التوبة: 82].
كان "عاقبة"، عاقبة بص المقالات. أنا ممكن دلوقتي جيت على نفسي، أنا عارف أنا متغاظ ومتضايق، بس هو ده حق، ده حق لازم أؤديه.
فأنا بقول: يا رب، عشانك، عشان التقوى، أنا عملت كده. والله ربنا هيراضيك في العاقبة. وأنتِ مش طايقاه ومش قادرة، مش قادرة أعمل أي حاجة، بس هو حقه، حقه هاديه له. يا رب، لأجلك يا رب، حقه، ما أقدرش أتكلم. رضيت بك يا رب، رضيت بك يا رب. بحكمك، أي حاجة تقولها أنا راضية بها، مع أن نفسي بتنازعني، بس أنا بأرجو الوعد بتاعك، من يتقِ الله. شوفي العاقبة عاملة ازاي؟ والله ربنا هيراضيك في العاقبة، والعكس، {وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا}. {أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ}، هنا تيجي الرسالة: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ}.
يا عاقل، اللي بتفهم، اللي بتقرأ كلام ربنا، يا اللي بتتدبر، اتقوا الله. دي راجع ثاني، الأمر بالتقوى، آدي رقم خمسة أهو في السورة، رقم خمسة في السورة ثاني: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ}.
لو أنت مؤمن بربنا، ترضى بحكمه، تقول لك: ليه ربنا ما يعملش لي نفقة وسكنى؟ عشان أنا يعني مطلقة طلقة ثالثة. ما ترضي بحكم ربنا، هو لو الرسول قدامك وقال لك الحكم ده، كنت هتقول له: لا. طب بتقولي للشيخ: لا. ليه؟ هو الشيخ بيجيب كلام من عنده ولا بيقول لك: قال رسول الله؟ سبحان الله، هتقول: سمعنا وأطعنا.
{يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ}، ربنا بقى بيحفزنا بطريقة جميلة. هو الأول رهبنا، صح؟ وبعد كده في تحفيز بقى: {قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا}.

الله ايه ده؟ يعني ايه الكلام ده؟ يعني ايه: {قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا}؟ اختلفوا فيها على ثلاث أقوال:
ذِكۡرًا في القول الأول: الرسول عليه الصلاة والسلام.
في القول الثاني: ذِكۡرًا يعني القرآن.
القول الثالث ده بقى جميل: {قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا} يعني: "شرفًا وعزًا". يعني العز في الالتزام بشرع الله، الشرف في الالتزام بدين الله.
في قوله تعالى: {لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ}[الأنبياء: 10]، يعني عزكم وشرفكم. كأنه بيحفزك، بيقول لك: الأحكام دي اللي أنت ممكن مش واخد بالك من حكمتها، دي فيها عز الأمة، شرف الأمة، عز المرأة، وعز الرجل. ربنا هيكرمك وهيعزك وهيشرفك. بس التزم بالأحكام دي.
رَّسُولٗا الله أكبر، وكأنه بيحفزك، بيقول لك: دي جاء لك من رسول، يا راجل، اللي هو أرحم بك من نفسك، رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام، اللي هو عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، هو اللي بيقول لك كده.
رَّسُولٗا، الله أكبر عليه الصلاة والسلام، نعمة ربنا لنا: {يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ}. يتلو عليكم إيه؟ آيات الله، تمام؟ {مُبَيِّنَٰتٖ}، واضحة، ليه؟ {لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ}.
ما فيش بديل عن شرع ربنا. أي بديل؟ ظلمات. لا، تقول لي؟ القانون الوضعي أحسن؟ أنا لا، مش عايزة قانون، مش عايزة الشرع، أنا أشوف حاجة ثانية؟ كله ظلمات. ده هو أصلًا طلعنا من الظلمات إلى النور، عايزة ترجعي للظلمات ثاني؟!
{لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ}
ماذا جنت علينا القوانين الوضعية إلا مزيد من المصائب في الدماء والأعراض والبيوت والطلاق...
وده تحفيز ثاني: من الظلمات إلى النور.
ثم قال تعالى، محفز جديد:
قال: {وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ} يرضى بقدر الله ويرضى بحكم الله، {وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا} ينفذ فعلًا، يعمل من الصالحات.
تحفيز أعلى بقي، بص المحفز الجديد ده:
{يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ} مش جنة واحدة، {جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ}. جنات مش جنة واحدة، جنات تجري من تحتها، يعني من تحت قصورها ومساكنها الأنهار.
يا سلام، أي تضحية في الدنيا مش مهم مع أول قدم في الجنة، هننسى كل اللي حصل، مع أول قدم في الجنة مش هتفتكر الفلوس اللي دفعتها والتنازلات اللي عملتها والإحسان اللي أنت عملته، خلاص بقى.
لما يبقى عندك جنات تجري من تحتها الأنهار، كله هيزول. اشتري جنة، مهما تنازلنا دلوقتي، مهما استحملنا، مهما عدينا، مهما تجاوزنا، مهما صبرنا ومسكنا أعصابنا، في الآخر في الجنة هنحمد ربنا إن احنا عملنا رد فعل صح يناسب التقوى.
واللي ما اتقاش ربنا، هو اللي هيندم: {عَذَابٗا شَدِيدٗا}.
ومقابل كده، العكس بقى، اللي بيلتزم: جنات الله أكبر، {جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ}، يا سلام، {خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ}

لا يخرج منها أبدًا، {خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا}.
شوف بقى الكلمة الجميلة اللي جاية دي: {قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا}.
{قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا}، ليه ربنا ما قالش: "قد رزقه الله" مثلًا؟ لا، قد أحسن، أخذت بالك من حاجة؟ ربنا ذكر هنا الإحسان، وكأن مدار الطلاق مش على الحقوق كمان على الإحسان.
{وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ}. يبقى أنت المفروض طرفين يدوا أكثر من الحقوق، أو اللي له حقوق يتنازل، أو المهم نعمل أكثر من المطلوب.
سؤال: لما ربنا أدانا، هل أدانا على قد ما عملنا، ولا أكثر من اللي عملنا؟ أكثر بكثير: {قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا}.
طب ليه احنا بنعامل بعض بالوحدة؟ طب لما أنت عايز ربنا يحسن إليك، ما تحسن لخلق الله.
{هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ}[الرحمن: 60]
الراحمون يرحمهم الرحمن،
ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. هي ماشية كده.
لو أنت ضيقت ومشيتها بالعدل، تحب ربنا يعاملك بالعدل؟
لو أنت بقى ظلمتِ، مستنيه ربنا يعاملك إزاي؟ هو مش هيظلمك طبعًا. بس ده لو عاملك بالعدل تهلكي.
عايزين الفضل، نتعامل بالفضل.
{وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ}، عايزين الإحسان، نتعامل بالإحسان: {قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا}. الله أكبر.
ثم قال تعالى، مبينًا قدرته وعزته ومجده وقوته، عشان الناس تخاف وتهاب وتعرف قدر المعصية في حق هذا الإله العظيم:
{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ}
وإن أنت لا قيمة لك إلا لو ربنا رضي عنك.
{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ} كل سماء أكبر من التي تحتها.
بص الدنيا دي كلها، شوف التلسكوبات بتجيب صور على بعد سنوات ضوئية. عارف كل الصور اللي أنت بتشوفها دي؟ دي السماء الدنيا!
السماء الثانية أكبر من الأولى، والثالثة أكبر من الثانية، لغاية السماء السابعة أكبر من السادسة، وبعد كده كرسي العرش: {وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ}[البقرة: 255].
بعد كده العرش أكبر من الكرسي، ثم رب العزة: {ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ}، لا الكرسي يسنده، ولا العرش يحمله، بل الكرسي وعظمته، والعرش وحملته كلهم محمولون بقوة الله ولطفه سبحانه وتعالى.
أنت هباءة في ملك الله: {ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ}، يعني سبع أراضٍ أيضًا، خلق سبع أراضٍ سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث: «مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَاضِينَ».
{وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ} يعني خلق سبع أراضٍ.
{يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ}، الله!! ينزل أمر الله، من هيقبله؟ من هيرفضه؟ وينزل الأمر القدري بالأرزاق والإحياء والإماتة والضر والنفع،

ليه ربنا خلق كل ده؟:
{لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا}.
هنا ربنا بين علة، وفي سورة الذاريات بين علة ثانية.
هنا قال: {لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}، طب علمنا أن الله على كل شيء قدير.
يبقى خش على العلة اللي بعديها: {وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ}، يبقى إذًا دي مرتبطة بدي، لما نشوف خلق ربنا، نعلم أنه على كل شيء قدير، وأنه يقدر على أن يحيي الموتى، ها؟، وأن هذا من أدلة قدرته على البعث، وأنه يستحق العبادة، ولا يوجد أحد غيره يستحق العبادة.
وبالتالي ننتقل للعلة الثانية المنصوص عليها: إن احنا نعبده ولا نشرك به شيئًا.
طب وإيه اللي يخليني أستقيم على العبادة دي، وأبقى كويس ونمرة واحد، وأحاول ما أغلطش وأراقب؟
{وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا}
ومدار التقوى على علمك أن الله يعلم، وإن أنت مهما استخبيت، مش هتعرف تعصيه. كما جاء رجل إلى أحد الصالحين قال: "أريد أن أعصي الله". قال: "إذا أردت أن تعصي الله فافعل ما آمرك به. إذا أردت أن تعصي الله فاعصه على أرض لا يملكها". قال: "كيف أعصيه وهو يملك جميع الأراضي؟" قال: "إذا أردت أن تعصي الله فاعصه بغير رزقه. إذا أردت أن تعصي الله فاعصه في غير ملكه". فعلم الرجل أنه لا مجال للمعصية.
{لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا}
فالعلم قبل العمل. اعلموا فاعلم أنه لا إله إلا الله من خلال بقى الآيات الكونية والآيات المقروءة ورسالة الرسل والوحي، واستغفر لذنبك، هو ده العمل اللي هو العبادة، وتقوى الله وتوحيد الله سبحانه وتعالى.
شفنا السورة العظيمة دي، رائعة رائعة. أنا أزعم إن هذه السور من أرق سور القرآن على خلاف الصورة البديهية عند الناس، ومن أسهل سور القرآن في الحفظ لما نفهمها. خلاص كده كل حاجة واضحة وكل حاجة مترتبة، والمحَفّزات وإزاي وعلاقة الآية دي بالآية دي.
أرجو إن احنا نكون استمتعنا، استمتعنا بس بالرحلة الطيبة دي في سورة الطلاق. اكتبوا لي في التعليقات: استفدتوا إيه من السورة، وهل بقى سهل حفظها ولا مش سهل؟ وفعلًا مستمتعين بها، وإيه اللي تغير فيكم؟ إيه الأفكار اللي تغيرت؟ وإيه الصور اللي تغيرت؟
وعز المرأة بهذه السورة بقى عامل إزاي؟ يا رب تحفظوها، تصلوا بها، تستمتعوا بها. ربنا يوفقكم لكل خير. أحبكم في الله. إن شاء الله نتقابل بقى المرة القادمة مع سورة التحريم. جزاكم الله كل خير.
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. السلام عليكم ورحمة الله

مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

السادسة عشر

فن إدارة الخلافات الزوجية
سورة التحريم (1)

علاء حامد
Alaa Hamed

الحمدُ لله، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى الله عليه وسلم. أمَّا بعد:

أهلًا ومرحبًا بكم في لقاءٍ جديد، وهو اللقاءُ قبلَ الأخير من لقاءات هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدرسة قد سمع. الحقيقة طُفنا في سور هذا الجزء المبارك، جزء قد سمع، ورأينا وتعلَّمنا الكثير والكثير، رأينا حكمةَ الشرع، ورأينا قدرَ النبي عليه الصلاة والسلام عند الله، رأينا معاني من الولاء والبراء، وتعرَّفنا على الصحابة الكرام، ورأينا قدرَ المرأة في الإسلام، وكيف أن هذا الجزء وُجد فيه الكثير والكثير من هذه المعاني.

ولسه النهاردة، أو المرة الجاية كمان، والمرة دي هيكون معانا كثيرٌ جدًا من النماذج دي في سورة التحريم.

آخر مرة تكلمنا في سورة الطلاق، وأظن يعني إن احنا وصلنا إن هذه السورة من أرقى سور القرآن، ومن أكثر السور اللي بترقِّق القلب، يعني على خلاف الصورة الذهنية المعهودة لسورة الطلاق. ويا رب نكون حفظناها واستمتعنا بها، وبقت سهلة في الحفظ، وتعلَّقنا بها. وشوفنا إن سورة الطلاق لو سميناها اسمًا ثانيًا، نسميها سورة التقوى.

سبحان الله، يعني بعد ما انتهت سورة الطلاق، تأتي في جزء قد سمع سورة التحريم. وسورة التحريم بتعطينا نموذجًا عن سياسة البيت المسلم، وتعطينا نموذجًا عن التربية، ودور الرجل والمرأة، والبيت المسلم، والتربية في قوله:

{قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا}

تعطينا بعد كده نماذج عن نساء صالحات ونساء فاسدات، كيف انتهى بهنَّ الحال؟

خلينا الأول نقرأ السورة، أو نقرأ الصفحة الأولى منها، وبعد كده نتكلم بقى، نتعرَّف على السورة ومواضيعها، ونستعين بالله ونتوكل عليه في التوفيق، وننتوي نية طيبة في مجلس العلم، نسأل الله أن يسهل لنا به طريقًا إلى الجنة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (1) قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ (2) وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ (3) إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا (5) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ (6) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (7)

هذه الآيات الكريمة المباركة من سورة التحريم. سورة التحريم سورةٌ مدنيةٌ طبعًا بلا خلاف، تكلمت السورة في البداية عن أنَّ الله سبحانه وتعالى نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُحرِّم عليه شيئًا من أجل إرضاء زوجاته. سنرى يعني إيه الشيء اللي النبي عليه الصلاة والسلام حرمَّه على نفسه،

وحصل عتابٌ لزوجات النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم بدافع الغيرة عملوا كده، نوعٌ من الحيلة على النبي عليه الصلاة والسلام عشان ينفِّروه عن شيءٍ معين بسبب الغيرة.

دي على قولين: إمَّا نفَّروه من العسل اللي كان بيأكله في بيت زينب بنت جحش، أو عايزين ينفِّروه عن إتيان بعض مِلْك اليمين، زي ماريا، لما كان يأتيها، فكانوا بيغيروا من الموضوع ده. فتكلموا معه، أو غضبوا لذلك، أو أظهروا يعني الغيرة، فالنبي عليه الصلاة والسلام حرَّم على نفسه ماريا. فقيل هذا، ده قول.

والقول الثاني: إنَّه حرَّم على نفسه العسل، وحلف على كده عليه الصلاة والسلام، فنزلت الآيات تعاتب، وتبيِّن للزوجات إنهم المفروض إنهم يسعوا في رضا النبي عليه الصلاة والسلام، مش هو اللي يسعى في رضاكم، أنتم اللي المفروض تسعوا في رضاه، وما كان ينبغي إن يحدث هذا منكم، يعني أن تُشقُّوا على النبي عليه الصلاة والسلام، وتضطروه إن هو يمنع نفسه عن حاجة هو بيحبها، يعني هو بيهواها وبيحبها، فليه تمنعوه منها بسبب الغيرة

وأمرهم الله تعالى بالتوبة:

{إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ}،

وهدَّدهما إن هما إذا عادوا إلى مثل هذه الأفعال مرةً ثانيةً، إن النبيَّ عليه الصلاة والسلام يُطلِّقهن، وربنا يُبدله أزواجًا خيرًا منهن.

وبعد كده تناسب بقى مع كده إن تأتي السورة ببيان مسألة متعلقة بمسؤولية الأهل عن أولادهم، ومسؤولية الرجل خاصةً عن أهل بيته:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ}،

مسؤولية الرجل عن تربية أهل بيته.

وبعد كده ربنا ضرب مثالًا بالملائكة إنهم: {لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ}، على اعتبار إن ده مناسب للسورة؛ لأن السورة تحث على التزام أمر الله، وتحث نساء النبي عليه الصلاة والسلام على التوبة والاستقامة، وعدم إيذاء النبي عليه الصلاة والسلام.

بتضرب مثالًا بالملائكة إنهم: {لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ}، وتبيِّن بقى عاقبة اللي هو ضلَّ تمامًا زي الكفار، إيه اللي ممكن يحصل فيه في قوله تعالى:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ}.

وبعد كده تكلمت على التوبة، وآية كاملة هتتكلم على التوبة، وده مناسب برضه؛ لأن ربنا تكلم عن توبة نساء النبي عليه الصلاة والسلام، فناسب أن يأتي ذكر التوبة:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا}،

وبيان فضل التوبة وأجر التائبين عند الله تعالى.

وبعد كده انتقلت بنا السورة إلى الكلام على نماذج لنساء ضلُّوا وانحرفوا وكفروا، ورغم أنهم زوجات أنبياء، زي امرأة نوح وامرأة لوط، لم ينفعهم ذلك، وإنما ضاعوا بسبب الكفر.

وضرب بعد كده مثالًا ثانيًا لنساء، يعني زي امرأة فرعون، اللي لم يتوفر لها أي بيئة صالحة؛ لا كان زوجها صالحًا، ولا كان مجتمعها صالحًا، ولكنها صارت من خير نساء الدنيا، وبنى الله لها بيتًا في الجنة، وكأن المعنى بيقول: إن المرأة بعملها، وليس بنسبها ولا قرابتها.

فدول اثنين نساء زوجات نبي، لم ينفعهم هذا النسب:
{وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ}.
ودي امرأة لم يكن لديها أي ظروف تسمح لها بالاستقامة والالتزام، واستطاعت إن هي تستقيم وتلتزم، وعَلَت جدًّا عند ربنا، وإنما ذلك بالعمل.
وخُتمت بقى السورة بذكر مريم عليها السلام كنموذج، يعني أعلى نموذج من نماذج النساء، فهذه السورة جميلة جدًا، وفيها معانٍ جميلة، وسبحان الله، تُختم بقوله تعالى:
{وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ}،
عن مريم عليها السلام.
وكأن في دعوةٍ إلى استقامة المرأة، وطول طاعتها لله سبحانه وتعالى، وإن ده فعلًا عزُّ المرأة وشرفها في عبادة الله سبحانه وتعالى.
طيب خلُّونا نبدأ بقى نمسك السورة كده واحدة واحدة، ونستعين بالله.
قال تعالى:
{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ}.
أول شيء: نداء يا أيها النبي يدل على قدر النبي عند الله سبحانه وتعالى، فإن الله ما زال، كما رأينا في سورة الطلاق، يناديه بالنبوة حتى عند العتاب،
يعني ممكن الواحد يعطي ألقابًا للآخر لما يكون في وضع مثلًا استئناس أو كده، وبعد كده يُلغي اللقب عند العتاب، لا؛ الله سبحانه وتعالى حتى في العتاب ينادي النبي عليه الصلاة والسلام بصفة النبوة والرسالة، وهذا في بيان شرف النبي عليه الصلاة والسلام وقدره عند الله تعالى.
طيب هنا العتاب على إيه بقى؟
ربنا بيقول له:
{لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ}.
طيب، يبقى هنا اللي حصل: النبي عليه الصلاة والسلام عشان غيرة الزوجات، حرَّم على نفسه حاجة.
إيه هو اللي حرَّمه على نفسه عليه الصلاة والسلام؟ يوجد روايتين:
الرواية الأولى في البخاري، تعالوا نقرأ الرواية دي ونفهمها، وبعد كده نشوف الموضوع الثاني، ونشوف بقى إيه أنهي مسألة هي اللي حصلت.
أول حاجة:
{لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ}؟
روى البخاري في كتاب الأيمان والنذور عن عبيد بن عمير، قال: سمعتُ عائشة، تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلًا، فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟
فدخل على إحداهما النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له». وفي رواية: «بل شربت عسلًا، ولن أعود له، وقد حلفت، فلا تُخبري بذلك أحدًا»، يعني لا تُخبري أحدًا بذلك، يعني كان الكلام مع عائشة رضي الله عنها وأرضاها.
فنزل قوله تعالى:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ}
إلى قوله تعالى:
{إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ}.
خلاص، يبقى الرواية دي نفهمها الأول، اللي حصل كالتالي:
النبي عليه الصلاة والسلام كان من عادته إن هو بيمرُّ على نسائه من بعد العصر، يعني ممكن النهاردة تبقى ليلة عائشة أو ليلة حفصة، فكان عليه الصلاة والسلام من عادته إن هو بيمرُّ على نسائه كلهم، حتى لو ليلة فلانة.
بيمر على نسائه بعد العصر ليطمئن عليهم، وده جائز؛ لأن العدل المأمور به بين الزوجات في المبيت، يعني لو الليلة دي ليلة عائشة، يجوز أن يمر على نسائه في النهار عادي، إنما الفكرة يبيت عند عائشة أو يبيت عند حفصة.
أما في النهار، فله إن النبي عليه الصلاة والسلام يذهب لأي مكان عادي، فكان يمر على زوجاته، وفي الآخر يبيت عند اللي دي ليلتها، فاكتشفوا إن النبي عليه الصلاة والسلام كان يطيل شوية عند السيدة زينب، فقد كانت السيدة عائشة والسيدة حفصة يتابعونه جدا، خصوصًا السيدة عائشة؛ بسبب شدة حبها للنبي عليه الصلاة والسلام، كانت تغار عليه جدًا، فكانت ممكن تتتبع أين يذهب، وقد لاحظت أنه قضى وقتًا أطول عند السيدة زينب بنت جحش، فحبت تعرف السبب.
فعرفت أن زينب كانت تحضّر له طعامًا و تسقيه نوعًا من العسل الجميل، لكي يحب أن يطيل الجلوس عندها اكتر وهذا لحب زينب للنبي عليه الصلاة والسلام.
الشاهد: أن السيدة عائشة غارت لأن النبي كان يقضي وقتًا أطول عند زينب عن غيرها، فاتفقت مع السيدة حفصة، وقالت لها: «نريد أن نجعله لا يشرب هذا العسل، فهو لو لم يشربه، لن يطيل عند السيدة زينب».
قالت: «ماذا نفعل؟» قالت: «عندما يدخل علينا، نقول له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟»
المغافير: مادة صمغية تشبه العسل، طعمها حلو، لكن رائحتها كريهة نوعًا ما. والمفرد (مغفور).
كان القصد: أن النبي عليه الصلاة والسلام أبغض شيء إليه هو الرائحة الكريهة، وكان يحب الروائح الطيبة جدًا، وكان يضايقه أي شيء في رائحة فمه أو جسمه، فكان يعتني بمسألة الرائحة، وهذه رسالة للرجال والنساء في البيوت أن يهتموا بطيب الرائحة، خاصة الرجل عند دخول البيت.
يعني مهما كنت راجع من عمل أو مكان، احرص على التعطر قبل الدخول إلى المنزل، ليكون هناك ألفة بين الزوجين، والزوجة دائمًا تكون في حالة جميلة وعطر جميل، وألا يشم الزوجان من بعض أبدًا رائحة كريهة.
فقالت له: «يوجد رائحة مغافير، أكلت مغافير؟»
النبي عليه الصلاة والسلام استغرب، وقال: «أنا لم آكل مغافير، بل شربت عسلًا عند السيدة زينب»، ويتكرر ذلك عند السيدة عائشة فقال عليه الصلاة والسلام لن أعود له، وحلف على ذلك، وطلب من السيدة عائشة ألا تخبر أحدًا:
{وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا}.

لماذا «لا تخبري أحدًا»؟ لكي لا يصل الكلام لزينب فتزعل، فهذا يظهر أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يراعي مشاعر زينب، ولا يريد أن يجرح إحساسها. فلم يقل هي تعطي لي حاجة ذات رائحة كريهه سوف أذهب إليها لأعاتبها، لا هو سينسحب تدريجيا ولا يأكل العسل ده بلطافة حتى لا يجرح أحساسها.

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يراعي المشاعر وسوف نري الان التعليق على قوله تعالى:

{تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ}

يعني المفروض من يرضى من؟ الزوجات، أم النبي؟ الزوجات هن اللاتي يجب أن يسعين لإرضاء النبي عليه الصلاة والسلام، وليس النبي هو الذي يسعى لإرضاء زوجاته.

لكن النبي كان، سبحان الله، قمة الأخلاق والذوق والأدب والرقي في تصرفاته، حتى مع زوجاته.

الزوجة تعتبر أهله، والأخلاق الحقيقية تظهر مع الأهل، فكانت أرقى أخلاقه تظهر مع الزوجة، وخيركم خيركم لأهله:

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «وأنا خيركم لأهلي».

هذه الرواية الأولى، فهمناها؟

الرواية الثانية تقول إن النبي عليه الصلاة والسلام أتى ملك اليمين ماريا المصرية، التي أهداها له المقوقس. كانت أسلمت، وما زالت ملك يمين للنبي عليه الصلاة والسلام، ويجوز للرجل أن يأتي ملك اليمين.

فزوجاته عرفن، خاصة حفصة رضي الله عنها، فحصلت غيرة، والنبي رأى الغيرة من النساء، فحب أن يرضيهن، فأعلن أنه حرم على نفسه إتيان هذه الجارية (ملك اليمين)، وحلف على ذلك أيضًا.

طيب، يبقى إحنا عندنا دلوقتي روايتين: الرواية الأولى تتكلم عن زينب والعسل بتاعها، الكلام ده، والرواية الثانية تتكلم عن ملك اليمين. طيب، والروايتين بيذكروا في سبب نزول الآية الأولى دي.

طيب يا ترى بقى إيه هو الصح؟ العلماء لما بيكون في سببين نزول، والاثنين صح، يعني: عارف لو في سبب نزول منهم لم يصح، كنا هنستبعده. لكن سببين النزول دول وردت بهم رواية صحيحة، وسَبَب نزول صريح كمان، يعني حصل كذا فأَنزل الله كذا. فالروايتين سبب نزول صريح وصحيح.

دلوقتي، العلماء معاهم سببين نزول، والاثنين فعلًا سبب نزول واضح، والاثنين رواية صحيحة.

العلماء لهم مسلكين في التعامل مع الموضوع ده:

المسلك الأول: إنهم يختاروا الرواية الأصح ويقولوا: هي دي الأصح، وبالتالي يغلب على الظن إن هي سبب النزول الحقيقي.

فعندنا هنا: إيه الرواية الأصح؟ الرواية الأصح هي رواية عائشة في البخاري، اللي هي قصة زينب والعسل. فكثير من العلماء، بل عامة العلماء، بيعتمدوا على الرواية دي فقط لما يتكلموا على سبب نزول الآية الأولى في سورة التحريم.

لذلك ابن كثير رحمه الله في كتابه تعرض للرواية دي فقط، ولم يتعرض للرواية الثانية. يبقى دي الطريقة الأولى، استبعاد الرواية الأقل صحة، واعتماد الرواية الأصح.

الطريقة الثانية: عند العلماء لما يلاقوا حاجتين كده، يقولوا: لعل الموضوعين حصلوا متزامنين مع

بعض، يعني بالتزامن تقريبا، حصل موضوع العسل و زينب، وفي نفس التوقيت تقريبًا حصل موضوع الجارية، فتسبّب الموضوعين في غيرة النساء، وعرف النبي ذلك فحرم على نفسه العسل وحرم على نفسه الجارية، فنزلت الآية مرة واحدة لتعاتبه على الموضوعين معًا.

فهمنا الفكرة؟ يبقى ده الاحتمال الثاني.

يبقى إحنا تكلمنا، وطبعًا، الأرجح والله تعالى أعلم أن يكون السبب هو موضوع زينب، إلا أن يكون، والله تعالى أعلم، حصل موضوع الجارية بالتزامن، فنزلت الآية للموضوعين معًا.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ}

طبعًا لو قلنا إن الرواية الأصح هي رواية عائشة مع زينب، هذا يبين مسألة مهمة: إن كان في تنافس دائم بين عائشة رضي الله عنها وبين زينب بنت جحش، ليه؟ لأن زينب بنت جحش تعتبر المرأة الثانية في قلب النبي عليه الصلاة والسلام بعد عائشة. طبعًا السيدة خديجة كانت الأفضل مطلقًا، لكن في الأحياء من زوجات النبي عليه الصلاة والسلام، كانت السيدة عائشة ملكت قلب النبي عليه الصلاة والسلام، وكان يسأل عليه الصلاة والسلام: «أي الناس أحب إليك؟» يقول: عائشة، ثم نمرة إثنين: زينب.

ودي بشهادة عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما قالت عن زينب: «وهي التي تساميني من زوجات النبي عليه الصلاة والسلام»، يعني منزلتها قربت من منزلتي في قلب النبي عليه الصلاة والسلام.

أنا عايز أقول الكلام ده ليه؟ لأن كان في غيرة بين الاثنين دول بالذات، بل كان زوجات النبي عليه الصلاة والسلام فريقين: فريق مع السيدة عائشة ومعها حفصة، وفريق مع السيدة زينب بنت جحش، وكان الفريقان دائمًا بينهم تنافس، سبحان الله.

يعني النساء، طبعهم بيحصل بينهم الغيرة، بل ممكن يحصل بينهم نوع من المكائد.

أنا عايز أوصل ليه؟ عايز أوصل لفضل زينب بنت جحش. ليه بقى؟ لأن زينب بنت جحش كان عندها فرصة هائلة مثالية للإطاحة بعائشة رضي الله عنها والتربع على العرش في قلب النبي عليه الصلاة والسلام.

وهي لما اتُهمت السيدة عائشة في حادثة الإفك في عرضها والموضوع كذب، وده ما حصلش، فالنبي عليه الصلاة والسلام اختبر زينب فقال لها: «يا زينب، ما تعلمين عن عائشة؟» شوف بقى، الاختبار ده كان فرصة، منافسة شديدة، فرصة سانحة لو بس قالت كلمة خلاص، هبقى أنا نمرة واحد.

ولكن سبحان الله، كانت شديدة الورع زينب، فقالت: «يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله يا رسول الله ما علمت عن عائشة إلا خيرًا».

والسيدة عائشة مش بتنسى لها أبدًا الموقف ده، تقول: «لقد عصمها الله بالورع، وهي التي كانت تساميني من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم»، فسبحان الله.

الشاهد: ده الموقف عشان تفهموا ليه السيدة عائشة كانت مركزة أوي مع زينب بنت جحش، لأن في حب شديد للنبي عليه الصلاة والسلام، لدرجة إنها بتحسب له قعد عند كل واحدة قد إيه وبتغير كمان.

لذلك، هو ده اللي بيخلي الموضوع يحصل فيه تجاوز عند النبي عليه الصلاة والسلام، يعني رغم كل اللي حصل، هو يعلم إن الدافع من ده نوع من الحب والدلال. وتعلمون يعني: إن المرأة مع زوجها

ممكن يحصل ويقبل منها حاجات مش بيقبلها من غيرها.
وكلنا كده، يعني ممكن الواحد يتعامل مع الناس بطريقة ويطلب منهم كمان معاملة بطريقة معينة، لكن مع زوجته بيتسامح ويتساهل في كثير من التصرفات على اعتبار العشرة والحب ومراعاة الدلال والغيرة والكلام ده.
فده مستوعب، يعني إن السيدة عائشة يحصل منها كده، والنبي عليه الصلاة والسلام كان مستوعب جدًا، وكان مستعد كمان إن هو يتجاوز تمامًا عن الحيلة اللي حصلت دي، وكمان كان مستعد إن هو يسعى في مرضات زوجاته رغم كل شيء.
كان النبي عليه الصلاة والسلام لطيف جدًا في معاملته للنساء، وكان رفيقًا جدًا جدًا في معاملته لزوجاته عليه الصلاة والسلام.
لكن الفكرة إن عند ربنا الموضوع كبر، يعني لأن الموضوع ده شق على النبي عليه الصلاة والسلام وتسبب في حرمانه من شيء بيحبه، فربنا دافع عن النبي عليه الصلاة والسلام، كما قال في شأن المؤمنين: {إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ}.
بس أنا عايز الأول نقف مع قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ}.
تأمل في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ}. يعني سبحان الله، النبي عليه الصلاة والسلام كان بيسعى في إرضاء زوجاته، وهو من هو عليه الصلاة والسلام، ففي كمال خلقه ولطفه الشديد مع الزوجات، لدرجة إن هو كان يسعى في إرضاء الزوجات.
سبحان الله، يعني رغم إن المفروض العكس، المفروض مين اللي يسعى في رضا مين؟ النبي يسعى في رضا زوجاته، أم هن من يسعين في إرضاء النبي عليه الصلاة والسلام؟!
يعني ده يا جماعة، إحنا بنتكلم عن واحد ربنا يسارع في رضاه.
وقد قالت ذلك السيدة عائشة عندما قالت يا رسول الله: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، يعني من كثر ما شافت، أولًا النبي عليه الصلاة والسلام مجرد بس كان نفسه القبلة تتحول، ربنا قال له: {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ}[البقرة: 144]. وقال له: {وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ}[طه: 130]. ويقول له أيضًا: {وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ}[آل عمران: 176]
{فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ}[فاطر: 8].
فالله ما زال يسارع في إرضاء النبي عليه الصلاة والسلام.
طب، واحد ربنا يسارع في إرضائه وفي هواه، يبقى المفروض نعمل إحنا معاه إيه؟ فتخيلوا النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الجلال والقدر عند الله سبحانه وتعالى، وهو نفس الشخص ده يتواضع جدًا، ويتحمل الغيرة من زوجاته، بل كمان يحاول يرضيهم بأي شكل، حتى لو تنازل عن حقوقه، حتى لو منع نفسه من شيء يحبّه، حتى لو حرم على نفسه شيء يحبّه.
سبحان الله، فنقول: هذه أخلاق الكرام، هذا سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، فهنيئًا لمن تأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل من أولوياته أن ترضى زوجته، وجعل رضا أهله من الحاجات المهمة جدًا اللي يحرص عليها كل يوم، حتى لو تنازل عن أمور أو جه على نفسه شوية.
وده بنشوفه الحقيقة في الرجال الكرام، هو ده طبع الرجال الكرام، خلاف الصورة الذهنية اللي

بنسميها "سي السيد"، اللي هو يعني عايز زوجته ترضيه دائمًا مهما حصل، مهما تعبت، مهما جه عليها، مهما ظلمها، مهما آذاها. ده "سي السيد" نقول هذا المصطلح خطأ تمامًا، لأن السيادة هي في إكرام الزوجات.

وهذا سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، هذه أخلاقه، وهذا طبعه، وهذا سعيه. فإذا أراد الإنسان يكون "سي السيد"، زي ما بنقول، ف "السيّد" هو الذى يتلطف مع زوجته، يحاول يرضيهم، ويخفف عنهم.

السيدة عائشة كانت تقول: كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا مرض أحد من زوجاته، لم يطلب منها شيء، بل كان يرقيها بالمعوذات، وكان يكون في خدمة أهله عليه الصلاة والسلام، وكان يدخل على عائشة، يقول: ما عندنا من طعام؟ تقول: ما عندنا طعام، يقول: إني صائم. وكان يتحمل كثيرًا عليه الصلاة والسلام.

وكانت كما تقول امرأة عمر، كما سيأتي معنا في الحديث، أن زوجات النبي عليه الصلاة والسلام تخاصمه إحداهن إلى الليل، يعني تزعل منه وتخاصمه، ما تكلموش لغاية الليل، عادي، يتجاوز عليه الصلاة والسلام.

السيدة عائشة، في يوم كان النبي عليه الصلاة والسلام عازم الصحابة على أكل، ففي واحدة من زوجاته بعتت له قصعة فيها طعام، فالسيدة عائشة غارت، فمسكت القصعة، نزلتها وكسرتها على الأرض. فالنبي عليه الصلاة والسلام عدى الموضوع، وقال: "غارت أمكم"، وأمرها إن هي تعوضها، تعمل قصعة ثانية، وتعوض الطعام والكلام ده.

فالشاهد يعني، إن النبي عليه الصلاة والسلام كان يتحمل من الزوجات الأمر الكثير، رغم أن ده لو شفنا مقام النبي عليه الصلاة والسلام، هذا شيء لا يحتمل، لا يحتمل في جناب النبي عليه الصلاة والسلام.

لكن سبحان الله، أولًا هو كان بيتسامح في كده، وده اللي يمكن مخليهم يتجرؤوا شوية على النبي عليه الصلاة والسلام، رقة طبعه وسعة صدره وهدوءه وتحمله، يعني عليه الصلاة والسلام.

يمكن ده اللي مخليهم، عندهم جرأة شوية، وطبعًا معلوم إن الزوجة لها جرأة على الزوج أكثر من أي حد بسبب العشرة والعلاقة الحميمة والعلاقة القوية اللي بين الزوجين.

يحصل إن بيحصل من الزوجة حاجات ممكن أنت متتخيلش، تقول إزاي؟ أنت تقبل من زوجتك تعمل كده؟ تقول له، يعني زوجتي؟ طبيعي إن الإنسان يقبل من زوجته ما لا يقبله من غيرها. وده اللي خلى الموضوع يمر عادي.

فسبحان الله، ولو حتى اعتبرنا إن ده نوع من الإيذاء للنبي عليه الصلاة والسلام، فنقول هذا شيء يغتفر لهن، ويكون مثل القطرة في البحر، فخطأهن يغمر في بحر الحسنات.

الحديث بيقول: "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث". فهؤلاء زوجات النبي عليه الصلاة والسلام، هن من هن عائشة اللي عملت كده فعلًا.

النبي عليه الصلاة والسلام كان بيقول فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، ورغم كل اللي كانت بتعمله عائشة رضي الله عنها وأرضاها، كان يسأل عليه الصلاة والسلام: "من أحب الناس إليك؟" يقول: "عائشة".

فسبحان الله، زي ما يحصل دائمًا، الإنسان اللي قدره عالي يتجاوز له ما لا يتجاوز عن غيره. زي ما حصل من حاطب بن أبي بلتعة، وخدناها في سورة الممتحنة، إن هو بلغ قريش بطريقة ما، أو أراد أن يبلغ قريش بمقدم النبي عليه الصلاة والسلام في فتح مكة.

الحمد لله، النبي عليه الصلاة والسلام عرف، وسامحه، لأن هو شهد بدرًا، وقال: "إن الله اطلع إلى أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم".

فأريد أن أقول إن ما يحصل من زوجات النبي عليه الصلاة والسلام لا ينقص من أقدارهن أبدًا.

{تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ} أدب جميل بنتعلمه.

رغم أن السورة أصلًا جاية تعاتب الزوجات، لكنها في ثناياها تبين قدر المرأة، أو آداب معاملة الزوجات في أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

هذه أول حاجة: {تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ}.

قال الله تعالى: {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}. بعد كده ربنا قال له الحل: {قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ}، لأن هو حلف بالفعل، فقال له: لا، في كفارة، يعني في تحلة الأيمان تتحلل من اليمين ده، وتطلع منه، وترجع ثاني للحاجة اللي أنت حرمتها على نفسك.

مش المفروض تعمل كده، مش المفروض إن أنت اللي ترضيهم، المفروض هم اللي يرضوك.

فالله سبحانه وتعالى، طبعًا، إحنا قلنا النبي بيتجاوز عن حقه، لكن الموضوع كبر أوي عند ربنا سبحانه وتعالى. ووصل لتهديدات، زي ما هنشوف: {إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ}.

إيه كل ده؟ كل ده عشان حفصة وعائشة؟ آه ما هي مش فكرة حفصة وعائشة، الفكرة إن النبي عليه الصلاة والسلام بيتعرض للإيذاء الآن، والموضوع بيكبر أوي عند ربنا سبحانه وتعالى.

ده أبو بكر وعمر لما رفعوا صوتهم؟ مش رفعوا صوتهم على النبي، لا، رفعوا صوتهم، والنبي واقف، فنزل قوله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}[الحجرات: 2].

ولما الصحابة طولوا شوية عند النبي عليه الصلاة والسلام في بيته، فتأذى، يعني عايزهم يمشوا، بس هو من شدة أدبه، مش قادر يقول لهم حتى.

فنزل العتاب من رب العالمين: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ}[الأحزاب: 53].

سبحان الله، فانظر إلى قدر النبي عند الرب العليّ، لذلك نقول: إن قدر النبي عند الله لا يعلمه إلا الله.

إحنا في الحقيقة ممكن نقول: إن إحنا لا نعرف قدر النبي عليه الصلاة والسلام، ومدى الخلّة التي بين الله وبين النبي عليه الصلاة والسلام، واتخذ الله إبراهيم خليلاً، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: "صاحبكم خليل الرحمن"، فأي خلّة هذه التي بين الله وبين النبي عليه الصلاة والسلام؟

سبحان الله، يعني فنزل: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ}، يعني تحلل من هذا اليمين، ورجع ثاني للحاجة اللي أنت بتحبها، وهم اللي المفروض يسعوا في رضاك. {وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ}.

بعد كده ربنا بيحكي تفاصيل الموقف، قال تعالى: {وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا}.
يعني ده الموقف حصل مع حفصة رضي الله عنها، والنبي عليه الصلاة والسلام أسر لها الموضوع وقال لها، كما في الرواية: لا تخبري أحدًا، يعني هو مش عايز الموضوع يطلع برَّه.
وده أدب بنتعلمه برضو في المعاملة داخل البيت: أسرار البيت لا يطلع عليها أحد. وإن إحنا لما نيجي حتى أنا وزوجتي نتعاتب، ما نتعاتبش قدام حد، وحتى لو تعاتبنا لوحدنا، ما فيش حد يعرف اللي حصل بينا بعد كده.
ده مهم جدًا في فن علاج المشاكل بين الأزواج، إن قدام الناس إحنا عادي، حتى لو هنتعاتب، نتعاتب ما بينا، ولو تعاتبنا ما حدش يعرف. تمام؟ ويكون حوار راقي ما بينا.
زي ما هنشوف دلوقتي: رُقي النبي عليه الصلاة والسلام في عتاب حفصة، فدي مسألة مهمة. {وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ}، إحنا قاعدين في البيت والولاد موجودين، عايزين نتعاتب، نخش نقفل على نفسنا ونتكلم وصوتنا ما يطلعش للولاد، أو نستنى لما ينزلوا ونتكلم مع بعض، أو آخدها ونخرج بره ونتكلم بالراحة في مكان هادئ لوحدنا.
لكن قدام الناس ونزعق، أو قدام أهلها، أو قدام أهلي، هذا خطأ رهيب في التعامل مع المشاكل، ويخلي المشاكل ما تتحلش أبدًا، لأن بيخش بقى: أنت قلت لي قدامهم، وأنتِ قلت لي قدامهم، وأحرجتني قدامهم، ونطلع من الموضوع الأساسي ونخش في موضوع الإحراج اللي حصل قدام الناس.
{وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا}، {فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ}. طبعًا النبي عليه الصلاة والسلام عرف منين أصلًا؟ بالوحي: {قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ}. ربنا أوحى له بكل القصة اللي حصلت، ومين اللي عمل كده، وقالوا إيه، وحصل إيه، فعرف.
طيب، هل استشاط غضبًا؟ أو راح مسكها وضربها وشتمها؟ لا، ما فيش الكلام ده، حتى وهو بيتكلم، بيتكلم بهدوء جدًا، بيتكلم عادي.
{وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ}، عرف النبي عليه الصلاة والسلام، فجيه برضه بطريقة هادئة، وتكلم بكل هدوء في الموضوع، عايز يصلح عليه الصلاة والسلام.
قال تعالى: {عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ}.
{فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ}، قال لها باللي حصل بالتفاصيل، {قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ}؟ طبيعي، {قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ}، سبحانه وتعالى.
هنا وقفة مع قوله تعالى: {عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ}.
لما النبي عليه الصلاة والسلام ربنا أخبره بكل التفاصيل الدقيقة، كل واحدة قالت إيه بالظبط، فلما النبي عليه الصلاة والسلام عاتب السيدة حفصة، أو عاتب الزوجات، ما قالش كل حاجة، إنما قال الموضوع إجمالًا، وأعرض عن كثير من التفاصيل، حتى لا يُصعب الموضوع أكثر، فهو عايز يحل، فعرض الموضوع بشكل إجمالي، وما اتكلمش في التفاصيل اللي عرفها عشان التفاصيل تزعل.
المطلوب أن يتم حل الموضوع، وفي نفس الوقت لازم يعاتب، لأن اللي حصل ده خطأ، ولا بد له من توبة، لأن ربنا أمر الزوجات بالتوبة.

لكن هنا بنقول: من الآداب المهمة في التعامل بين الزوجين في المشاكل، بل هي من الآداب في التعامل في المشاكل عمومًا، سواء بين الزوجين أو بين أي اثنين عندهم مشاكل: ما نتكلمش في التفاصيل، لأن إحياء التفاصيل ممكن يزعلنا تاني من بعض.

ومن المروءة إن نتكلم في الموضوع إجمالًا، وبعد كده طالما النية خير، وعايزين نعفو، يبقى ينتهي الموضوع بالعفو إجمالًا وخلاص.

ما نقعدش ندقق في التفاصيل، لأن هي ممكن تهيج تاني المشاعر، فنرجع تاني نزعل من بعض.

فنقول: والله أنا زعلان منك عشان الموقف الفلاني، فيبقى لسه هنتصالح، فنقعد نقول تفاصيل: "أنتِ قولتي"، "وأنتَ قولت"، "أصل أنتَ بصيت لي"، "أصل أنتَ قولت"، "لما أنتَ في الموقف ده"، فبدل ما نتصالح، نرجع نزعل من بعض تاني، وما يتحلش الموضوع.

المروءة، النبي عليه الصلاة والسلام هو سيد الدنيا في المروءة.

لما عاتب السيدة حفصة على ما حصل منها في سورة التحريم، والموقف اللي حصل منها من الغيرة من زينب، ما قالش التفاصيل كلها، رغم إنه عارف كل التفاصيل، لكن ربنا قال: {عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ}.

هكذا العظماء. العظماء لا يعاتبون على التفاصيل.

وكما قيل: الكريم يُعرِض، واللئيم يستقصي ويجحف.

ويوسف عليه السلام، كريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم. لما إخواته عملوا فيه ما عملوا، وقالوا له كلمة صعبة جدًا، لما قالوا: {إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ}[يوسف: 77]. ولما جت له فرصة للعتاب في النهاية، معاتبش حتى.

{قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}[يوسف: 92].

لذلك قالوا إن التغاضي والتغافل هو من أسس العلاقات الناجحة، ومن أسس العلاقات الزوجية الناجحة عدم التدقيق في المحاسبة فهو من أسباب استقرار البيوت.

فالعلاقة الزوجية تنتظم بالتغاضي، وتنسجم بالتراضي، وتنهدم بالتدقيق، وتنخرم بالتحقيق.

بعض الناس يعتقدون إن الشطارة أنهم لا يفوتوا حاجة. يقول لك: "لا، ده أنا في بيتي ما بفوتش، ده أنا لو لقيت كوباية منقولة من هنا لهنا، بتكلم".

والزوجة، لو زوجها مثلًا، يعني الزوجة بالذات، تلاقيها بتدقق قوي: "طب أنت ليه عملت كده؟ طب أنا لما قولت كده؟ طب أنتوا عملتوا كده ليه؟"

لا، كل حاجة لازم تمشي مظبوط. لا، لازم نراعي بعض.

يعني في تفاصيل لازم نتغاضى، وإلا الدنيا مش هتمشي. لو الموضوع كبير، ماشي، لكن المواضيع اللي بتحصل يومية وخلاص، عرفنا إنه ما فيش حد يظبطها، ولازم بيحصل زلات كل يوم في بعض المسائل، حتى لو نبهنا كتير بيحصل، خلاص.

يعني لابد من التغافل والتجاوز، وإلا الحياة تكون جحيم. عايشين مع بعض 24 ساعة: أولاد وزوجة وزوج، وبيحصل ظروف وحاجات، أكيد ما حدش بيعرف يظبطها.

فلو إحنا مركزين مع بعض في كل التفاصيل، يعني هنتخانق في اليوم الواحد 20 مرة. تمام؟ فإحنا بنفتكر لبعض المواقف الإجمالية، وبنفتكر الخير لبعض، وبنعدي كلمة كده بتاع موقف نسي، مش

عارف إيه، وبنحسن الظن ببعض.
فالتغافل من شيم الكرام. والتغافل هو أساس العلاقات الصحية الناجحة، خاصةً في البيوت.
لذلك معاوية رضي الله عنه وأرضاه كان يقول: "ثلث العقل في الفطنة، وثلثا العقل في التغافل".
بل الإمام أحمد يقول: "تسعة أعشار العافية في التغافل"، الشخص اللي بيفوت ويعدي.
اللي مركز بقي مع الناس، مع كل التفاصيل، بيتعب جدًا في حياته، لأنه لا يمكن إنك توقف التفاصيل اللي بتحصل وبعض الإساءات الصغيرة اللي بتحصل في حقك في اليوم والليلة، كتير من ناس كتير: ده مش واخد باله، وده خد باله، وأنا مش عايز أركز معاه.
أنت لو ركزت في كل التفاصيل، هتموت.
سبحان الله. وأبو تمام الشاعر كان يقول: "ليس الغبي بسيدًا في قومه، ولكن سيد قومه المتغابي".
اللي عامل نفسه مش واخد باله، هو ده اللي بيسود قومه. عارفين ليه بيسود قومه؟ لأنهم بيحبوه.
عشان كده قالوا إن المتغافل محبوب. الناس بتبقى عارفين إنه متغافل، وعارفين إنه عداها، عشان كده بيحبوه.
يقول، مثلاً: أنتَ عملت موقف كده مع والدك، أو الزوجة عملت موقف معاه، وهي مستنياه يثور، تلاقيه ما خدش باله، لا، هو خد باله، وأنا متأكدة إنه خد باله، طب ما كلمنيش ليه؟ فتعرف إنه فعلًا ما كلمنيش عمد. فتحبه أكتر.
وتشيل له الموضوع ده، وهي هتعدي له في موقف تاني، والحياة تمشي كده.
تبقى أنت مستني والدك يثور عليك في موقف، يبقى أنت لسه غلطان، هتلاقيه ما خدش أي رد فعل، فتستحي إنك تغلط تاني، وتحبه أكتر.
وصاحبك، وجارك، والحياة تمشي كده. لذلك قالوا: الشخص ده اللي بيسود قومه، لأنهم بيحبوه وبيلتفوا حواليه، لأنهم عارفين إنه أمان. وإن إحنا حتى لو غلطنا قدامه، هو بيعدي، وبيتسامح، وما بيقفش مع كل التفاصيل.
فده بيسود قومه بسهولة جدًا، وبيحبوه ويقدروه، وبيبقى ليه شأن، شأن ما بينهم، وبياخد مكافأة تانية، إن هو نفسه ربنا بيستره بعد كده.
لأنه بيعدي، والجزاء من جنس العمل. طب ما أنا نفسي برضه هغلط في الناس، وهعمل مواقف مش هاخد بالي منها، فربنا هيسخر لي اللي يتجاوز عني، وهيسخر لي اللي يعفو عني.
واخدين بالنا؟ سبحان الله، يسترني، يستر عيوبي، ويخلي الناس تحبني، رغم إني بغلط برضه، لأن أنا بعمل كده، وللأسف إحنا بنطلب من الناس كده وما بنعملش كده.
عايزين الناس يعدوا لنا كل حاجة، "يا عم أنا ده أنا حبيبك، أنت هتقف لي على الواحدة؟" وإحنا بنقف لبعض، وأنت بقى بتقف للناس على الواحدة، ومش عايز حد يزعل منك، ده غريب جدًا الصراحة.
فالتغافل أدب يعجز عنه المسارعون في كسر القلوب.
لذلك من القواعد الأساسية في الحياة: اختر معاركك، فهناك مواقف لا تستحق أن تقف معها.
يعني الشخص العالي، اللي حاسس بتقديره لنفسه، بينزه نفسه، ينزل في مواقف معينة. لا يتكلم إلا في حاجة كبيرة قوي بس، الحاجات الصغيرة كلها تعدي.

عشان يقول لك: اختر معاركك، مش أي معركة تخشها. فهناك معارك ومواقف لا تستحق أن تقف معها. أحيانًا الضحية أرخص من الرصاصة، فما تضيعش وقتك.

خدت بالك في كلامي، إن أنا قولت لك: اختر معاركك، إذا في حاجات هقف معاها. وده بيرجعني لنقطة خطيرة.

إن التغافل مش عن كل حاجة. التغافل عن أغلب الحاجات، لكن مش عن كل حاجة. ولذلك في الآية: {وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ}، طب وليه ما أعرضش عن الكل؟ ما ينفعش.

لأن في حاجة دلوقتي لازم تتحل. هما لو استمروا في الحاجات دي، هيوصلوا لدرجة ممكن فعلًا النبي يتأذى فعلًا. تمام؟ فلازم يوقف النزيف. ومش هتكلم في التفاصيل، بس لازم النزيف يقف. فلذلك بيقولوا حاجة جميلة في: {وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ}.

"ليس كل التغافل محمود، فالتغافل غير المنضبط يحدث كبتًا لا يلبس أن ينفجر". اللي هو قاعد يبقى في موقف هو مش قادر يتجاوزه فعلًا، وحاجة مضايقاه جدًا، وفعلًا موقف ما ينفعش يعدي. فيقول لك: أتغافل هو مش تغافل، هو كبت في نفسه. وبعد كده يحصل موقف تاني، هو ويعديها، هو ما عداهاش، هو كبت في نفسه تاني، مرة واحدة يروح منفجر.

الناس تقول له: إيه الانفجار ده كله؟ يقول لك: ما أنت عملت وسويت، طب ما قولتلناش ليه أول مرة وخلاص؟ يعني ليه ما قولتش من أول مرة؟ قال لك: ما أنا قولت أعديها. لا، كدا واحد ما عدهاش، لما اعديها يبقى أنا واحد مش هتكلم فيها تاني، كونها تراكمت يبقى أنت ما عدتهاش. يبقى الحاجة اللي تجدها في نفسك فعلا مش قادر تعديها وهي بتتراكم معاك لا عاتب علطول وخلص الموضوع، في أولها بتبقي سهلة.

لكن تقعد تراكم وبعدين تنفجر في الناس، الحقيقة لهم حق يقولوا ايه الانفجار ده كله على ايه؟! أصل دي عاشر مرة تعملها، طيب ما قولتش من أول مرة ليه؟ كنت متغافل. لأ ده مش تغافل. ده كان تغافل غير منضبط، أنت كنت بتكبت، ما كنتش بتتغافل.

فلازم يا جماعة ننفس أحيانًا. لازم يبقى في عتاب في بعض الحاجات، لازم، عشان نخلص ونقفل ملفات، ومن الأول تبقى سهلة.

لكن نقعد نكبت بزعم إن أنا بتغافل؟ لا، التغافل يعني أنت بتمسح. فلو حصلت عاشر مرة، العشرة دي تبقى كأنها الأولى، لأن أنا كده كده بفوت، لكن أنا براكم. يبقى ده في حاجة غلط.

عشان كده لابد الإنسان يبقى واخد باله. إن لو الموضوع مثلًا خلاص، فعلًا جرح، أو هييجي على كرامتي بالفعل، يبقى لازم آخد رد فعل. وفي الأول بيبقى الموضوع سهل.

عشان كده بيقولوا إن التغافل لا يعني الغفلة، ولكن النفوس الكريمة تغض الطرف لتحفظ الود. فالتغافل لا يعني أنك بلا كرامة، ولكن لأنك شخص ذو مروءة.

ثم قال سبحانه وتعالى للزوجات: {إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ}.

يعني إيه "صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ"؟ يعني زاغت ومالت.

معنى زاغت ومالت هنا في الآية؟ قالوا: مالت لأنهن أحببن ما يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم. مالت لأنهن فارقن النبي عليه الصلاة والسلام فيما يميل إليه، لأنهن زاغن. وكان الإنسان المفروض يكون هواه تبع لهوى النبي عليه الصلاة والسلام. لو أنت هويت حاجة تانية، يبقى أنت زغت، مالت.

ليس معنى "صغت" هنا أنهم ضلوا، لأن اللي حصل كان شيء دافعه الغيرة والحب، وده يتسامح في الموضوع ده بين الأزواج.

لكن لأن هو في النهاية أدى إن النبي حرم نفسه من حاجة بيحبها، أو احتاج إن هو يحلف على حاجة ما كانش مضطر يعملها، فهما كده عملوا إيه؟ مالوا. لأن هما أحبوا شيء وعارفين النبي بيكره كده، أو فارقوا النبي عليه الصلاة والسلام فيما يحبه ويميل إليه، {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}.

ثم قال تعالى: {وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ}، يحصل إيه بقى؟ يحصل مشكلة كبيرة. يعني لو الموضوع اتكرر منكم تاني، الموضوع هيكبر قوي عند ربنا.

{فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ}

يا الله، كل ده؟ ليه؟ آه، ما هو هنا رد الفعل مش عشان قوة الخصم، رد الفعل لقدر النبي عليه الصلاة والسلام. فهنا الله يدافع عنه، والملائكة تنزل من السماء، جبريل بنفسه، وصالح المؤمنين، كل ده ليه؟ عشان النبي عليه الصلاة والسلام.

يا الله، الواحد جسمه بيقشعر لما يشوف قدر النبي عليه الصلاة والسلام، وفعلًا بيهابوا قوي، وده بيعمل تعظيم في قلب الإنسان للنبي عليه الصلاة والسلام، وحب له وحرص على اتباعه.

إن النفوس جُبلت على اتباع العظماء، فما ظنكم بالنبي عليه الصلاة والسلام؟ وأنت أصلًا مأمور باتباعه، شرف للإنسان أن يكون من أمة النبي عليه الصلاة والسلام.

قالوا: صلاحك بقدر نصرتك للنبي عليه الصلاة والسلام، ودفاعك عنه. إن ربنا وصف الناس اللي بيدافعوا عن النبي عليه الصلاة والسلام، هما دول صالح المؤمنين.

فيقول لك: صلاحك من علاماته قدر نصرتك للنبي عليه الصلاة والسلام، وقدر دفاعك عنه.

{وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ}، يعني مُعِين.

ثم قال تعالى: {عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا}.

{عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ}، بيقولوا إن عَسَى من الله واجبة، يعني لما ربنا يقول عَسَى يبقى هيحصل. لأن عادةً كلمة عَسَى أصلًا في اللغة بتُستخدم للترجّي، فلما أقول لك عَسَى إن أنا أعمل كده، ليه بقول عَسَى؟ لأن أنا ما أعرفش هيحصل إيه بكرة، ممكن أموت، ممكن يحصل أي حاجة، فأقول عَسَى، أرجو ذلك. لكن ربنا لما بيقول عَسَى هو هيترجّى مين؟ هو بيده كل شيء سبحانه وتعالى. فلذلك ربنا لما بيقول عَسَى، يعني ده هيحصل، يقدر يعمله.

طب ربنا بيقول عَسَى ليه؟ يقولها على طريقة الملوك، من باب التعزّز وبيان العزّة. كما تقول الملوك يعني يقول لك عَسَى وأعمل لك كذا، وهو هيعمله، بس بيبين عزة الملك إن ما حدش بيلزمه بحاجة.

{عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ}، لو حصل فعلًا وزودتوا في الموضوع، ربنا يأمره إن هو يطلقكم، وبعد ما يطلقكم هيخليه يتزوج زوجات أفضل منكم وأحسن منكم، ويرسل له زوجات مثاليات.

بس طبعًا الزوجات تابوا على طول جدًا، وما حصلش منهم الموضوع ده تاني.

بل هنحكي قصة تانية دلوقت.

لما عوّتبوا، لما النبي ﷺ ربنا وسّع عليه شوية، زي ما خدنا في سورة الأحزاب، بدأ نساء النبي ﷺ يرهقوه في الطلبات، يطلبوا طلبات كتير. فده شق عليه، لأن هو مش عايز كده.

هو عايز يعيش على الكفاف عليه الصلاة والسلام، ومش عايز يتوسع في الدنيا، وكان بيتصدق كتير عليه الصلاة والسلام.

فنزل قوله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا}[الأحزاب: 28،29].

فالنبي ﷺ في الفترة دي من غضبه من الزوجات اعتزلهم شهر. وده فيه برضه رفق، حتى لما كان متضايق منهم جدًا، كل اللي عمله إيه؟ اعتزلهم، كان ليه مشربة كده بيقعد فيها مكان، وقعد فيه شهر فعلًا لم يقترب من نسائه عليه الصلاة والسلام. وده كان أقصى عقوبة عملها لنسائه، إن هو بس بعد عنهم شهر. وده حل للمشاكل الزوجية إن احنا نبعد عن بعض. فده بيبقى فيه عتاب للشخص اللي غلط، بيفكر ويطلب العفو وكده، وفي نفس الوقت الموضوع ما بيكبرش وما بيتطورش. فـ نبعد أحسن شوية.

أحيانًا الزوج ينزل يسيب البيت شوية، لغاية ما الزوجة تهدأ، أو الزوجة تخش تقفل على نفسها غرفتها، أو تنام شوية وتصحى، والمواضيع بتتحل. لكن طول ما احنا قدام بعض ممكن الموضوع يكبر شوية. فالنبي ﷺ اعتزلهم فعلًا، علشان يعاتبهم، وعشان الموضوع ما يكبرش، وعشان ما يغضبش أكتر من كده.

وهما تابوا بسرعة جدًا، يعني أصل كل الحاجات دي بطلوها، المواقف دي ما حصلتش تاني، الطلبات ما حصلتش تاني. بدليل إن هو ما طلقش ولا واحدة. فلو كانت واحدة منهم كملت في المخالفة دي كان طلقها زي ما ربنا قال.

تمام؟ سِرحهن سِراحًا جميلًا. لكن ما حصلش النبي ﷺ طلق الزوجات، بل كل واحدة منهم اختارت الله، واختارت الرسول ﷺ.

بس أنا ليه واقفة هنا مع قوله تعالى: {عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ}. إيه بقى الصفة بتاعتها؟ واحد، دي بقى صفات المرأة الصالحة يا جماعة. خلاصة المرأة الصالحة:

مُسۡلِمَـٰتٖ: مسلمة يعني منقادة لله، مستسلمة لشرع الله. مش بتجادل في حجاب، ومش بتجادل في مصافحة الرجال، مش بتقعد كل حاجة تقول "أقنعني، وأنا مش مقتنعة"، وأنا مش عارف إيه، وليه آخد نص أخويا في الميراث؟ وليه وليه وليه؟ شغل النسوية ده يتعارض مع مسلمات. كده أنتِ مش مستسلمة، مجادلة، مش عاجبها الشريعة. أول صفة: استسلام لله، مسلمات.

مُؤۡمِنَـٰتٖ: يعني عقيدة سليمة، إيمان قوي بالله واليوم الآخر، وده محتاج نتعلم عقيدة، ونعيش العقيدة، مش بنتعلمها بس. وإن احنا نعرف عقيدة أهل السنة والجماعة، لأن ده الإيمان الصحيح: {فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ}. مؤمنات يبقى انقياد، عقيدة سليمة.

وبعد كده ربنا قال: {قَـٰنِتَـٰتٖ}.

المسلمة يعني منقادة، يعني بتصلي وبتصوم وبتتقي ربنا وبتلبس حجابها بشكل شرعي. مؤمنة عقيدة سليمة. أمال إيه القانتات؟ القانتات دي بقى بتقول لك القوة كمان. قال لك القنوت هو طول العبادة، المواظبة على العبادة، يعني مش بتصلي بس بتصلي كتير، مش بتصوم بس بتصوم كتير، مش بتذكر ربنا عادي بتذكر ربنا كتير. يعني قانتة، مبالغة في العبادة، مداومة على العبادة

{إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}.

فالمرأة الصالحة طويلة العبادة، كثيرة العمل الصالح، مداومة على العمل الصالح. مش بتقطع، مش في رمضان وغير رمضان لا، مش بتتقي ربنا في المسجد والدروس فقط، لكن في الجامعة بتلبس اللي تلبسه، وتكلم اللي تكلمه.

في كل الأماكن وفي كل الأزمان قَانِتَاتٍ.

{تَـٰٓئِبَـٰتٍ}، وكان في رسالة ضمنية: هو قانتة دي ما بتغلطش، يعني احنا المفروض ما نغلطش؟ لا، ممكن تغلطي، يعني لو غلطتي عادي خلاص، هنعمل إيه! كل بني آدم خطّاء، لكن هنا بقى الميزة سرعة التوبة.

{تَـٰٓئِبَـٰتٍ}، اللي هي بتسارع في التوبة، فده يدل على إن أنا مش مثالي، الطريق مثالي لكن أنا مش مثالي، أنا بغلط. طيب لو أنا غلطت، إيه الحل؟ الحل: نتوب. يعني لو تبت بسرعة، ده ما ينقصش مني. لا خلاص، طالما تبنا بسرعة وندمنا على اللي عملناه وصَلَّحْنا اللي حصل، يبقى ده يرجعني تاني لنفس المنزلة، ويمكن أكون بعد التوبة أعلى من قبل التوبة، زي ما حصل مع كعب بن مالك في غزوة تبوك.

وكلمة تَائِبَاتٍ كانت مناسبة للسياق، لأن أصلاً ربنا بيأمر الزوجات بالتوبة.

{عَـٰبِدَاتٍ}: صاحبة عبادة، ودائمًا المرأة الأليق بها كثرة العبادة. وسبحان الله، يعني تلاقي الرجال بيفتح لهم في العلم، والنساء بيفتح لهم في العبادة. تلاقي النساء ما شاء الله، وده بيكون أنسب ليها: تتوسع في باب التعبد، لأن المرأة في الآخر عاطفية، مطلوب منها الرقة والاهتمام والعناية. كثرة العبادة ترقق القلب، وده أنفع ليها في تعاملها مع زوجها، مع أولادها، مع غيرها، لأن المرأة أصلاً دورها في الحياة احتوائي أكثر منه إداري، فالقوامة للرجل، والمرأة عبارة عن داعم دائم لكل الأطراف.

هي داعم للزوج، داعم للأولاد، مربية محتوية، بتسمع، بتصبر، بتناهد في الكلام. يعني إيه؟ فالعبادة بتأهلها للدور ده أعلى شوية، وطبعا مطلوب إن يكون عندها علم والكلام ده. لكن لو قلنا المرأة، إيه الباب الأفضل اللي هي تتميز فيه؟ طبعا مطلوب تتميز في كله، بس أعلى باب تركز فيه: العبادة.

نصيحة للأخوات: اهتموا بالعبادة، العبادة بتخلي المرأة أجمل بكتير. لذلك تجد بعض النساء لو عندهم علم كتير وعبادة قليلة، بيبقى فيهم قسوة شوية أو كبر أحيانًا. رغم إن ده ممكن ما يحصلش مع الرجل، لكن ممكن يحصل مع المرأة، هي تشوف نفسها عندها علم كتير، وسبحان الله، عندها عبادة قليلة، الموضوع يقلب بصورة غريبة كده: امرأة قاسية، امرأة فيها كبر شوية.

طب ليه كده؟ فلازم العبادة، العبادة فلازم العبادة تبقى كتير دايمًا. يا ريت العلم يبقى كتير، بس ما نهملش باب العبادة أبدًا.

{سَـٰٓئِحَـٰتٍ}: قالوا سائحات، السائحة هي الصائمة. وده قول السلف: السائحات الصائمات، دي رسالة للنساء أن يكثرن من الصوم. الصوم المرأة قاعدة في البيت غالبًا، فالصوم بالنسبة لها عبادة متاحة وسهلة وأجرها كبير.

ثم قال تعالى: {ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا}.

الثيبة: اللي هي كانت متزوجة قبل كده. يعني ممكن النبي ﷺ يتزوج واحدة كانت متزوجة قبل كده، وده أصلاً كل زوجاته كانوا كده ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها،

والبكر: هي التي لم يسبق لها الزواج أو لم يدخل بها.
طب ربنا ذكر {ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا} ليه؟ قالوا: هذا من باب التوسعة على النبي ﷺ. يعني اتجوز ثيبة، تتجوز بكر، كله متاح. المهم المرأة تكون طيبة وصالحة. ثيبة، بكر ما تفرقش، وده بيدينا ملمح جميل، ويحسن النظرة للمرأة، الثيب، إن ما فيش حاجة نقصاها ، مش معيبة، لا يعيبها شيء، إنما يعيب المرأة دينها.
وأما إن هي ثيب أو بكر، يعني هذا ليس عيبًا في المرأة، يقدح فيها، وإلا فالنبي ﷺ كل زوجاته كانوا ثيبات إلا عائشة رضي الله عنها وأرضاها. فالمرأة التي سبق لها الزواج ممكن تكون أحسن في دينها والتزامها من واحدة بكر، وإن كان البكر ممكن تتميز في مسألة البكارة في العلاقة الزوجية، خاصة في أول الزواج، والكلام ده. يعني زي ما النبي اوصى جابر: قال له: "هلا بكرا، تلاعبها وتلاعبك".
أما الأفضلية تكون في الدين، فلا ينظر للثيب أنها امرأة معيبة، هذا لا يصح أبدًا.
{ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا}: الآية دي، سيدنا عمر قالها بالظبط لما النبي ﷺ حصل من زوجاته الموضوع ده.
إن سيدنا عمر مر على زوجات النبي ﷺ وعاتبهم إن هم بيعملوا كده، وسبحان الله قال لهم نفس الآية دي بالظبط: {عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ}. قالها كده بالظبط، فنزلت الآية.
وسيدنا عمر دايمًا بيفرح إن هو حصل موافقة بينه وبين القرآن. الموضوع يعني إن سيدنا عمر وافق القرآن في عدة مواضع. قال للنبي ﷺ: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزل: {وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ}[البقرة: 125].
ومرة قال للنبي ﷺ: لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب.
ومرة قال: يا رسول الله، وددت لو أن الله أنزل أمرًا شافيًا في الخمر، فنزلت آية تحريم الخمر.
فسيدنا عمر، سبحان الله، هو ملهم، «إن يكن في أمتي محدثون. فعمر» ملهم، فيلهم الشيء، فسبحان الله يتوافق مع ما سينزل من القرآن، وهذه فتوحات من الله سبحانه وتعالى.
سيدنا ابن عباس، ليه موقف مع سيدنا عمر متعلق بالآية دي، إنه كان سأل سيدنا عمر على السورة دي، يقول له: وإن تظاهرا عليه، مين دول؟ سيدنا ابن عباس كان صغيرًا طبعا، فحب يسأل سيدنا عمر على الموقف ده مين، ساعتها كان صغير، حب يسأله: نزلت في مين الآيات دي؟
فبيقول في بعض الروايات: "إن أنا كنت أهاب عمر سنة، عايز أسأله السؤال ده". منذ سنة لأنه متوقع إن منهم حفصة، حفصة بنت عمر رضي الله عنها. بالنسبة له الموضوع صعب، صعب يسأل سيدنا عمر السؤال ده، بيقول المهم اتشجعت وسأل سيدنا عمر في رحلة حج. بيقول: طلعت معاه رحلة حج، واحنا راجعين، لقيته يعني رايق كده. فرحت سألته، قلت له: يا عمر، مين المرأتين اللي ربنا قال لهما: {إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ}؟
فسيدنا عمر قال: "واعجباه لك يا ابن عباس"، وكأنه يعني عايز يقول له: بتسألني ليه، يعني ما أنت عارف! كأنه لم يعجبه السؤال، وبعد كده قال له، قال عائشة وحفصة، عائشة وحفصة، هي بنتي يعني، وده اللي حصل.
يعني سيدنا عمر بقى ذكر له إن اللي حصل ده كان من السيدة عائشة والسيدة حفصة، وذكر له موقف حصل مع النبي ﷺ: إن هو مرة غضب من زوجاته وذهب إلى المشربة اللي قعد فيها دي، فسيدنا عمر راح وزاره لما أشيع كمان أن النبي ﷺ طلق زوجاته في المرة اللي هم طلبوا منه طلبات

دنيوية كتير، فشق عليه كده فاعتزلهم. فحصلت إشاعة إن هو طلق زوجاته، فسيدنا عمر راح له المكان اللي هو معتزل فيه نسائه وقعد يحدثه، يعني ويطيب خاطره ويحاول يؤنسه.

فكان مما قال له: "قال يا رسول الله، كنا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبه نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم".

قال وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعوالي. قال: "فغضبت يومًا على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك إن رسول الله ﷺ تراجعه أزواجه، وتهجره إحداهن إلى الليل؟ قال: فانطلقت فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر. أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ، فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعي رسول الله ﷺ، ولا تسأليه شيئًا، وسليني من مالي ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أجمل وأحب إلى رسول الله ﷺ منك"، يعني عائشة.

المهم، يعني اللي حصل إن بعد كده سيدنا عمر حكى للنبي ﷺ الحكاية دي، فالنبي ﷺ ضحك، حكى له القصة دي كلها، فابتسم النبي ﷺ. وكان قد سأله قبلها: هل طلقت نسائك؟ قال: لا، ففرح سيدنا عمر الحمد لله إن هو ما طلقهمش.

وفي بعض الروايات: قلت يا رسول الله، ما يشق عليك من أمر النساء؟ فإن كنت طلقتهن، فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. قال عمر: وقلما تكلمت بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي، فنزلت هذه الآية، ونزلت آية التخيير: {عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ}، ونزلت: {وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ}.

فسألت النبي ﷺ: أطلقت نسائك؟ قال: لا. فقمت على باب المسجد وناديت: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، فنشر ذلك.

إن كان في إشاعة إن حصلت كده، فحاول يمنع الإشاعة دي، وراح بعقل إلى مصدر الخبر وسأله، وخلص وقفل على الإشاعة دي، سبحان الله.

فدي من موافقات عمر رضي الله عنه وأرضاه.

الشاهد، يعني إن ده موقف نبيل من سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه. ناسب بقى بعد كده أن الآيات تكلمنا على التربية: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا}.

يعني مش معنى إن احنا بنقول في تغافل وتسامح وكده، الإنسان يمنعه ذلك من تربية أهله أو الحزم معهم.

فلابد من الحزم: {قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا}. مش بيقول ربي مش بيقول لك علم أولادك، مش بيقول لك خلي بالك، راعي صلاة زوجتك وحجابها والكلام ده، لا هو نقلك للنتيجة على طول: إن لو ما عملتش كده، هيخشوا النار وأنت هتتسأل عليهم، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا}.

أنا لما بشد شوية على أولادي عشان بحبهم، أنا لما بأمر زوجتي وبصحيها الفجر عشان بحبها، ولازم الزوجة تبقى فاهمة كده مش تحس: "زوجي بيتقل علي كل شوية مصحيني للفجر، أنا بتضايق"،

هو لازم يعمل كده.
بابا مش عايز يودينا السينما، مش عايز يخليني ألبس البنطلونات الضيقة عشان بيحبك، بيقول لي: اتحجبي، وأنا مش عايزة اتحجب دلوقتي. تحبي انتوا الاتنين تخشوا النار؟ تحبي هو يخش النار؟ تحبي أنت وهو تخشوا النار؟ هو بيعمل دوره، ساعديه.
هو بيعمل ده عشان بيحبك. مش معنى إن احنا بنحب أولادنا إن احنا نعمل لهم اللي هم عايزينه دايمًا، فممكن اللي عايزينه ده يدخلهم النار.
أنا بمنعهم من اللي هم عايزينه عشان بحبهم.
فمن عقوق الآباء للأبناء: تركهم يفعلون ما يريدون، وإهمال تأديبهم وتعليمهم دينهم. بل أحيانًا الأب بيعمل جريمة، إنه بيعين أولاده على الشهوات فيديهم فلوس: "خد فلوس يا ابني وروح السينما، خذي فلوس يا بنتي وروحي هاتي اللبس اللي أنتِ عايزاه، خدوا فلوس وروحوا الأماكن كذا، روح حفلة، عايز أروح حفلة للمغني الفلاني، خد، روح".
أنت قاعد ليه؟ ما تروح حفلة فلان، خد فلوس وروح، احنا اللي بنعينهم على الشهوات، وبعد كده نرجع نندم.
{قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ}.
قُوا أَنْفُسَكُمْ بتقول لك إن بداية إصلاح البيت أنت." لن ينصلح الظل، والأصل أعوج" . فبداية إصلاح البيت، بداية إصلاح الأمة، يبدأ بيك أنت: قُوا أَنْفُسَكُمْ.
فما أشدها على المربين والآباء: اصلح نفسك فلا تظلم نفسك فتظلم غيرك.
{وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ} إن الناس يُرمون في النار. كل ما الناس تُرمى في النار، كل ما تشتعل أكثر.
{وَٱلۡحِجَارَةُ} قيل الحجارة يعني الأصنام، إن الأصنام تُرمى في النار. وقيل الحجارة: حجارة الكبريت، وده ورد عن بعض الصحابة، وده مما لا يقال بالرأي. لعل ده علموه من النبي ﷺ. وحجارة الكبريت لما تحترق في النار تزيدها اشتعالًا، رائحتها منتنة جدًا، تلتصق بالجسد وتعمل آلامًا رهيبة، الله تعالى أعلم.
فأما الأصنام أو الحجارة أو حجارة معينة، ولعل ده يكون منها حجارة الكبريت.
{عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ}، بأمر الله، هم غلاظ يعني على الكفار، شداد على الكفار بأمر الله.
لذلك قال: {لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ}، وكأن الرسالة: كن مثل الملائكة، كن مثل الملائكة، {لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ}.
حاول تبقى زي الملائكة تشبه بالصالحين، إذا كانت الملائكة ليس لهم جنة ونار، لكن أنت المسلم المكلف، أولى أن تطيع الله سبحانه وتعالى، وأنت المخاطب بالأمر والنهي، هذه الملائكة، لذلك {لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ}.
فيقول لك: إذا كنت في حضرة شخص صالح قليل المعصية، فتستحي منه أن تعصي الله أمامه، فليكن هذا حالك مع الملائكة. فالملائكة تحيط بك، هم دائمًا معاك، فاستحي من الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، بل يتأذون من المعصية جدًا {وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ}.
ثم قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ}، الطرف الثاني بقي.

لن يقبل اعتذار اليوم، وكأن رسالة برضه ليك: اوعى تفتكر إن أنت هتيجي قدام ربنا تلاقي مبررات ومعاذير.

{بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ}[القيامة: 14،15]

{لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ}

كده خلصنا الصفحة الأولى بما تيسر فيها، نكمل بقى تدبراتنا إن شاء الله في المرة القادمة مع الصفحة الثانية.

يا رب تكونوا انتفعتم بالدرس ده، وتكون السورة بقت سهلة وجميلة وواضحة وفيها معاني ضخمة جدًا، فنسأل الله التوفيق والسداد، إن شاء الله.

انتظرونا في اللقاء القادم، احفظوا الصفحة دي، وصلوا بها ربنا يتقبل منكم صالح الأعمال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

تفريغ المحاضرة:

السابعة عشر

نساء هالكات ونساء خالدات
سورة التحريم (2)

علاء حامد
Alaa Hamed

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد.
أهلاً ومرحبًا بكم في اللقاء الأخير من لقاءات دورة قد سمع، أو مدرسة قد سمع.
نسأل الله التوفيق والقبول يا رب.
استمتعنا في هذه الرحلة الطيبة المباركة بمدارسة هذه السور العظيمة من جزء قد سمع.
رأينا فيها الأدب والأخلاق والعقيدة والولاء والبراء، وتعلمنا أحكام شرعية كثير، ورأينا تعظيمًا للنبي عليه الصلاة والسلام،
ورأينا عظم أحكام الشريعة، ورأينا تكريم المرأة في هذا الجزء الطيب المبارك.
والحقيقة احنا المرة اللي فاتت أنجزنا الصفحة الأولى من سورة التحريم، وشرحنا الموقف اللي حصل من السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهن، وازاي الله سبحانه وتعالى عاتب على ذلك إجلالاً للنبي عليه الصلاة والسلام.
يعني الله سبحانه وتعالى يبين دائمًا قدر النبي عليه الصلاة والسلام عنده، ويغضب سبحانه وتعالى إذا تعرض النبي عليه الصلاة والسلام لأي إيذاء،
حتى لو كان من أحب الناس إليه عليه الصلاة والسلام كعائشة وحفصة ونحو ذلك.
وانتهى بنا المشهد إلى أن الله سبحانه وتعالى أمر أهل الإيمان بحسن العناية بأهلهم ووقايتهم من النار بتوجيههم إلى ما ينفعهم في الآخرة
بحسن التربية والإرشاد إلى ما يرضي الله سبحانه وتعالى. ثم تكلمت على الكفار وأنهم سيحاولون أن يعتذروا يوم القيامة، ولكن هيهات، هذا وقت لا يقبل فيه اعتذار.
خلونا النهاردة نبدأ من قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا}.
نقرأ الآيات مع بعض بإذن الله سبحانه وتعالى. ننوي نية طيبة في مجلس العلم، ونستحضر شرف طلب العلم، ونرجو من الله أن ييسر الله لنا به طريقًا إلى الجنة.
فخلونا نركز في الآيات، ونرجو أن احنا نكون بنحفظ جزء قد سمع أو نكون حفظناه بالفعل.
يا رب يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
بسم الله الرحمن الرحيم
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (8) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ (9) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ (10) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (11) وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ (12)

هذه الآيات الكريمة من هذه السورة الطيبة المباركة.
كان آخر مشهد معنا من المرة الماضية هو مشهد أن الله سبحانه وتعالى أمر الكافرين:
{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ}.
فالكفار يوم القيامة يحاولوا يعتذروا إلى الله سبحانه وتعالى، بيظنوا الاعتذار ده يعني ممكن يجيب نتيجة.
فمرة يحلفوا لله سبحانه وتعالى يقولوا: {وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ}[الأنعام: 23] فربنا يقول: {ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ}[الأنعام: 24].
ظنوا أن الكذب ده يروج على الله! {فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ}[المجادلة: 18].
فلما يجدوا أن الموضوع ده مش هيجيب نتيجة، يبتدوا يحاولوا أن هم يطلبوا من الله فرصة تانية، {قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ}[المؤمنون: 106، 107]، ويقولوا: {رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ}[فاطر :37].
فيطلبوا من ربنا كتير ويحاولوا كتير. مثلاً يقولوا: {رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا} [السجدة: 12].
نهاية هذه المحاولات ربنا يقول لهم: {ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}[المؤمنون: 108] فينتهي الكلام مع الله سبحانه وتعالى.
يحاولوا يُكلّموا مالكَ خازنَ النار، يقولون: {يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ} طب نموت طيب؟
فيقول لهم: {إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ}[الزخرف :77] سبحان الله.
يروحوا لخزنة جهنم بعد اليأس من مالك، قالوا: {ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ}[غافر: 49]
فيُقال لهم: {أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ} قالوا: {بَلَىٰۚ} قالوا: {فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ}[غافر: 50].
تخيَّل يوصل بواحد أقصى أمنيته أن يُتخفَّف عنه يومٌ من العذاب! مش أنه يطلع، مش أنه يموت، لا، تخفيف يوم واحد. تخيَّل يعني تبقى دي أمنية واحد. ليه حد يعمل في نفسه حاجة تُخلّي دي أمنيته يوم القيامة؟ يا بخت أهل الإيمان بفرحتهم بالنجاة والسلامة رغم كل اللي تعرَّضوا له في الدنيا، ويا بؤس وشقاء أهل الكفر والفسوق اللي خدوا الدنيا بطولها وعرضها، لكن في النهاية بقت أقسى أحلامهم يوم واحد يُتخفَّف عنهم من العذاب.
عايز أقول لك إن أنت طالما أنت سامعني دلوقتي، وطالما أنت بتتنفَّس دلوقتي، فأنت عندك أكبر ميزة في الدنيا، وهي فرصة الاعتذار. أجمل حاجة في الحياة أنها تعطيك فرصة للاعتذار، لأن مجرد ما الإنسان يموت تنتهي فرص الاعتذار.
وفي الحديث: «تُقْبَلُ توبةُ أحدِكم ما لم يُغَرْغِرْ». يعني خلاص بينازع الموت. طالما أنت لسه فيك حياة، أنت عندك حاجة كبيرة أوي بيتمناها الكفار، إن أنت ممكن دلوقتي ترفع إيديك إلى الله وتقول: "يا رب أعتذر إليك يا رب"، وتتقبَّل. تقول: "يا رب سامحني"، تتقبَّل. تقول: "يا رب نويت على الخير يا رب ونويت أبقى كويس"، تتقبَّل. أعظم حاجة في الحياة أنها بتعطيك فرصة للاعتذار.
لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال: «لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ لِضُرٍّ أصابه، إن كان مُحسنًا فلعله

يزداد، وإن كان مُسيئًا فلعله أن يستعتب». يعني يعتذر إلى الله سبحانه وتعالى.
فلذلك أكبر شكر لنعمة الحياة اللي إحنا فيها دي إن إحنا نستعملها في الاعتذار إلى الله مما سبق من خطأ، وفي زيادة الإحسان والعمل الصالح. عشان كده الآيات اللي بعد كده جت على طول تتكلم على التوبة. وكأنها طلعت بقى من انعدام فرصة الاعتذار للكفار، إلى بيان يا أهل الإيمان يا أهل الإيمان: {تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا}.
سبحان الله، ربنا أرحم بنا من أنفسنا. هو اللي بيقول لنا: توبوا، وهو من يأمرنا بذلك، وهو من يريد أن يتوب علينا سبحانه وتعالى. يعني تخيَّل حد هو اللي بيقول لك: "اعتذر لي، اعتذر لي، وأنا أقبلك." فأنت تعتذر له فيقبلك، وهو أصلًا قايل لك: "اعتذر لي". فيعني ما أجمل الله سبحانه وتعالى! هو من يقول لنا هذا، الله أرحم بنا من أمهاتنا.
ممكن أمك تبقى أنت غلطت فيها وتقعد ساكتة، ما تقولكش إن أنت غلطت فيَّ، ولا تقول لك: "اعتذر"، ولا أي حاجة، ما تديكش فرصة، وبعد كده تعاقبك مرة واحدة. صح؟
لكن الله، رغم أن إحنا بنغلط صبح وليل كتير أوي، بيقول لنا: "اعتذروا". وينزل في الثلث الأخير من الليل يقول: "هل من مستغفرٍ فأغفرَ له؟ هل من تائبٍ فأتوبَ عليه؟" حتى يطلع الفجر.
سبحان الله، يعني الإنسان بيستحي من الله! يعني أنا اللي غلطت، وهو اللي يقول لي: "اعتذر لي وأنا أقبلك، والأمور تمام ومفيش مشكلة"، لكن اعتذر، واعتذار صالح، توبة نصوح.
وربنا يقول: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ} يقول لك كمان: "أحبك، أحبك، ولو رجعت لي أرجع لك، أحبك أكثر من الأول كمان". ويقول لك إنه بيفرح لما أنت تتوب إليه.
وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «الله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيئس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيئس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها وقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك!» أخطأ من شدة الفرح.
سبحان الله يعني! يعني تخيَّل ربنا أفرح من العبد ده اللي هو كان خلاص، يعني هو راحلته عليها طعامه وشرابه تركته لسبب ما، أيئس من الحياة، نام تحت ظل شجرة منتظرًا الموت، مرة واحدة لقاها قدامه وعليها طعامه وشرابه.
تخيَّل بقى فرحة الإنسان بالحياة، يعني فرحة الإنسان أنه نجا من موت محقق. الله أفرح بتوبة العبد حين يتوب إليه من هذا الرجل حين عادت إليه الراحلة. ده حاجات كتير أكيد بتحفِّز الإنسان أن يسارع بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى.
{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ} حاضر يا رب، {سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ} يا رب. إن شاء الله أول واجب بعد المحاضرة دي هتحدد حاجة أو أكتر تتوب منها، وإلا يبقى أنت ما عملتش حاجة بالمحاضرة دي.
{تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا}
يعني إيه بقى توبة نصوحًا؟ يعني إيه نصوحًا؟ قالوا: {تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا} يعني خالصة من الشوائب، خالية من الشوائب، صافية من الشوائب.
يعني إيه الكلام ده؟ العرب تقول على العسل يقولون: "نصحتُ العسل"، يعني صفَّيته من الشوائب. يعني لما يقولوا العسل ده صفَّيته من شوائب، بيقولوا: "نصحتُ العسل." فكلمة النصيحة جاية من

التصفية. فلذلك التوبة النصوح يعني التوبة الصافية، صافية من إيه؟ صافية من الشوائب.
إيه هي شوائب التوبة؟ طب تعالَ نقول إيه هي التوبة، وبعد كده نعرف شوائب التوبة.
التوبة المقبولة عند الله سبحانه وتعالى هي اللي بتتوفر فيها الشروط التالية:
الشرط الأول: أن تكون التوبة خالصة لوجه الله تعالى.
الشرط الثاني: أن يندم العبد على ما فعل من الذنوب والمعاصي.
الشرط الثالث: أن يُقلِع وينتهي عن الذنب تمامًا.
الشرط الرابع: أن يعزم ويعقد العزم على عدم العودة إلى هذا الذنب.
الخامس: أن يرد المظالم إلى أهلها، لو كان الموضوع فيه حقوق للناس، يرجع الحقوق لأهلها.
السادس: أن يُكثِر من العمل الصالح لتكفير هذه السيئات.
لو التوبة كده تبقى دي نصوح فعلًا.
طيب، التوبة بقى اللي هي مش نصوح، اللي هي فيها أي شائبة في المجالات دي كلها، بمعنى أن تكون مثلًا توبة لغير الله تعالى، أن يكون تاب رياءً. هو في مجتمع فيه صالحين، والناس الصالحين بيُكرموا وكده، فقال لك: "أعمل نفسي راجل صالح علشان أموري تمشي وتجارتي تروج ويُتقال عليَّ الحاج راح والحاج رجع." فدي توبة مشوبة، لأنه تاب ليُقال: "تائب" وإنما تاب ليُقال عنه: "رجل صالح"، لكن هو لو عليه هو مش عايز يتوب ولا حاجة، أو تاب لعلة تانية مش لله.
يعني كان شخص مثلًا كان بيعمل معاصي وفجور وزنا وكده، كبر في السن وتعب، فبطل المعاصي بسبب أن سنه ما بقاش يسمح بالشقاوة دي.
أو تكون واحدة مثلًا لبست الحجاب علشان عندها مشكلة في شعرها وكده، عايزة بس أنه يسترها وخلاص، لكن هي لو عليها ما كانتش عايزة تتحجب، ولا عايزة أنها تلبس الحجاب.
أو يكون شخص كان عنده علاقات نسائية فمراته عرفت فزعلت منه وكان هيحصل طلاق، فوقف العلاقات النسائية علشان بس زوجته ما تزعلش.
أو كان شخص مدخن وكده فافتقر، ما بقاش معاه فلوس كتير، أو كان بيشتري مخدرات فبطل الشراء للفقر فقط، ولو عليه لو مسك فلوس تاني هيرجع.
فكل ده أنواع من الشوائب اللي بتقدح في التوبة النصوح.
من ذلك مثلًا أن يكون العبد مش ندمان على ما فعل من الذنوب والمعاصي. بيعرف ده إزاي؟ إن هو كلما تذكر المعصية بيتلذذ بها، ولا يشعر بغصة كده وندم ولا يُكثِر من الاستغفار
في ناس بتتلذذ بذكر المعصية بعد التوبة، وممكن يفتخر بذلك في المجالس، فيقول: "يعني الواحد الحمد لله تاب، بس أنتم ما كنتوش عارفين، بقى أنا كنت بعمل واعمل واعمل." بيباهي.
أو واحدة مثلًا بعد ما لبست الحجاب الشرعي أو النقاب أو كده، بتشوف بنات جميلة ومتبرجات تقول: "يا ده أنا أيامي يعني كان كل الولاد بيعاكسوني وكنت أجمل واحدة في الجامعة. وما شوفتوش بقى كنت بلبس إيه؟ بس خلاص بقى، لبسنا الحجاب." فتحس إن فيه نوع من التباهي أو الافتخار بالمعصية السابقة.
ده يقدح في شرط الندم، لأن الندمان أصلًا مش عايز يقول، ولو قال ممكن يقول للاعتبار، بس علشان الناس تعتبر وتتعلم منه، ويُكثِر جدًا من الاستغفار كلما ذكر الذنب، وقد يبكي فعلًا على الأيام

اللي ضيعها في معصية الله تعالى.
ممكن تكون الشائبة بسبب خلل في الشرط الثالث، وهو الإقلاع، إن هو بيقول: "أنا تبت." بس هو ما بطلش بالفعل، هو مستمر عادي جدًا، أو يكون عازمًا على العودة، يكون تاب توبة مؤقتة.
يعني شخص طالع عمرة، فقال لك: "خلاص مش هشرب سجاير، بس لما أرجع هشربها." هذه توبة ناقصة.
أو شخص في رمضان قال لك: "خلاص أنا هقفل التليفزيون في رمضان، مش هتفرج على مسلسلات." بس لما تُعاد بقى المسلسلات بعد رمضان هتفرج عليها كلها. هذه توبة ناقصة، لأن فيها عزمًا على العودة.
كل ده بيقدح في صحة التوبة.
كذلك يكون شخص مثلًا تاب إلى الله، لكن ما رجعش المظالم، يعني سرق حاجة أو واكل حق حد. "خلاص تبت" بينك وبين ربنا، بس فيه حقوق بقى تُرجَع لأهلها. قال لك: "لا، مش هرجع لحد حاجة، خلاص، أنا تبت لربنا ونبدأ من دلوقتي".
لا، لازم الحاجة ترجع لأهلها، والا تبقى دي توبة مشوبة، يعني توبة فيها نقصان.
شوف بقى: {تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا} نصوحًا يعني صافية من الشوائب.
وسبحان الله من الحاجات اللي الإنسان بيتأملها في القرآن بقى عمومًا إن ده آخر نداء لأهل الإيمان، يعني ما فيش بعد سورة التحريم لغاية آخر المصحف {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} مش هتلاقيها خلاص.
ده آخر مرة ربنا قال فيها: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} في كتاب الله تعالى كترتيب يعني. وكأن آخر نداء يصل لأهل الإيمان هو التوبة، التوبة! رجاء أن يفهموا هذه المسألة، وأن يعرفوا أن خير ختام لأهل الإيمان أن يُختم لهم بتوبة صادقة لله تعالى.
فنسأل الله أن يرزقنا توبة صادقة قبل الموت. قولوا: آمين
يا رب ارزقنا توبة صادقة قبل الموت، وارزقنا موتة هنيئة، وارزقنا رغد العيش بعد الموت، وارزقنا يا رب لذة النظر إلى وجهك. اللهم آمين، اللهم آمين.
فهذا آخر نداء لأهل الإيمان: يا أهل الإيمان، توبوا إلى الله. هذا آخر حاجة، دي أهم حاجة وآخر حاجة، والحاجة اللي بنعملها كل يوم.
والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إني لأتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة».
{تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا}
بعد كده ربنا يقول لنا: {عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ}.
عسى، يقول لك ده أسلوب ترجي، خدناه المرة اللي فاتت. اللي بيقول عسى ده اللي هو بيرجو شيء، فيقول لك مثلًا: "عسى أن آتيك غدًا." ليه؟ لأن أنا ما أعرفش اللي هيحصل بكرة إيه، وما أعرفش العواقب، وما أعرفش، ممكن تحصل ظروف، فالأمور مش في إيدي كلها.
لكن ربنا يقول عسى ليه؟ عشان كده يقولوا إن ربنا لما يقول عسى هو مش بيترجى، عشان كده قالوا القاعدة: "عسى من الله واجبة" يعني عسى دي يعني هو هيعمل فعلًا، مش يعني "احتمال" أو "أرجو ذلك"
طب ليه بيقول عسى؟ قال: يقول عسى على عادة الملوك، أنها تتعزز بذلك، فيكون هو هيعمل فعلًا،

بس لازم يبين إنه مش مُلزَم بحاجة، وأن ما حدش يُلزِمه بحاجة، وهو لو فيه إلزام يبقى هو اللي ألزم نفسه به سبحانه وتعالى، فيقول عسى من باب العزة يعني: {عَسَىٰ رَبُّكُمۡ}
فالحمد لله إن عسى واجبة، يبقى اللي جاي ده مش احتمال، اللي جاي ده قطعي إن شاء الله حاصل لكل من تاب توبة نصوحًا. يبقى اللي تاب توبة نصوحًا أكيد أكيد هيحصل له الوعد التالي: {عَسَىٰ رَبُّكُمۡ} إيه الوعد يا رب؟ {أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ} يا سلام يا سلام.
وكأن أول رسالة بتوصلني: يعني أنت هتغلط، فإذا أخطأت لا داعي لجلد الذات. "كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون."
رسالة بتجيلك في الآية دي بتقول لك: لا تمل من تكرار التوبة مهما كثرت السيئات، فإن الله لا يمل حتى تملوا.
لو أنت عندك ثوب متسخ هتغسله، صح؟ لبسته اتسخ تاني هتغسله، اتسخ ثالث هتغسله. هكذا الذنوب، كل شوية نتوب إلى الله سبحانه وتعالى. والله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من تكرار التوبة.
وكأن بص: {عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ}، يعني بالجمع، كأن الإنسان مهما حاول لا بد له من أخطاء كثيرة. سبحان الله، ودي طبيعة الإنسان.
لكن الفكرة مش بنسهل عليك الخطأ أو بنهوِّنه عليك، لكن الإنسان بياخد قيمته من إيه؟ من التوبة. يعني لو أنا إنسان أخطأ وبعد كده سارع بالتوبة، خلاص، يعني ما خلاص انتهى الأمر.
فالإنسان في الأصل بيحاول ما يغلطش، لكن لا بد له من خطأ ما ولو على فترات. فإذا سارع هذا العبد بالتوبة، فإن منزلته عند الله لا تتأثر، بل ممكن كمان بعد التوبة يكون حاله أحسن من قبل التوبة.
والرسالة هنا بتقول لنا: يعني أنت مش هتبقى معصوم، مهما كنت ملتزم مش هتبقى معصوم، وده بيهون على الناس الملتزمة قوي.
مثلًا زي واحدة لابسة نقاب، ولا واحد مربي لحيته، فيشعر بضغط نفسي كده، إن المفروض أنا ما غلطش. ولذلك تسمع حد يقول لك إيه؟ "لا، أنا مش هربي دقني لغاية ما أبقى كويس." تقول لك: "أصل أنا مش قد النقاب، أصل المنقبة يعني مفروض ما تغلطش." ليه؟ يعني ليه إحنا حطينا نفسنا في الإطار ده؟
وبعد كده لما نغلط يحصل جلد للذات بقى: "أنا إزاي أغلط وأنا ملتحي؟ إزاي أنا منتقبة وأغلط؟" ويبتدي الشيطان يلعب على ده ويصيب الإنسان باليأس، أو نقبل ضغط المجتمع اللي هو كل ما نغلط يقول لك: "ما ينفعش أنت بالهيئة دي تغلط، عيب عليك يا لابسة الحجاب ده تغلطي".
عادي يا جماعة، أنا غلطان طبعًا، بس ليه ما ينفعش أغلط؟ يعني أنا بني آدم عادي، الصحابة نفسهم أخطأوا. لكن أنت تقول لي: "ليه أخَّرت التوبة؟"
يعني مثلًا أنا غلطت، خلاص عاتبنا بعض على الخطأ وانتهى الموضوع، والخطأ عدى يعني ما فيش سُبل لاستدراكه، لكن أنا أُلام بعد كده لو أنا أخَّرت التوبة أو استهترت بالذنب أو الكلام ده.
فرسايل جميلة في الآية دي: {تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ}
قال: {وَيُدۡخِلَكُمۡ} يا سلام كمان يا رب! والله لو بس ما عاقبتناش لكان هذا كافيًا، لكن ربنا يكرمنا

قال الله: {وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ} حاجة أكبر من عملك، حاجة فوق عملك بكتير جدًا.
جنات، مش جنة واحدة، {تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ}، يعني تحت مساكنها وبيوت أهلها.
ثم قال سبحانه وتعالى: {يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ} الله أكبر، يا رب يا رب يا رب، ارزقنا رفقة النبي في الجنة.
{يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ}، يعني يرحم أمته، لأن الصحابي بيروي بيقول: "صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم في عام الفتح، فسمعته يقول: اللهم لا تُخْزِني يوم القيامة."
والنبي عليه الصلاة والسلام كان بيدعي للأمة دي كتير، وكان بيبكي، وربنا يُرسل جبريل يقول: "اذهب إلى محمد، سَلْه ما يُبكيك؟" فيسأله، فيقول: "أبكي على أمتي" (يعني خايف عليها).
فربنا يُرسل جبريل يقول له: "قُلْ لمحمد: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك."
النبي عليه الصلاة والسلام يشفع لنا يوم القيامة علشان يكون أكثر الناس في الجنة من هذه الأمة الطيبة المباركة.
ومن الحاجات اللي تُبيِّن قدر النبي عليه الصلاة والسلام عند الله، أن ربنا ذكر في القرآن دعوة سيدنا إبراهيم لما قال: {وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ}[الشعراء: 87].
لكن هنا ذكر نتيجة دعوة النبي عليه الصلاة والسلام، استجابته لدعوة النبي عليه الصلاة والسلام، قال: {يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ}
فلما تكلم عن سيدنا إبراهيم تكلم عن الدعوة نفسها، ولما تكلم عن النبي عليه الصلاة والسلام تكلم عن نتيجة الدعوة، وهذا يدل على أن هناك فرقًا في المقام بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين غيره من الأنبياء. سبحان الله العظيم.
قال: {يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ} وأجمل كلمة قالت: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ} يا رب يا رب يا رب نكون من الذين آمنوا مع النبي عليه الصلاة والسلام، يبقى ربنا مش هيخزينا.
إيه هو الخزي يوم القيامة؟ أنه يعاقبك، طالما قال مش هيخزيك، مش هيعاقبك، لأن الخزي يوم القيامة هو في العقوبة.
{قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ} [الزمر: 15]
{يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ}
ثم قال تعالى: {نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ}. يا سلام! {نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ}
{نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}. يعني يوم القيامة طبعًا الإنسان يُضاء له على قدر عمله.
أهل الإيمان كلهم نور كبير جدًا، فالمشهد يوم القيامة هيبقى أهل الإيمان والمنافقين مع بعض في الأول، لأن ربنا سيخدع المنافقين ويستهزئ بهم يوم القيامة، سيجعلهم وسط المؤمنين عادي.
فيتوهم المنافق أنه نجا خلاص، وأنه هيعدي زي ما كان في الدنيا مستتر وسط المسلمين، فقال لك: "أنا هعدي يوم القيامة." فيحصل، سبحان الله، خلخلة في الصفوف كده، ويتقدم أهل الإيمان بنورهم، ويبقى أهل النفاق في الخلف في الظلمات، وبعد كده يُضرب بينهم بسور، ويبدأ العذاب على المنافقين.

الفكرة بقى أن أهل الإيمان في المشهد ده لما يشوفوا نور المنافقين انعدم هيخافوا، فيقولوا: {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا}، لما يروا أن نور المنافقين قد انطفأ.
فلذلك الإنسان في الدنيا يُكثِر من هذا الدعاء: {أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}. والدعاء ده كأنه بيقول لك رسالة إن دايمًا فيه أكتر، ودايمًا اطلب الأعلى، ودايمًا ما ترضاش بالمستوى اللي أنت وصلت له.
{أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}. وأنت بتدعي بكده يبقى لسه ما زال هناك أنوار لم تصل إليها.
القرآن نور، خلصت القرآن، حفظت القرآن، فهمت تفسيره، عملت به كله، لسه كتير.
الصلاة نور، أخبار الصلاة إيه؟ النوافل، قيام الليل، الضحى، ممكن تزود صلوات، ممكن تزود وقتًا في الصلاة، ممكن تحسن في صلاتك، صح؟ يعني الصلاة نور.
القرآن نور، الذهاب إلى المسجد في صلاة الفجر نور: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».
أخبار صلاة المسجد إيه معاك؟ لو لسه مش محافظ على صلاة الفجر في المسجد، يبقى قول: {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}، وادعِ ربنا أنه يهديك إلى الصلاة في المساجد، خاصة في صلاة الفجر.
عايز أقول إن الشريعة كلها نور، طبعًا كل الدين نور، فكما قال سبحانه وتعالى: {نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ} [المائدة :15]. وصف القرآن أنه نور.
فإيه نصيبك من النور ده؟ لأن نصيبك في الآخرة من النور هيكون على قدر نصيبك في الدنيا من هذا النور، فكل ما حصلت في الدنيا أسبابًا كتير للنور، كل ما كان ده معناه نور كبير لك يوم القيامة.
لذلك قال أحدهم: "لما سعوا وراء النور في الدنيا، سعى النور بين أيديهم في الآخرة."
وكما قلنا، النور على قدر العمل، وعلى قدر صحة الاعتقاد، عشان كده قال: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥٓ}
والإيمان اللي هو الإيمان الصحيح، الإيمان على اعتقاد أهل السنة والجماعة.
فكلما كانت عقيدة الإنسان موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة، يعني عقيدة السلف، يعني عقيدة الصحابة، كان نوره كبيرًا جدًا عند الله سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك على قدر عمله الصالح.
الإنسان يكون عنده صحة اعتقاد مع قوة اعتقاد، وأن يكون عمله موافقًا للسنة، ما فيش بدعة، ويكون عمل كتير.
فأما ما كان من بدع في الاعتقاد أو بدع في العمل، دي تؤثر جدًا على النور، وما كان من تقصير في أداء العمل برضه يؤثر سلبًا على النور.
فاحفظ الدعاء ده وقوله كتير، أعتقد أنك ما بتقولوش وده مش كويس، دايمًا قول:
«رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا»، ودايمًا اسعَ لتطوير نفسك، واسعَ لتحصيل المزيد والمزيد من النور.
فلا يكن لهمتك منتهى، وإذا استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل.
{رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.
ثم قال سبحانه وتعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ}
هنا بقى لما ربنا ذكر الكفار وذكر المؤمنين، أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يجاهد هؤلاء: {جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ}.
يعني إيه جاهد الكفار؟ وإيه الفرق بين جهاد الكفار وجهاد المنافقين؟

جهاد الكفار بيأتي بكل أنواع الجهاد؛ يعني جهاد الكفار يكون بالقلب، إنكار القلب لكفرهم والبراءة منهم، كما سيأتي في قول امرأة فرعون: {وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ}. هذا نوع من إنكار القلب.
والجهاد باللسان: أن يجاهدهم بلسانه، فيدعوهم إلى الله، يبين فساد مناهجهم، ينصحهم في الله، ينكر عليهم، ويظل الإنسان بلسانه يجاهد هؤلاء، يجاهدهم بإقامة الحجة عليهم، بالمناظرات، بالرد على شبهاتهم، ببيان عوار دينهم.
وهناك جهاد بالقلم والكتابة: يؤلف مصنفات، يكتب مقالات، ينشر بوستات ينصح فيها الكافرين، يجاهدهم، ويرد على شبهاتهم.
ثم هناك عند القدرة الجهاد باليد، وهو جهاد الطلب؛ الإنسان يطلب الكفار في ديارهم ويدعوهم إلى الإسلام، والكلام ده.
فإذا كان عندنا قدرة على ذلك نجاهد أيضًا باليد، ونفتح البلاد وندعو إلى دين الله سبحانه وتعالى.
طيب يبقى ده جهاد الكفار. طب جهاد المنافقين؟ جهاد المنافقين نفس جهاد الكفار ما عدا الجهاد باليد ده.
فـ جهاد المنافق يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالكتابة، ويكون بالنصح، والتشديد عليه في النصح، ويكون بإقامة الحدود عليهم؛ لأن المنافق المفروض إنه عامل نفسه مسلم وقاعد في بلاد الإسلام، فإذا عمل حاجة عليها حد يُقام عليه الحد طبعًا، وهذا من جهاد المنافقين.
والمنافق زي ما أخذنا في سورة المنافقون إن سلاحه لسانه،
{وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ}[المنافقون: 4].
فالحل دائمًا في المنافق أن نُضيّق عليه، ولا نسمح له بالكلام، وإذا تكلم نرد عليه ردًا بليغًا، ولا نعطيه سلطانًا على المسلمين.
وكيف نعرفه ؟ ربنا قال: {وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ}، وقال: {أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ، وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ}[محمد: 30].
فإذا اجتمع في شخص صفات من صفات المنافقين، نبدأ يغلب على الظن أنه عنده درجة كبيرة من النفاق، فنحذر من أقواله، ونحذر من تصديره في المجالس، في القيادة، في المناصب، وبالتالي يُضيَّق عليه، إما يتوب أو يترك المسلمين.
فده الحل معه، وده من جهاده؛ أن نُضيّق عليه، أن نغلظ عليه القول: {وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ}.
ثم قال تعالى: {وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ}. نسأل الله السلامة والعافية.
ثم انتقلت الآيات إلى هذا المثال: {ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ}.
مناسبة ذكر النماذج دي طبعًا مناسب للسورة جدًا؛ لأن أول السورة كان الكلام عن عائشة وحفصة رضي الله عنهما. فكأن المعنى اللي عايز يوصل من الآية الأخيرة إن لو لم يكن للمرأة عمل صالح فلن ينفعها قرابتها ولو كانت قريبة لنبي.
"وَمَن تبَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ".
فلا بد لكي ينجو الإنسان يوم القيامة أن يكون له عمل صالح، ولا يركن إلى مجرد القرابة من رجل

صالح ولو كان نبيًا. فامرأة نوح وامرأة لوط ألصق اثنين بأزواجهم وأقرب حد لهم، لكن في النهاية لم يكن لهم عمل صالح، وبالتالي لم تنفعهم قرابة نوح ولا قرابة لوط عليهما السلام.

فالواجب على الإنسان أن يعمل، والواجب على المرأة، ممكن واحدة مثلًا يبقى جوزها ملتزم، هي تقول: "أنا جوزي الداعية الفلاني أو زوجي الشيخ الفلاني". أيوه، فين عملك أنت بقى؟ أو بنت تبقى والدها رجل صالح وهي حاسة أنها عدت يعني.

فالإنسان ما يركنش إلى ده، لا بد أن يكون له عمل صالح: {لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ}[النساء: 84]. والإنسان يُسأل عن عمله هو.

فبعض الناس بيغتر بعلاقاته، يعني تلاقيه بيعرف دعاة كتير جدًا، ويتصور معاهم ودايمًا يلازمهم ويروح ويجي معاهم، لكن لما بيروح بيته ما بيعملش أي حاجة، بيعصي ربنا عادي.

هو بيعزي نفسه: "أنا أعرف الدعاة كلهم، والشيخ فلان عارفني". لكن هو في الآخر لما بيروح، الدعاة دول بيقوموا الليل، بيطلبوا علم، بيعملوا أعمال صالحة، وهو لا.

فدي فيها مشكلة؛ هل الصحبة نفعتك بإيه؟ هل اتغيرت ولا مجرد إنك عايز تقول: "أنا يوم القيامة هعدي عشان أنا عارفهم فقط"؟ لازم يكون لك شيء من العمل الصالح، وبعد كده مع العمل الصالح ده تنفعك الصحبة.

يبقى "المرء مع من أحب" ماشي، ممكن ترفع درجتك مع اللي أنت بتحبه ماشي، لكن في أساس لازم نبني عليه، وهو أن يكون لك عقيدة صحيحة وعمل صالح.

يبقى دي الفكرة اللي بتوصلنا بالمثال ده.

ربنا ضرب مثالًا بامرأة نوح وامرأة لوط وقال إن هما الاتنين خانوا أزواجهم نوحًا ولوطًا عليهما السلام. هنا لا بد من ضبط المفهوم، ضبط المفهوم يعني إيه {فَخَانَتَاهُمَا}، فقد يتبادر إلى الذهن خيانة الفراش.

نقول هذا المعنى: هناك إجماع، إجماع على أنه ليس هذا هو معنى الآية، بل اجمع العلماء على أنه ما زنت امرأة نبي قط.

وأن الخيانة هنا لم تكن خيانة فراش، وأن الله سبحانه وتعالى ينزّه أنبياءه أن يكون في زوجاتهم خيانة فراش، لأن هذا يقدح فيهم جدًا.

لذلك هذا دليل على براءة عائشة رضي الله عنها وأرضاها من حادثة الإفك التي اتُّهمت بها، وربنا لما دافع عن السيدة عائشة في سورة النور، قال سبحانه وتعالى: {ٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ} [النور: 26].

وكأن المعنى أنه لا يمكن أن ربنا يبتلي نبيًّا في الجزء ده، ممكن امرأة تبقى كافرة به لكن ما تبقاش زانية أبدًا، فالخيانة هنا ليس المقصود بها خيانة الفراش بأي حال من الأحوال.

لذلك ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه ورد عنه أنه قال: "ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهما في الدين".

يعني عايز يقول إيه؟ خانتهما دي يعني خيانة العقيدة مش خيانة الفراش.

لذلك ورد عن ابن عباس في أثر آخر قال: "خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تُطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح. وأما امرأة لوط فكانت إذا

أضاف لوط أحد أخبرت به أهل المدينة ليعملوا فيه السوء."
يعني إيه؟ عشان يعملوا الفاحشة فيه.
فامرأة نوح كانت كافرة بدينه طبعًا، وكمان كانت بتصد عن سبيل الله، طبعًا سيدنا نوح بيجيه مؤمنين وكده في السر، فهي تعرف السر: مين اللي دخل ومين اللي خرج، تعرف مين اللي آمن، تروح رايحة قايلة لقومها فيروحوا يعذبوه.
امرأة لوط كانت راضية بالفاحشة اللي بتحصل في قومها، وكمان كانت بتدل الرجال على الرجال، فلو جه أضياف في البلد تروح قايلة للرجال، وهي والله أعلم اللي قالت على حضور جبريل وميكائيل لما زاروا لوط عليه السلام، لما زاروا لوط عليه السلام في صورة رجال شكلهم حلو والكلام ده.
هي اللي أخبرت بوجود الأضياف فجاء إليه قومه يهرعون إليه كما قال سبحانه وتعالى.
امرأة لوط. أكيد ما كانتش بتعمل فاحشة ليه؟ بدليل تاني إن أصلًا الفاحشة كانت بين الرجال، زي ما سيدنا لوط قال: {أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَـٰلَمِينَ، إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ}[الأعراف: 80،81].
فكان رجل يأتي رجل من الدبر، هي أصلًا معصية كانت بين الرجال، يعني أصلًا النساء مش داخلين في المعصية دي.
طيب هي امرأة شاركت في إيه كده؟ حاجتين:
الحاجة الأولى: أنها رضيت بفعل قومها.
الحاجة الثانية: إنها كانت تساعد الرجال أن يصلوا إلى الرجال، تدل على وصول الأضياف، ولو في حد جديد في القرية تقول عليه والكلام ده، وده بيدلنا على حاجة خطيرة جدًا:
معنيين مهمين إن مش لازم عشان أشيل الذنب إني أنا أكون بعمله، يكفي إن أنا راضي بيه.
ممكن واحد مثلًا ما بيعملش معصية معينة، مش بيزني، بس هو شايف الزنا دي حاجة كويسة وحرية شخصية والناس تعمل اللي هي عايزاه، دي مشكلة كبيرة عند ربنا حتى لو أنت ما عملتش، بس ده خطر كبير جدًا على دينك.
أو ممكن مثلًا الشذوذ نفسه اللي هو فعل قوم لوط، اللي بنسميه دلوقتي الشذوذ أو المثلية، في ضغط عالمي دلوقتي على قبول المثلية، والموضوع ده بيدرس في المدارس في أوروبا، وبيضغط على الدول عشان تعترف بيه، وإن يكون الشخص المثلي ده أو الشاذ معترف بيه.
وفيه دول بتخلي الشخص يكتب في بطاقته إنه بلا ميول أو يكتب إنه مثلي، أو يكتب أي جنس عايز ينسب نفسه له.
طيب إحنا دلوقتي شايفين ضغط عالمي علينا وعلى بلاد المسلمين، بل لو أنت أصلًا كتبت دلوقتي على أي منصة من المنصات العالمية حاجة فيها طعن في الشذوذ، هتلاقي الحاجة دي اتحذفت فورًا ويقولك أنت انتهكت المعايير المجتمعية.
طيب ممكن ناس منهزمة نفسيًا تقول: طب يا جماعة ما نعترف بيهم وخلاص؟ يا عم إحنا مش هنعمل اعترف وخلاص، أنت هيزعلك في إيه الاعتراف يعني؟ نقبلهم وسطنا وخلاص، وإحنا مش هنعمل الشذوذ ولا أي حاجة، وإن شاء الله مفيش حد من ولادنا يعمل حاجة زي كده.
نقول له: ما هو ده كفاية اللي أنت عملته، كفاية إنك رضيت بالمعصية،

أو إنك بدأت تتآلف معاها أو تتصالح معاها، ده يخليك شريك في الإثم حتى لو ما عملتش.
ما هي امرأة لوط ما كانتش بتعمل، بس كونها راضية باللي بيحصل ده خلاها واقعة في مشكلة كبيرة.
فاللي عايز أقوله إن مش فكرة المعصية إنك تعملها أو ما تعملهاش فقط، لكن كمان إنك تكرهها وتتبرأ منها ومش راضي بيها مهما انتشرت، ومهما ضُغط عليك، ومهما كانت الدنيا كلها بتعملها وبتقول لك ده صح.
إنت لا يصح عندك إلا الصحيح
امرأةُ لوطٍ: المشكلة الثانية كانت الدلالة، كانت بتدل على المعصية، وأحيانًا الناس فينا مبقاش بيعمل المعصية بس بيدل عليها.
تبقى أمٌّ محجبة، وتجيب لبناتها لباس التبرج وهي فرحانة بيهم كده.
حاجة غريبة !
أبٌ ملوش في الأفلام ولا السينما، يدي أولاده فلوس يروحوا السينما ويتفرجوا والكلام ده.
يعني واحد ما بيعملش، مالوش في البنات، بس بيجيب لصحابه صور بنات وأرقام بنات والكلام ده.
طيب ليه؟ يقول لك: "أنا بعملش حاجة، هم اللي بيعملوا، بس أنا بساعدهم بس." طب ما هي نفس المشكلة؛ لو ساعدتَه تاخد نفس الذنب. ليه؟ لأن الدالّ على الشر كفاعله.
فامرأة لوط شالت الذنب بسبب كده، غير بقى خيانة العقيدة، إنهم الاتنين أصلًا كفروا بما عليه لوط ونوح عليهما السلام، وبالتالي كانوا استحقوا العذاب.
هنا بقى في كذا رسالة عايز أقولها في الموقف ده، لأنه موقف مؤثر الحقيقة:
الفائدة الأولى: ينبغي للمرأة الصالحة أن تناضل مع زوجها طالما كان على الحق، فإنها إن تخلت عنه فهذه خيانة لميثاق الزواج. ميثاق الزواج أن الزوجة تعين زوجها، تقف في ضهره، تساعده، ما تسيبوش لوحده طالما هو على الحق، ما تخليهوش هو بيحارب وأنتِ مجرد متفرجة مستنية النتيجة. لازم المرأة تتفاعل مع زوجها بكل آلامه وأحزانه وتكون سندًا له فعلًا، وماتتخلاش عنه أبدًا.
الحاجة التانية: لاحظوا إن ربنا وصف الاتنين بأنهم كانوا على خيانة بسبب الكفر، لذلك نقول لا ينبغي أن يوصف كافر بالأمانة؛ لأنه لو كان أمينًا في المال، ولو كان أمينًا في المواعيد، لكنه وقع في أعظم خيانة، وهي خيانة الأمانة الكبرى التي كلف الله بها البشر: {إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ}[الأحزاب: 72]
فخانوا هذه الأمانة
{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}
فأي خيانة أكبر من خيانة العقيدة والعمل الصالح؟
الفائدة اللي بعد كده: لا تحزن على من خانك، ولا تتعجب. هكذا الدنيا، بعض القلوب كالحجر، عاجزة عن الوفاء. أحيانًا بيجيلنا صدمات: ناس تقولك "اتصدمت فيه"، "عملت معاه كل حاجة، طلع خاين"، "مع أني كنت بعمله كل شئ، وكنت شديد الوفاء معه، وكنت بعامله زي اخويا وكنت بعاملها زي أختي، دخلته بيتي وفي الآخر يخونني، في الاخر يعمل معايا موقف زي ده!".
أنا مش مصدق، مش مستوعب. هنقول له: ما تشوف امرأة نوح وامرأة لوط.
هتقول: سبحان الله! يعني سيدنا نوح عليه السلام زوج مثالي في الأدب والأخلاق والرفق واللين

والإنفاق والخير والشجاعة والمروءة والكمال في الخِلقة والخُلُق، ومع ذلك زوجته كانت كده.
أكيد لم يقصر في شئ، فده بيخليك ما تتصدمش، الفكرة مش إنك أنت اللي قصّرت، أو إنك مستغرب من رد فعل الآخر؛ في قلوب كده سبحان الله لا يعرف الوفاء لها طريق، لأنها كالحجارة أو أشد قسوة، يمكن احنا اللي اخترنا غلط.
الفائدة اللي بعد كده: قد تبذل كل ما في وسعك لهداية أسرتك، ولكنك لا تهدي من أحببت.
الموضوع ده بيهون كتير على ناس بيعانوا مع أولادهم، زوج بيعاني مع زوجته، زوجة بتعاني مع زوجها، والكلام كتير ومفيش فايدة، لا يتغيير، لم تستطع أنها تجعله يحافظ على عبادته، مش قادر يجعلها تكون أفضل في دينها، تعب جدا .
فهذه الآية بتقول لك: اصبر واحتسب، وفيه ناس كانت أصعب منك: سيدنا نوح، مراته كانت كافرة، سيدنا لوط مراته كانت كافرة، مفيش أصعب من كده.
في الآخر {إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ}[القصص: 56]
الفائدة اللي بعد كده: قد يكون الرجل صالحًا ويكون ابتلاءه في زوجته، والعكس قد تكون امرأة صالحة لم تقصر في شئ وربنا جعل ابتلاءها في زوجها.
فلا يلزم الإنسان يشك في نفسه عندما يحدث ذلك ويقول: "أنا عملت إيه غلط في حياتي لكي يحدث ذلك؟" لا يلزم، قد لا يكون هناك خطأ، لكن هذا ابتلاء. وكل ما تصبر وتحتسب فأنت مأجور.
وهذا الابتلاء موجود في بيوت كتير طرف صالح، طرف غير صالح ولازم الحياة تمشي، يعني ممكن نتحمل بعض علشان الحياة تمشي وعلشان الأولاد كذلك، فلا نلجأ الي الطلاق علطول، فالموضوع يحتاج إلى صبر كتير وتحمل كتير، أبشر فلك أجر على كل حال.
{وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا}[الفرقان: 20]
فلما حد يشوف سيدنا نوح قعد يمكن عشرات السنين على الأقل، إن لم يكن مئات السنين، بيكلم زوجته، وفي الآخر ابتلاؤه كان فيها. وكذلك لوط عليه السلام كان ابتلاؤه في زوجته.
فليكن فيهم عزاء لمن ابتلي بنفس الابتلاء.
الفائدة اللي بعد كدا بتقول لك: هذه الآية تقطع طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره.
"فَمَن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمۡ يُسۡرِعۡ بِهِ نَسَبُهُۥ".
ثم بعد ذلك قال سبحانه وتعالى: {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} الله أكبر امرأة إيه؟ امرأة فرعون.
مين امرأة فرعون؟ هي "آسِيَة بنت مزاحم". المرأة الكاملة اللي النبي عليه الصلاة والسلام ذكر فضلها، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أفضل نساء الجنة: خديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسِيَة بنت مزاحم».
آسِيَة بنت مزاحم دي كانت امرأة فرعون، سبحان الله! يعني مثال عكسي تمامًا للمثال الأول.
نفس الوقت اللي كانت فيه زوجة واحد من أولي العزم من الرسل كنوح عليه السلام، لم تؤمن، وزوجة أكبر طاغية في التاريخ آمنت، بل مش آمنت بس، دي صارت من الأكابر الأربعة في النساء.
وكأن الرسالة بتقول: الظروف ليست مبررًا، كونك في وضع مش بيساعد على الالتزام ده مش مبرر.

"أصل أنا أصحابي وحشين، أصل أنا أهلي مش ملتزمين، أصل أنت مش عارف الظروف اللي أنا عايشة فيها".

ما فيش ظروف أصعب من ظروف امرأة فرعون، فلا تجعل فساد المجتمع يبرر لك فسادك، ولا فساد أسرتك يبرر لك فسادك.

هذا يوسف عليه السلام كان قاعد في بيت امرأة العزيز، على ما كان في هذا البيت من دياسة وفساد وأخلاق سيئة، ومع ذلك حافظ على التزامه وسط هذا المجتمع. دخل السجن وسط المجرمين والقتلة، ومع ذلك حافظ على دينه ولم يتغير. وفي الملك ومع وجود فتن ضخمة جدًا، ومع ذلك حافظ على دينه.

الناس في السجن قالوا له: {إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}

وأخواته لَما كان في المُلك قالوا له: {إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}

فلا داعي الإنسان يقول: "أصل ظروفي، أصل مجتمعي، أصل عيلتي". نقول له: امرأة فرعون.

بس هي دي الرسالة، حتى ربنا سماها "امرأة فرعون"، ما قالش "آسية بنت مزاحم" هنا، وكأنه ربطها بفرعون عشان يوصل الرسالة: تخيل يا مؤمن، امرأة فرعون بقت من أفضل، بل من أكابر نساء الجنة.

إيه عذرك إنك ما تلتزمش؟

لما أم موسى عليه السلام ألقته وهو طفل في اليم، أخذته الماء إلى قصر فرعون وعندما وقعت عين امرأة فرعون عليه، وقيل أنها كانت لا تنجب، وربنا ألقى عليها محبة موسى: {وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي}[طه: 39]

فحَبَّته جدًا، وتعلقت به جدًا، وقالت: {قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا} [القصص: 9].

لاحظ إن السيدة آسيا قالت كلمة مهمة جدًا، سبحان الله لعل ربنا نفعها بيها: {عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ}، وده اسمه الرجاء. فكان عندها رجاء إن الطفل ده ينفعها في يوم من الأيام، وفعلاً صدقت في رجائها، وانتفعت نفعًا هائلًا، لأن موسى عليه السلام صار نبيًا كليمًا، ورجع ودعا في مصر، فكان من نتائج دعوته إسلام آسيا ودخولها في الإسلام.

وطبعًا هي كانت أقرب الناس له، كأنها أمه، وهي أكتر واحدة عرفاه.

ومن هنا بنقول فائدة مهمة جدًا: إن أكثر من يعرفك هم زوجتك وأمك.

لذلك امرأة فرعون كفرت بفرعون بسرعة، لأنها أعلم الناس به. ممكن فرعون يخدع المجتمع، لكن ما يقدرش يخدع زوجته.

ألصق الناس بك زوجتك هي اللي عارفة الحقيقة دائمًا.

امرأة فرعون تعلم ما فيه فرعون من الفساد والضلال والكفر، وعارفة كويس ما فيه موسى عليه السلام من الصدق والأمانة والصلاح، فلما وصلها دعوة موسى عليه السلام لم تتردد في قبول الدعوى وكفرت بما عليه فرعون.

دي رسالة لكل رجل: مرآتك هي زوجتك. عايز تعرف نفسك كويس ولا لأ، لا تسأل بالخارج سهل جدًا تكون كويس أمام الناس، اسمع منها.

مفيش حد بيتكلف يكون كويس قدام زوجته طول الوقت، ولو تكلف في البداية مش هيكمل.
فلذلك أصدق شهادة هتتقال فيك غالبًا هي شهادة الزوجة، فما تقوله لك لا تنكره لو هي منصفة طبعًا، أو مش متضايقة منك فتبالغ أو بتظلم في التقييم.
لكن بنقول في لحظة تجرد أو لحظة ما يكونش فيها لا مجاملة ولا بتظلمك، فبتقولك الحقيقة.
هتقول إنت فيك كذا وكذا صدق ما تقولش انتي الوحيدة اللي بتقولي كدا، هي الصح كلهم غلط، لأنها أقرب حد لك، واكتر حد عارفك وكذلك الأم.
لو قالت لك أمك: فيك كذا وكذا، ما تقولش: "إنتِ الوحيدة اللي بتقولي كده"، لأ، اسمع، لأنها أعلم الناس بك.
فلو أراد الإنسان أن يرى نفسه في الحقيقة يشوف نفسه في عين أمه، وفي عين زوجته.
لذلك في الحديث:
"خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ"، وكأن الإنسان عمره ما يكون خير لأهله إلا لو هو خير فعلًا.
لأن هؤلاء الناس اللي مش بتتكلف ليهم، فاللي بيطلع قدامهم هو ده الحقيقة. فلو كنت حلو مع أهلك يبقى أنت كويس فعلًا.
فإمرأة فرعون كفرت بسرعة بفرعون. وطبعا هي فضلت زوجة له؛ لأن في الشريعة دي كان عادي إن المرأة تبقى مسلمة وزوجها كافر، زي ما كان في أول الإسلام، خدنا في سورة الممتحنة، وبعد كده اتنسخ الموضوع ده إن مينفعش مسلمة تعيش تحت كافر. لكن يبدو إن كان في الواقع بتاعهم والشريعة بتاعتهم إن عادي المرأة المسلمة تكون تحت كافر.
لكن هي لم تتضرر بما عليه فرعون، كما قال قتادة في التفسير: "كان فرعون أعتى أهل الأرض، فما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها"، فالله حكم عدل لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه.
ولما آمنت امرأة فرعون علم فرعون بهذا الموضوع ، فبدأ بقى الانتقام والعذاب الرهيب. وكما جاء عن سلمان وهو على علم بأخبار أهل الكتاب، رضي الله عنه وأرضاه، قال: كانت امرأة فرعون تُعذَّب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة.
وجاء في الأثر: كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ السحرة أم موسى عليه السلام؟ فيقال لها: غلب موسى وهارون، فقالت: آمنت برب موسى وهارون.
فقال فرعون: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإذا مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي.
قال: فرفعت بصرها إلى السماء، فرأت بيتها في الجنة، فمضت على قولها، وانتزعت روحها قبل أن تُلقى عليها الصخرة، فأُلقيت الصخرة على جسد بلا روح.
وخد بالك، اللي حصل إن فرعون طبعًا شاط غضب لما عرف إن آسيا أسلمت، وهددها عدة مرات، طبعًا ما رجعتش، هددها تاني وتالت ورابع، ما رجعتش، فأمر جنوده ياخدوها للصحراء، وعمل لها أوتادًا أربعة كما قال تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ}[الفجر: 10].
وبدأ يعذبها ويعدّي عليها يقول لها: تكفري وترجعي لعقيدة فرعون؟ تأبى تمامًا. وفي النهاية كان يأمر الناس يعذبوها ويسيبها في الشمس في الصحراء.
قال قتادة: من كرامة آسيا أن الله كان يرسل ملائكة تظللها بأجنحتها من حر شمس الصحراء.

وفي النهاية فرعون قال لهم: هاتوا أضخم صخرة تقدروا تشيلوها. تخيلوا صخرة ضخمة جدًا، وقال لهم آخر مرة: إما ترجع عن دينها وترجعوا بيها أو ارموا الصخرة عليها. تخيلوا صخرة بهذه الضخامة تلقى على امرأة ضعيفة.

فورد في الأثر: إن في اللحظة اللي رُفعت فيها الصخرة، هي لم ترها أصلًا؛ لأنها كانت ترى بيتها في الجنة، كأن الصخرة فوقها لكنها لم تراها.

هي بدأت تشوف حاجة تانية، بدأت تشوف بيتها في الجنة، قصر ربنا أعده لها، فلم ترَ إلا بيتها في الجنة.

فابتسمت، حتى ورد في بعض الآثار أن فرعون كان هيتجنن يقول: بتبتسم ليه؟ وبتبتسم إزاي في وضع زي ده؟

فهي كانت مش شايفة الصخرة، شايفة بيتها في الجنة، فقالت: {قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ}.

فأُلقيت الصخرة، وفي اللحظة دي قبض الله روحها قبل أن تصل إليها، فنزلت الصخرة على جسد بلا روح، ولم تشعر بأي ألم.

كده ربنا نجاها زي ما طلبت: {نَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ}.

النجاة مش لازم تكون في الدنيا ببدنها، النجاة إن ربنا يحفظ لها دينها، وأَخذ أعداءها، ويثبتها حتى تلقى الله، ويرزقها بيتها في الجنة.

والنجاة إن تُقبض روحها قبل العذاب، زي الشهداء؛ الشهيد لا يشعر من ألم الشهادة إلا كمس القرصة.

نلاحظ هنا حاجة غريبة: درس جميل إن العون كان بيأتي على قدر البلاء، كلما البلاء اشتد عليها كلما الإعانة جاءت أكبر.

في البداية لم ترَ قصرها في الجنة، ولا الملائكة جاءت لها، لكن لما اشتد البلاء ووضعت في الصحراء واشتدت عليها الشمس، جاءت الملائكة تظلها.

ولما زاد البلاء أكثر، وكادت الصخرة تلقى عليها، أراها الله بيتها في الجنة.

زي الماشطة، عارفين الماشطة؟ نفس الفكرة، كانت في بيت فرعون، المرأة اللي كانت بتمشط بنت فرعون، وآمنت برضو.

فرعون عرف فأمر بيها وبأولادها أن يُلقَوا ويُحرَقوا، فهي كانت صابرةً ومحتسبة، فألقوا أولادها أمامها واحدًا وراء الآخر، وفضلت صابرةً. ثم جاءوا عند آخر ولد وكان رضيعًا، كانت متعلقة به جدًا، وأُخِذ من صدرها، ولسه هيلقوه، كادت أن تهتز وتنتكس، هنا جاءها المدد على طول، وتكلم الرضيع، قال: يا أُمَّه، اقتحِمي يا أُمَّه اقتحِمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

اقتحمت في النار، طب ما اتكلمش من بدري ليه؟ ما كانش في داعي يتكلم؛ لأنها كانت ثابتة لغاية دلوقتي، أول ما البلاء زاد الإيمان زاد، ربنا بعت لها كرامة تثبتها. فده من نصرة ربنا لعبده المؤمن إن هو دايمًا بيساعده، طب البلاء يزيد أزوّد لك إيمانًا، البلاء يزيد يدركك في اللحظة الأخيرة عشان دايمًا تكون على خير، فده كرم من الله سبحانه وتعالى.

فهي قالت إيه؟ لما عملت كده وشافت بقى القصر وكده، قالت: {رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ}.

الصلابة دي جايباها منين؟ جايباها من كذا حاجة، منها بيقول لك: من ذاق مرارة الباطل كان صلبًا حين يلتزم. دايمًا تلاقي الناس اللي التزموا أوي بعد ما كانوا في الباطل يبقوا شدادًا في الحق، أقوياء جدًا في الحق. دول أصعب ناس ترجع للباطل؛ لأنه ذاق الباطل قبل كده. أنت عارف لو حد ملتزم طول عمره، البداية أحيانًا بييجي له كده هوس: أنا عايز أجرب الباطل، فاكر إنه طعمه حلو، ما جربهوش قبل كده، فلازم يروح يتلسع عشان يرجع تاني.

اللي ذاق الباطل بالفعل، وبعد كده تاب واستقام، صعب جدًا يرجع للباطل؛ لأنه بيكرهه أوي وهو جاي من هناك وعارف مساوئه، عشان كده جيل الصحابة كان جيل رهيب؛ لأنه أصلًا طالع من الكفر وذاق كل مرارة الباطل، فكان جيل ليس له مثيل.

وهذا من أسباب ثباتها أنها شافت الباطل وعرفته كويس؛ ترجع له إزاي بعد ما داقت الباطل وداقت الحق وعرفت الفرق بين الطعمين.

من الحاجات اللي ساعدتها استحضار الدار الآخرة؛ كل ما الإنسان يحضر في قلبه الدار الآخرة، ما أعد الله لعباده المؤمنين من الجنة والنعيم، فضلاً إن ربنا أكرمها كمان وشافت أسرار في الجنة، فده خلاها تثبت أوي.

عشان كده كل ما الإنسان يرتبط بالدار الآخرة هيكون ثابت أكتر، كما قال تعالى: {إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ}[ص: 45: 47].

أنس بن النضر لما في غزوة أحد قدر يهاجم المشركين، سعد بيقول له: إلى أين يا أنس؟ ما حدش قادر يهاجم في الوضع ده، قال: إليك عني يا سعد، إني لأجد ريح الجنة من وراء أحد. واااه لريح الجنة، وده خلاه يقتحم في صفوف المشركين بكل قوة وبكل شجاعة.

الواجب العملي: طوّر علاقتك بالدار الآخرة، اسمع كتير عن الجنة والنار، واقرأ كتير في آيات الجنة والنار، واسمع كتير عن مشاهد يوم القيامة، واللي هيحصل يوم القيامة في الطائعين وفي العصاة.

المشاهد دي ساعة الفتنة بتحضر قدامك، فتلاقي نفسك تقدر تبقى صابر، تقدر تبقى محتسب، تقدر تقول لا عشان الجنة، تقدري تستحملي، تصبري على الحر في الحجاب، تقدر تستحمل القيام لصلاة الفجر رجاء ما عند الله، تقدر تستحمل إنك تتعرض لاضطهاد أو سب أو أذى بسبب استقامتك.

كل ده يهون بمجرد ذكرى الدار.

لذلك قالوا عن آسيا امرأة فرعون: رغم أنها كانت تعيش في قصر منيف، ولكن لما أبصر قلبها نعيم الآخرة تحطمت في عينها كل قصور الدنيا الزائلة. من الحاجات اللي خلتها تثبت أن الإيمان خالط بشاشة القلب، والإيمان إذا خالط بشاشة القلب فهيهات أن يُنتزع.

هرقل لما سأل أبا سفيان قال: هل يرتد منهم أحد عن دينه بعد إذ دخل فيه؟ فقال أبو سفيان: لا. فقال: كذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب.

إذا وصل الإيمان إلى القلب، وصار إيمانًا حقيقيًا، صعب جدًا أن يُنتزع، أعتى الظلمة والطغاة لا يستطيع أن ينزعهم من قلب المؤمن، عشان كده الإنسان يحاول يزوّد إيمانه قوي لغاية ما يبقى الإيمان جوه القلب ،لذلك قيل: "من وصل لا يمكن أن ينتكس، وإنما ينتكس من لم يصل".

{قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ}[الحجرات: 14].

من فوائد المشهد ده: قالوا بينما يضطهد فرعون المؤمنين، إذا بالإيمان يخترق بيته. من يستطيع أن يطفئ نور الله تعالى أو يمنع نور الله تعالى؟

من الفوائد:

قالوا: لما تعبت آسيا بنت مزاحم من كبد الحياة علمت أن الراحة عند الله تعالى فدعت.

من الفوائد: قالوا رغم أن آسيا بنت مزاحم كان لها كثير من العمل الصالح صلاة وصيام وعبادة، إلا أن الله ذكرها بالدعاء، فما أكرم الدعاء على الله تعالى، وما أعظم هذه العبادة التي خصّ الله تعالى ذكرَ آسيا بها رغم كل عبادتها الصالحة، فما أشرف عبودية الدعاء.

{قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ}. خدت بالك؟ ابنِ لي؟ عندك؟ حط تحت عندك دي ألف سطر.

قالوا: قالت عندك لأنه في الحقيقة إنما تحلو الجنة لقُربها من الله تعالى، وفي الحقيقة أعظم نعيم أهل الجنة هو القرب من الله سبحانه وتعالى؛ لذلك ربنا وصف قال: {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ} قبل ما يقول: {فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ}[الواقعة: 10:12].

وكما قال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته.

الجنة تبقى جنة إزاي لو لم نكن قريبين من الله أو لم نكن نراه؟

كما قالوا: لقد اختارت امرأة فرعون الجار قبل الدار.

قالت: عندك أولًا، بعد كده قالت: بيتًا في الجنة. هذا هو الفارق المؤثر.

ثم ضربت مثالًا رائعًا للبراء من الضلال والفساد والكفر: {وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ}، تبرأت من الكافر وتبرأت من عمل الكافر، كحال إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: {إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ}[الممتحنة: 4].

فلا يصح للإنسان أن يستقيم على الهدى دون أن يتبرأ من طرق الضلال. بعض الناس يقول لك: الإسلام تمام، بس غير الإسلام تمام برضوا، فنقول: لا يصح إيمان بلا براء من الباطل؛ {فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ}[البقرة: 256].

فلذلك ضربت أروع الأمثلة في الولاء مع البراء من الكافرين وطريقتهم: {وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ}. أهم حاجة عمل الكافر، مش مجرد أني أنجو من بطشه. طب ما أنا ممكن أنجو من بطش الكافر لأن أنا عملت اللي هو عايزه.

{وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ}. مشيت على طريقتهم وعملت كل أجندتهم فنجيت من بطشهم، بس مش نجيت علشان انت كويس، لا نجيت علشان هما أصلا راضين عنك؛ لا، هي بتقول: أنا عايزة أنجو من العمل ومن البطش.

قالت: {نَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ}.

استجاب ربنا دعاءها، لكن ليس بالضرورة مش لازم بالصورة اللي أنت متخيلها، إن هي تكون نجت ببدنها؛ لأ، نجّاها بطريقة تانية: ثبتها على دينها، ماتت شهيدة، لم تشعر بألم الشهادة، وخدت قصرًا في الجنة، واللي عذبها هو اللي اتخذل في النهاية وهو من تعذب في النهاية.

فده نوع من النجاة، وممكن في نجاة بنوع تاني زي نجاة مؤمن آل فرعون، نجا ببدنه فعلًا في الدنيا، {فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ}[غافر: 45].

وكأن المعنى ان يمكن يحدث الأمر ده أو ده في الحالتين ربنا نجاك.

فما حدش يقول: ليه ربنا يعمل كده؟ ليه المسلمين يموتوا وليه كل ده شهداء، ما هو ربنا نجاهم برضوا وده نوع من النجاة، ربنا يختار لمين ايه بقي؟ ده راجع للحكمة، لا نتدخل في تدبير الله سبحانه وتعالى.

ومن الفوائد في القصة دي: إن آسيا بنت مزاحم بتعلمنا درس خطير، وهو إن الملتزمين ما التزموش لأن حياتهم صعبة ولا اللي لبست نقاب دي أو التزمت أو استقامت لأنها وحشة أو تريد أن تخبأ شئ أو معقدة نفسيًا. لا هذا غير حقيقي.

امرأة فرعون كان عندها كل شيء: مال، قصور، جمال، خدم، كل المغريات، ومع ذلك اختارت طريق الله. ليست لأنها معقدة نفسيا أو وحشة وتريد أن تخبأ شكلها اللي مش كويس ولا تريد أن تهرب من شئ، أنما اختارت الله وتركت كل شئ.

عشان كده آسيا بنت مزاحم صارت أفضل من الماشطة؛ رغم عظمة الماشطة طبعا لكنها كانت امرأة فقيرة، وإن كانت طبعًا عُذبت وكان لها أجر كبير اوي، لكن آسيا كانت أغنى وأشد ابتلاءً في التنازل، ومع ذلك اختارت الله وتركت كل شئ.

وبعد كده ربنا سبحانه وتعالى ذكر مثالًا آخر: قال: {وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ}.

مريم ابنة عمران من الكوامل الأربعة. النبي عليه الصلاة والسلام بيقول: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

مريم ابنة عمران، هنا نموذج أن الابنة صالحة، والأب صالح عادي، يعني اللي هو النموذج المتوقع، لكن مريم ابنة عمران وكأن الآية بتقول هو مش لازم النموذج الأولاني، يعني ممكن تكون بنت صالحة والأب صالح، وتبقى أحسن كمان من اللي هي طلعت من بيئة مش صالحة ثم التزمت، يعني هي مش قاعدة، هي مش قاعدة إن اللي كان مش ملتزم ثم صار ملتزم لازم يكون أفضل من اللي كان ملتزم في بيئة ملتزمة عادي. ممكن، ممكن ده يبقى أحسن من ده، أو ده يبقى أحسن من ده، أو الاتنين يبقوا زي بعض.

مريم ابنة عمران بنت صالحة، والأب طبعًا شديد الصلاح، عمران عليه رحمات الله تعالى. الملفت جدًا أن القصة هنا اختصرت في معنى واحد، ربنا ذكر مريم ابنة عمران. السيدة مريم اتذكرت في سورة آل عمران بالعبادة، بالسجود، بالركوع، بالتقوى، معروف عنها الزهد.

من هنا أول حاجة بتطلع لنا ملفتة جدًا: {ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا}. سبحان الله! وكأن ده بقى التحدي التاني للمرأة. التحدي بتاع امرأة فرعون هو مواجهة الضغط الاجتماعي، يعني أي بنت أكبر مساحتين بتعاني فيهم: مساحة الضغط الاجتماعي عليها كبنت، وهي ضعيفة، فبيسهل الضغط عليها، ومساحة الشهوات إن حد يفتنها.

مش بيضغط عليها عشان ما تلتزمش، لا، العكس، هو بيضغط عليها عشان تروح في الاتجاه التاني، عشان يفتنها في باب العلاقات المحرمة والكلام ده، وده برضه بالنسبة للمرأة من أكبر الفتن.

المرأة عاطفية، ممكن أي حد يخدعها بالكلام، ممكن حد يعني يدخل يزعم إنه بيحبها وبتاع، يعني يقولها كلام حلو، فتتأثر بسرعة جدًا.

فكان نموذج امرأة فرعون هو نموذج الصلابة تجاه الضغط المجتمعي، اللي سهل جدًا بيأثر على بنات دلوقتي. بنات كتير جدًا ما بتلتزمش بالحجاب أو ما بتلتزمش عمومًا بسبب خوفها من الضغط المجتمعي.

الفتنة الثانية للبنات هي العلاقات بقى، العلاقات، الفواحش، التبرج، يعني حتى ما يتعلق بحب الممثلين وحب الفنانين، تعليق صورهم، وحب بقى للمغنين الكوريين والكلام ده، كل ده من القوادح في العفة. التحدي الكبير أوي للمرأة بيكون في العفة، عشان كده ربنا ذكر عن مريم العفة.

والعفة دي معناها الشامل، مش مجرد {أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا} يعني من الزنا فقط، لا، من الزنا ومقدمات الزنا، ومن العلاقات المحرمة، ومن النظر بشهوة للرجال، ومن فعل العادات السيئة، وكل الباب ده، النظر إلى الإباحيات، النظر إلى الصور المحرمة، كل ده داخل تحت {أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا}.

خيانات زوجية، ربنا ذكر في مريم إحصان الفرج، وكأن الخدش في هذا الباب يفسد كل شيء. فإياكِ يا مسلمة أن تفرطي في شيء من عفتك. يعني الرجل لو عنده مشكلة في العفة مش بتقدح فيه زي ما بتقدح في المرأة. الباب ده لو اتخدش صعب جدًا عند المرأة، فما تفتحيش الباب ده أبدًا، وما تسمحيش لحد يلوث سمعتك في الباب ده، لأن ده أكبر تحدي للمرأة، وأكثر حاجة ترفعها عند ربنا إن هي تكون مميزة في باب العفة.

سواء في استقامتها في حجابها، في بعدها عن العلاقات المحرمة، الصور المحرمة، العادات السيئة، فضلًا عن الزنا واللمس الحرام والكلام ده، متعفّفة تمامًا. وكل بقى المواهب بعد كده بتطلع مع زوجها.

السيدة مريم طبعًا معروف إن هي كانت متبتلة، كانت معتكفة في خدمة المسجد، وكان في شريعتهم إن هو ممكن واحدة ما تتجوزش والكلام ده خالص طول الحياة، فاختارت كده، اختارت إن هي تلازم بيت المقدس، وتخدم هناك وخلاص، وإن هي مش هتتزوج.

وبعد كده سبحان الله بقى، أتاها جبريل عليه السلام في هيئة بشر، اتفزعت منه. بصي بقى حياء مريم وعفتها، قالت لما دخل عليها جبريل عليه السلام تمثل بشرًا: {قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا}، {قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا}، {قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا}[مريم: 18:20].

شوفي بقى تبرأت إزاي من الحاجات دي، أخطر شيء إن تتلوث سمعة بنت في الباب ده، {قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا}[مريم: 21].

طب حصل إزاي؟ نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها، فهذه النفخة وصلت إلى الرحم، وكان منها عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

قال: {ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ}، يعني عن طريق جبريل نفخ فيها، فوصلت النفخة دي إلى الرحم، وكان منها عيسى عليه السلام.

{فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا}، "من روحنا" دي نسبة تشريف، مش جزء، سيدنا عيسى مش جزء من الله مثلًا، حاشا الله عن ذلك، تعالى الله عن ذلك. فأما "روحنا" فربنا نسبها إليه نسبة تشريف، زي ما قال: ناقة الله وبيت الله، فهذه نسبة تشريف فقط.

قال: {وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ}، كلمات ربها، يعني الكلمات الكونية، كلمات ربنا الكونية، هي أقدار، رضيت بأقدار الله، ورضيت بأحكامه، ورضيت بأحكامه الشرعية اللي هي في الكتب، الكلمات الكونية والكلمات الشرعية، {وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ}.

القانت هو المداوم على العبادة والطاعة، هذا يرجعنا إلى: {أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ}، أفضل شيء للمرأة أن تحافظ على العبادة، أفضل شيء للمرأة أن تداوم على الطاعة، مش تقطع. {وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ}.

وسبحان الله، ربنا قال: مِنَ الْقَانِتِينَ مش من القانتات، لأن مريم أصلًا كان النية إن هم كانوا نفسهم في ولد يخدم بيت المقدس، فجت بنت، فظنوا إن هي مش هتخدم، فعملت المطلوب فعلًا كما ينبغي وزيادة. ربنا قال: {مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ}، وكأنها فعلًا قامت مقام رجل من شدة العبادة والاجتهاد في الطاعة وخدمة بيت المقدس.

مع إن هي حفظت على أنوثتها بأنها {أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا}، وتجنبت تمامًا الاختلاط بالرجال، وتجنبت تمامًا كل ما يشين أو يعارض عفتها لأي خدش.

نختم بهذه الفائدة الجميلة: إن ربنا سمّى مريم ابنة عمران، وقال في سورة آل عمران: {إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ}، عمران بيُذكر دائمًا. فالفائدة بتقول: كم من نساء شرّفن آباءهن وأزواجهن وأسرهن، فهنيئًا لمن كانت سببًا في أن يُذكر أبوها بالخير، وأن يُذكر زوجها بالخير.

ستكون البنت صالحة، هيقول: نعم التربية، دي بنت فلان، فيُشرَّف بسبب بنته، هي اللي تجيب له العز والشرف، مش تجيب له العار والسمعة السيئة. أو الزوجة صالحة وطيبة، يقولوا: اللهم بارك، دي مرات فلان، فسبحان الله تبقى الزوجة والبنت هما سبب في سمعة جيدة للوالد أو للزوج بسبب استقامتهم.

فإياكِ بسبب سلوكك، بسبب شكل حجابك، بسبب تصرفك في الشارع، بسبب علاقات حرام، يتقال: دي طالعة من بيت ما يعرفش يربي، لو كان في راجل في البيت ما كانتش دي طلعت ولبست كده وعملت كده. عايزين اللي يشوفك يقول: ربنا يبارك في اللي ربّاها، دي بنت مين؟ البنت المحترمة دي من أنهي بيت؟ إحنا عايزين نناسب البيت ده.

سمعتك سمعة لأهلك، وعفتك من عفة أهلك، فهذه مسؤولية كبيرة جدًا.

فليكن في امرأة عمران قدوة، وامرأة فرعون قدوة، ومريم بنت عمران قدوة لكل البنات. وكأن الجزء بيتختم بهذا المعنى الجميل: قدوة لجميع النساء وجميع البنات، فضلًا عن الرجال.

إذا كانت دول قدوة للنساء، المفروض بقى الرجال يعملوا إيه؟ فمن باب أولى إن الرجال برضه يرون في هذه النماذج حافزًا لهم، إنهم يجتهدوا ويعملوا ويسبقوا، لأن فرصة الكمال في الرجال كثيرة جدًا، أكبر من فرصة الكمال في النساء.

وكده خلصت المدرسة، وخلصت الدورة المباركة. يا رب يعلمنا وإياكم، وينفعنا وإياكم بما علمنا وسمعنا، ويتقبل منا ومنكم صالح الأعمال. يا رب نحفظ السورة ونصلي بها، ونستمتع بجزء قد سمع.

جزاكم الله خيرًا. سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.